

الاستدراك لدراسة الأدب الجاهلي

تأليف

عبد العزيز مزروع الأزهري

حقوق الطبع للمؤلف وحده

الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٣٦٩ هـ — سبتمبر ١٩٥٠ م

مطبعة العلوم ١٦٢ شارع الخليج بمصر

الأهداء

إلى باعث النهضة الأدبية الحديثة في الشرق
وحامل لواء الآداب العربية خفاقا في ميدان الثقافة الإنسانية
وأول أديب شرقي أجمع الغربيون على تقديره ، وتكريمه
وأول مثقف من الأدباء مقاييس جديدة ، لتذوق الأدب ونقده ،
فأيقظهم من سباتهم برسائله السامية ، وصيحاته المدوية فاستأنفوا حياة
جديدة في البحث ، والحكم واتجهوا إلى الأمام قُدما ، براحمون بمباحثهم
المبتكرة مواكب الآداب العالمية ، بعد أن كانوا يقفون والركب يسير ، مغلفة
بصائرهم ، حرجة صدورهم ، هواء أفتنتهم ؛

إلى العصامي الذي عرف كيف يصرع الجمل والضعف ، والتقاليد
الزائفة فاذا به بعد حر الكفاح ، كبير من وزراء الأمة ، مزود ثقة فاروق
العظيم : مؤيد بإعجاب الشعب ، وزعيمه مصطفى النحاس

إلى الأملعي العبقري الأثني ، الذي ما برحت الأمة تكرمه لأنها تشرف
بتكريمه ، وما فتئت تلجج بالثناء عليه ، لأنه صورة صادقة لآمالها ،
وما انفكت تحوطه بقلوبها ، لأنه قبس من طمرحما. وما زال الآباء والأمهات :
فتياتهم وفتياتهم يهتفون بذكره ، لأنه دك عقبات التعليم وعالمه ، فجعله للجميع
حقا شائعا ، بعد أن كان أملا ضائعا .

إلى العميد الوزير : إلى الدكتور طه حسين وزير المعارف بالجمهورية المصرية :
أهدى كتابي :

سيدي الوزير :

إن هذا الكتاب أثر من توجيهمكم ، وقبس من تعاليمكم ، ولولا آراؤكم في
الأدب وفي النقد وفي التجديد ، ماجرؤ مثلي أن يقتحم على الصحراء العربية
صمتها الرهيب ، ولا على الأدب الجاهلي غفوته السرمدية

فهل أجد من وارف ظلكم ، ما يسعدني بقبوله ، ويشرفني باطلاعكم عليه ،
ذلك أول آمالي في معاليكم والسلام ؟

عبد العزيز مزروع الأزهري

شكر وتقدير

الفكرة الجديدة لبنة ذهبية في صرح الثقافة الإنسانية ، فإذا سجدت
شكراً لله الذى وفقنى ، فابتسكت تلك النظرية التاريخية الأدبية ، فسأذكر
دائماً أنى في كثير من الأوقات - عند تأليفى هذا الكتاب - كنت أجد نفسى
أمام عقبات تضيق بها الصدور ، فأتصور رحب الفضاء أمامى وقد أخذ
يضيق رويداً رويداً ، فهاهى حتى تهب نسيمات من تشجيع العلماء الذين
اتصلت بهم لأن الموضوع - فى نظرهم - بكر ، والروض أنف ، فيعود الأمل
محضراً ، والأفق فسيحاً ، فأمضى قدماً إلى الأمام ، وما زلت هكذا :
بين طى ونشر ، وبأس وأمل ، حتى وجدت نظرتى وقد دنت قطوفها ،
وامتدت ظلالها ، واتسع سلطانها على كل ما صادفها من الآثار الأدبية
فى الجاهلية .

وأنت إذا رددت النظر فيها لانجد إلا شواهد عدل على قدم تلك الأمانة
العريقة ، وقدم آدابها التى انبثقت من سفوح الماضى السحيق .

واليس أئدى على كبدى ، ولا أطيب لنفسى ، من الاعتراف بالجميل
لذويه ، والفضل لمسديه ، فلا بدع أن أشيد بذكر حضرة صاحب العزة
نخر العمدة الأستاذ البحاثة الثقة (براهيم بك مصطفى) عميد كلية دار العلوم ،
بجامعة فؤاد الأول بمصر ، وأخى الأديب الكبير النقادة (مصطفى السقا)
الأستاذ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، وحجة الباحثين فى الأحاديث
النسبية الأستاذ (محمد فؤاد عبد الباقي) وصديق الأستاذ العالم (محمد برانى)
المفتش بالتعليم الثانوى

وتلبية لتواضعهم سأكتفى بالإشارة إلى ما أمدونى به من أمهات المراجع
غربية وشرقية ، ولم يبق إلا أملى فى الله أن يعمم النفع بما ابتسكت ، وأن
يشير همم الباحثين بما سجلت .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدته سبحانه لأنه أخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الثقافة الإنسانية ، وأصلى وأسلم على خاتم رسله أول من هتف بحرية البحث ، وحرص المفكرين أن يكتشفوا ما بين أيديهم وما خلفهم لعلهم يهتدون .

وبعد

فإذا كان « المرحوم محمود باشا الفلكي » قد استعان علم الفلك لتحقيق في رسالة له :

(١) تاريخ موت إبراهيم بن سيدنا محمد (ص) بكسوف الشمس

(٢) وعين وقت الهجرة بعد أن تضاربت فيها الآراء

(٣) وضبط وقت مولده ، ومقدار عمره (ص)

فإن قد استخرت الله ، وإياه استعنت ، فوفقني إلى « نظريتي » لتحديد أزمان الجاهلية العربية ، فأمكن أن أعين قبل الهجرة تاريخ أي شاعر ، أو خطيب أو حادث ، أو يوم من أيامهم الكثيرة التي نثروا على سفوحها أروع أشعارهم وأسير أمثالهم ، وسكبوا في ظلالها أبلغ حكمهم ، وأدسم آدابهم ،

معتمدا في تحديد تلك الأزمان على (شجرات الأنساب) و (عمر الجبل) و (دليل الصحابة) إلى (عدنان) عند قبائل ربيعة أو مضر ، وإلى (قحطان) عند قبائل كهلان أو حمير ، مستأنسا (بأجيال العشيرة) ، و (دليل المعاصرة) ؛ فإذا أمكن بعد هذه السعائم أن نجد صلة لذلك الشاعر مثلا (بدليل السجلات الملكية) للفرس ، أو المناذرة ، أو الروم ، كان في ذلك أقرب ما نريده من الدقة لتحديد علاقته بدورة الفلك ، وتعيين تاريخه قبل الهجرة ، أو بعد الميلاد ، وتعمقه في الجاهلية .

وكم أرق جفنى وأقضى مضجعى أن لا أجد لعصر الجاهلية ساحلا يرسو عليه الأدباء ، أو منارا يهتدى بهديه الباحثون ! وكم من مرة وقفت فيها مشدوها أمام قول علماء العصر العباسي :

١ - إن أول من حملوا راية الشعر في الجاهلية كانوا من ربيعة أولا ، ثم من قيس ، ثم من تميم ..

٢ - وأول من قصد القصيد (مهمل) ثم أبو ذؤيب التيمي ، ثم ضمرة السكناني .
٣ - وعمر الأدب الجاهلي لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، في الوقت الذي يقول فيه الأصمعي في بعض رواياته : إن بين أوائل من قصدوا القصيد وبين الهجرة ٤٠٠ سنة !!

٤ - وأغرب مما تقدم ادعاء بعض المؤلفين المعاصرين لنا أن كل اللهجات العربية ذابت في لهجة قريش بعد ظهورها ! فما ينسب إلى تميم مثلا ، أو قيس من اللهجات التي نفهمها إنما هو من لغة قريش في لسان تميم ، أو لسان قيس إذ ليس في لغة الأدب التي بين أيدينا شيء من لهجات تلك القبائل ، ولا نستطيع العثور عليها إلا في معاجم اللغة ؟ !

٥ - وأن القرآن إنما نزل بلغة قريش !

٦ - وما يشير الأسى أن بعض هؤلاء لم يتسع وقتهم لتحقيق هذا ، ولكن راقهم بعض ما يبيده متعصبة الغربيين فاحتطبوا في حبلهم ، محسنين الظن بهم ، والكريم بخدع !

فإزاء هذه المشكلات الأدبية لم تسمح نفسى في عصر نهضتنا أن نأخذها قضية مسألة مع ما فيها من تناقض وتردد ، فتجردت منذ سنوات لسبر غورها واكتناه حقائقها ، ونشرها بين الباحثين ، ولم يكن هذا ممكنا إلا بجهاز كالذى ابتكرته ، ودعمت قواعده بقواعد خمس سيأتى إيضاها عند ذكر تلك النظرية ، ثم طبقتها على كثير من حوادث التاريخ قديما وحديثا ، عربيها وعجميها فجاءت صادقة الخبر ، شبيهة الثر :

من نتائج نظريتي :

١ - وقد استطعت بهذه النظرية المبتكرة أن أضع جداول منظمة كالجداول الرياضية لضبط أزمان المعاصرين في الجاهلية من الشعراء والأدباء في القبيلة الواحدة ، ثم في كل القبائل ؛ وبذا تستطيع أن تجمع في الجيل الواحد آثار الأقدمين المعاصرين ، وفي الأجيال المختلفة آثار الأدباء مرتبة بترتيب أزمانها .

٢ - وأن تعرف بالتالي ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسايله ، وهجرته من أديب إلى آخر ، ومن قبيلة إلى أخرى ؛ وما طرأ عليه في رحلاته العقلية في أذهان الأدباء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ، أو جمود ، أو فناء .

٣ - ومن السابق منهم بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟ وأي القبائل كان لها شرف الابتكار ؛ لما تقرر من أن نبوغ الغائب لا يقتصر عليه وحده ؛ بل يتعداه إلى أسرته ، لقبيلته ، فشمعيه ، فجنسه .

٤ - وأن تحدد الزمن الذي ذابت فيه لغة القحطانيين في لغة العدنانيين .

٥ - ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التي صارت لسان الشعراء جميعا في العصر الجاهلي لا فرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو ربيعين ، وقيسيين ، وتميميين ، بعد أن كان كل فرد منهم يتعصب لقبيلته ، ولهجتها ، بل لا يعرف سواها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها ، كما لا يشيد بغير مآثرها .

٦ - وبيان وجه الحق في قولهم : « أول من قصد القصائد مهمل بن ربيعة ، وأقدم الآثار الأدبية التي بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة » إلى آخر ما مر من تلك المشكلات التي مازال عشاق الحقائق في حيرة من أمرها .

٧ - وتحديد أقدمية « اللهجة القريشية » التي يزعم كثير من الأدباء أن القرآن نزل بها !!

٨ - ولم حكما بكذب الشعر المنسوب لعاد وتمود ، وآدم وحواء .

ولس كثير من الشعر المنسوب للمعمرين .

٩ - ولم اعترف بما ينسب لطسم وجديس من شعر مع أنهم من العرب العاربة ؟

١٠ - وكيف اهتديت إلى أن أطول قصيدة عربية في الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون وست سنوات قريية .

١١ - وهذا غير ما ابتكرته مما سمعته « الجيل الملوكي » لتحديد المتوسط لحكم كل ملك، مما لم يسبقني إليه أحد من المستشرقين وعلماء التاريخ الغربيين .

١٢ - وكيف انتصرت على البهائية الألمانى (غلازر) فى تحديد عمر الجيل بخمس وعشرين سنة؛ إذ لم يقارب الجيل النسبى ، ولا الجيل الملوكى ، فضلا عن أنه لم يعين لنا أى الجيلين يريد وإن كان السياق يدل على أنه يعنى الجيل النسبى ؛ إذ أن الجيل الملوكى لم يكن للعلماء به علم قبل ابتكاره .

١٣ - وبم صححت إجماع مؤرخى العرب على الخطأ فى قولهم إن « عدنان ، عاصر « بختنصر » وحاربه .

١٤ - وكيف برهنت على أن القحطانيين أقدم من العدنانيين بالأرقام لا بالحدس ، ومتى ابتدا تاريخ كل .

١٥ - واستدللت بنقشين على قدم اللغة الأدبية عند العرب، وعلى أن لغة النقوش كانت غير اللغة الأدبية ، وأن لهجة القرآن تناسب لهجة النقش الأدبى ، ولهجة كثير من الشعراء قبل قريش ، فليست لهجته من آثارها .

١٦ - وأن فيما حوته كتب الأدب والتاريخ التى بين أيدينا نصوصا قيمية بحق فى القرن السابع بل الثامن قبل الهجرة ولكن الأدباء لا يدرون .

هذا بعض ما حققته بنظريتي ، أزجيه بين أيدي الباحثين فإن قاربت الحقيقة، ومهدت السبيل، فذلك من فضل الله ، وإن كانت الأخرى فحسبى أنى أثرت الشك فى بعض تلك المعلومات التى بلغت من نفوسهم مبلغ القداسة ؛ والشك أول اليقين .

لماذا لا نرغم بدررات أجبرادنا ؟

لا مريّة في أن الغربيين في العصر الحديث سادة الباحثين في كل ما يمت
إلى الحضارة الإنسانية بهلّة !

فهم يبحثون الآن عن (سفينة نوح) في جبل أرارات وليس بينهم
وبين نوح هلّة معروفة !

ويبحثون من سنوات في السموات عن (سكان المريخ) وبعض
الكوكب الأخرى ، وليس نوعهم من نوعنا ، ولا أجناسهم من أجناسنا ،
ولا يرتبط كوكبهم بكوكبنا إلا بصلّة الجاذبية العامة !

ومن قبل بحثوا ولا يزالون يبحثون عن (مديّات الأمم القديمة)
كبابل وآشور ومصر وليسوا بأصول لهم .

أفليس جديرا بنا — نحن حفدة العرب — أن نبحث عن تاريخهم
وهو جزء من تاريخنا ، وأن نربط آدابهم بدررات الفلك الزمنية وهي آدابنا ،
ونوضح صلتها الزمنية بالتاريخ الهجري ، والتاريخ الميلادي ، وقد صار
الأول نقطة التحول في تاريخ العرب كافّة ، والمسلمين عامة ، واتخذ الثاني
مركز الدائرة التاريخية للعالم ، ولحوادثه القديمة والحديثة !

إنّ لأزوى حياء عندما أجدنا — نحن الشرقيين — عالّة على الأجانب
حتى بعد نهضتنا الحديثة ! فما لنا لا نثبت دعائمها بالبحوث العصرية في ميادين
الثقافة العربية او ما ذايحول بيننا وبين إعطاء الآداب حقها ، والتواريخ قسطها ،
ولغائنا الأثرية نصيبها ! ألا نخذو حذو المستشرقين ، وعلماء اللغات والتاريخ
والآداب لا نكون مستغربين ، أو بحسّته في ثقافات الغربيين ، بل حفدة
بررة ، لبعث ماضينا الخالد ، ونشر تراثنا الماجد !

فالمستقبل مازال يهيب بنا في مثل جملجة الرعد

(ألا أبها النوام ر. فكمرو هبوا) !

العرب

درج المؤرخون القدماء على تقسيم العرب في الجاهلية إلى ثلاثة أقسام :
البائدة ، والعاربة ، والمستعربة ؛ وقد استحسنتم تقسيمهم قسمين :
(العرب العاربة) و (العرب المستعربة)

(١) وإذا قلنا (العرب العاربة) فالمراد بهم العرب الخُلص الذين لم
يلتقوا بخنس معروف من القبائل السامية التي لقيح بها العرب المستعربة .
ويدخل في العرب العاربة (العرب البائدة) كشمود الذين أهلكوا
بالطاغية ، وكعاد من أهلكوا بريح صرصر عاتية ، وكطسم وجديس
الذين تفانوا ودقوا بينهم عطر « مَشَشِيم »
ويؤيد استحسان قول « حمزه الأصفهاني » (١) .

العرب العاربة عشرة : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وعماليق ،
وعبيل ، ووبار وجاسم ، (وقحطان) . . .

وقد بحث عن (عبيل) و (جاسم) فوجدت في الفيروز آبادي :
« بنو (عبيل) بن عوص بن إرم بن سام (كأمير) قبيلة من قبائل العرب العاربة
انقرضوا ، وفي مادة جاسم : « وبنو جاسم حي قديم ، وليس كل هؤلاء من
قحطان خلافا لزعيم الألوسي » (٢)

ومن هذه القبائل من كانوا يسكنون الجنوب مثل عاد ووبار وقحطان ،
ومنهم سكان الشمال كشمود - بعد هجرتها من الجنوب - وطسم وجديس .
أما قول العرب البائدة - وهم الذين نَجَّسُوا بما حل بإخوانهم فقد اندمجوا
فيمن بقي من قومهم من القبائل العربية الأخرى : قحطانية أو عدنانية -

(١) تاريخ سني ملوك الأرض ص ٨١

(٢) باوع الأرب ج ٣ : ٨٠

فليست من أبناء إسماعيل ، بل من العرب العاربة ، فشأنهم شأن أبناء حمير وسبأ ، لأن سقوط (الدولة السبئية) بانهيار سبيل العرم في القرن الثاني قبل الميلاد ، وسقوط (الدولة الحميرية) بالاحتلال الحبشى كان في أوائل القرن السادس الميلادى ، فلا يقتضى إحياء الشعب السبئى أو الحميرى ، فإن الشعوب باقية لا تنفى ، إنما تندمج ، أو تسمى بأسماء جديدة ، أو تتشكل بأشكال مغايرة كما سبق ، لظروف جربية ، أو اجتماعية ، كما يتشكل الماء ثلجا ، أو سائلا ، أو بخارا على حسب اختلاف درجة الحرارة .

(٢) وإذا قلنا « العرب المستعربة » فالمراد بهم العرب الذى صاروا عربا بعد أن لم يكونوا ، إذ الهمزة والسين والتاء للهيرة ، ويدخل فى العرب المستعربة « العرب الاسماعيليون » ثم « العرب العدنانيون » بعدهم ، وفيما يلى بيان موجز مرتب ترتيبا زمنيا بدول العرب من أقدم عصورهم فى الجاهلية :

دول العرب العاربة

امتازت العرب العاربة بدولها المتحضرة ، وحضارتها الخالدة ، وخلودها الذى كشفت عنه قصورهم ، ومدنهم ونقوشهم وخطوطهم وعلومهم وقوانينهم فى بلاد الين ، وفى العراق ، وفى مدائن صالح (الحجر) .

كما امتازت العرب المستعربة بأدائها ، وبدوايتها وأيامها التى خلدها آدابها . وقدم العرب العاربة أتاح لها فرصة الاستيلاء على أخصب البقاع العربية فى الين والعراق قبل المستعربة والتاريخ مابرح يحدثنا أن المدينتين القديمة إنما قامت على ضفاف الأنهار ، والسبب فى هذا خصب أرضها ، وقد انطبق ذلك على عرب بابل فى العراق

[مدينة الين] :

فكيف قامت مدينت الين وليس بها أهار ؟ قامت لأن أرضها خصبة ،

للكثرة أمطارها ، ولما لم تُسَعِفهم هذه الأمطار بما يريدون لتأسيس مدينتهم
الباذخة المرجوة ، أناروا همهم مهتديهم ، فوجدوا أن للأمطار موسما محدودا في
السنة ، وفي أكثر أيامهم لا تجود أرضهم . فوق أن الأمطار في موسمها يذهب
أكثرها بددا في جوف رمالها ، أو تنجم فتسكون سيولا تهدد مدنتهم وقراهم
ومخافدهم ومزارعهم ، فاستعانوا بالسدود لحزن هذه السيول ، كما تفعل الأمم
المتحضرة الآن بإقامة الخزانات على الأنهار ، وقد كانت هذه السيول بمثابة
الأنهار الطبيعية في غير اليمن : يستفيدون من مياهها في أى وقت ، فوق وقايتهم من
هجماتها ، ولما لمسوه من مزايا السدود أكثروا منها حتى تجاوزت المئات .

يدل على ذلك ما سجله الهمداني أنه كان في « يحصب » وحدها من
مخاليف اليمن ثمانون سدا أخذنا من قول شاعرهم « أبى العباس السلمي » :

وفي البقعة الحاضرة من أرضهم يحصب » ثمانون سدا تهذف الماء سائلا (١)

أشهر السدود :

ومن كبار السدود « سد عاد » و « سد الحُجج » و « سد سُحر » و « سد
ذى رُعين » .. ولكن أشهرها وأكبرها « سد مأرب » .

(سد مأرب) :

وعند ابن الحائك الهمداني أنه على كُنْثوا المأزمين .

وعند الباحثين حديثا أنه في الجنوب الغربي من مأرب حاضرة سبأ ،
وهو سد أصم طوله من الشرق إلى الغرب نحو ٨٠٠ ذراع ، وارتفاعه بضعة
عشر ذراعا ، وعرضه نحو ١٥٠ ذراعا ، وطرفه الشرقى على الجبل الشرقى ،
وطرفه الغربى على الجبل الغربى ؛ وهذان الجبلان متفرعان من جبال السراة
في الجنوب الغربى من السد ، وكلما بعدا عن السد انفرجا ، فأتسع الوادى
بين السد ومدينة مأرب ، وبلغ ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل (٢)

(١) الأكايل ج ٨ ص ١٣٥ .

(٢) نقله كتاب العرب قبل الإسلام عن 127 O. M. O. (1397)

مربع كانت جرداء قاحلة ، فأصبحت بعد إنشاء السد بساتين على سفوح الجبلين ، وبساتين هذين السفوحين هي المرادة بقوله تعالى :

« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية : جنتان عن (يمين) و (شمال) . . . »
موارد المياه :

وتتجمع المياه في الخزان خلف السد في (وادي أذنته) ، وهذا الوادي ملتحق عدة وديان خلفه أصغر منه ، منحدره من جبال السراة الممتدة مئات الأميال من الجنوب الغربي ؛ فإذا تساقطت الأمطار على جبال السراة انحدرت في هذه الوديان ، وساحت إلى الشمال الشرقي ، وحينئذ تتجمع كلها خلف السد في واد واحد هو (وادي أذنه) كما تقدم .

تاريخ سد مأرب :

دلت النقوش التي عثر عليها في القرن الماضي على أن « سمعل ينوف » بنى هذا السد ، وتاريخ هذا الملك يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد ، أي بعد قيام دولة سبأ بأكثر من قرن . أما تدمه فلم يحدث مرة واحدة ، بل حدث عدة مرات ، وفي كل منها كان يرمم ، ولسكن أكبرها هو الذي حدث في القرن الثاني قبل الميلاد ، فهو الذي بسببه عمت الكارثة بسبيل العمرم ، وزوال مملكة سبأ . وعند العلامة « غلازر » أن ذلك كان سنة ١١٥ ق . م ، أما منطق نظريتي فقد كان قبل الميلاد بنحو قرن ، وسيأتي إثبات ذلك عند برهنتي على عمر الجليل النسبي .

أما بعد فهذا أشهر دول العرب العاربة مرتبة ترتيباً زمنياً من أقدمها :

١ - [الدولة البابلية الأولى]

أقدم الدول العربية التي رجع كثير من المؤرخين ، وعلماء الآثار ، أنها عربية هي هذه الدولة واشتهرت بدولة « حمورابي » سادس ملوكها وأشهرهم وكانت حاضرتها « بابل » في العراق وامتد حكمها من ٢٤٦٠ - ٢٠٨١ ق . م (٣٠٨١ - ٢٧٠٣ ق . هـ)

٢ - [دولة العمالة] :

كان العرب يطلقون عليهم « العمالة » ، والفراعنة يسمونهم « الشاسو » واليونان يلقبونهم بالهكسوس . وكان مقرها أولا في « شبه جزيرة سيناء » وما حولها ، فزالوا يتجرشون بالمصريين حتى احتلوا مصر بعد بضعة قرون حوالى الزمن الذى تملك فيه العرب بابل .

وامتد حكمهم من ٢٢١٤ - ١٧٠٣ ق : م (٢٨٣٦ - ٢٣٢٥ ق . هـ)
وقل أن نجد بين الآثار المصرية ما يدل عليهم مع أنهم احتلوا مصر عدة قرون ، وما ذلك إلا لأن المصريين بعد إجلالهم هؤلاء المحتلين كرهوا أن يتركوا من آثارهم ما يدل عليهم ؛ بغضا للاحتلال الأجنبي ، فحوا كل نقش لهم يدل عليهم ؛ تعفية لآثارهم

٣ - [الأنباط] :

قامت هذه الدولة فى الجنوب الشرقى من فلسطين أول أمرها ، واتخذت « بطرا » قاعدة لها بين « تدمر » و « غزة » . وعن عجب أن مؤرخى العرب أغفلوا تاريخها ، وخططوا بين أنباط الشام وأنباط العراق ، ونقل « حمزة الأصفهاني » أن « الأرمانيين » هم نبط الشام و « الأدوانيين » هم نبط العراق . وحدثنا « ديودوروس الصقلي » المتوفى فى القرن الأول من الميلاد أنهم خلفوا « الأدوميين » فى بلادهم فى القرن الخامس قبله ، وإن كان الباحثون لم يهتدوا إلى أقدم ملوكهم قبل « الحارث الأول » الذى ولى العرش ١٦٩ ق م وآخر ملوكهم « مالك الثالث » وفى أيامه سقطت بلاده فى قبضة الرومان سنة ١٠٦ م ؛ أما (ثروتهم) فكانت من تجارتهم فى الروائح العطرية ، والمر والقار ، وكانت مصر أكثر الدول التى يصدرونه إليها لاستعماله فى عمليات التحنيط .

(أما لغتهم) فكانت العربية ؛ تبعاً لجنسهم عند كثير من الباحثين ، ونقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير العرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة فى أيامهم .

٤ - [الدولة المَعِينِيَّة] لم يكن لمؤرخي العرب علم بهذه الدولة، وإن كان «الهمداني» في إكليله أخبرنا أن من محافد اليمن - قصورها - «براقش» و «مَعِين» .

وفيهما قال مالك بن حريم :
وتحكي «الجوف» ما دامت «مَعِين» بأسفله مقابلة «عرشدا»
وقال علقمة :

وحلوا من «مَعِين» حين حلوا لعزمهم لدى الفج العميق
وهذه الدولة أقدم من «قحطان» بدليلين :

(الأول) (دليل النسب) وذلك أن من متوسط عدد الأجيال عصر النبوة إلى قحطان ٣١ جيلاً فدتها $31 \times 40 = 1240$ سنة وهي توافق قبل الميلاد سنة ٦١٨ سنة أى أكثر من ستة قرون .

(الثاني) (دليل النقوش) : وقد أخبرنا أن هذه الدولة أسست ملكها سنة ٢١٠٠ ق م فهذا التاريخ قبل زمن قحطان بنحو خمسة عشر قرناً ، وقبل دولة سبأ بنحو ١٣ قرناً بعد الموازنة بينهما وكانت حاضرتها القديمة «قرنا» والحديثة «مَعِين» ومقرها القسم الجنوبي من شبه جزيرة العرب في شرقي صنعاء ، ومؤسسوها من فلول الحمورانيين النازحين من العراق ، وقد امتد نفوذهم في إبان ذروة مجدهم إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط وخليج الدجيم وبحر العرب أى شبه الجزيرة كلها .

٥ - [دولة سبأ] :

وأشهر الدول القديمة دولة سبأ هذه، ومما وجه الأنظار إليها قوله تعالى عبرة بها : «لقد كان لِسَبَأَ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ...» فوق تسمية سورة من القرآن بها ، وكان مقرها اليمن ، وحاضرتها (سبأ وهي مأرب) وامتد حكمها من (٨٥٠ - ١١٥ ق م) (١٤٧٢ - ٧٣٧ ق م) .

وخبرنا « استرابون » رحالة اليونان بكثير من أحوالهم الاجتماعية والاقتصادية ، وبقى أمر ملوكهم سرا في ضمير الغيب حتى باحت لنا نقوشهم بكثير من ملوكهم بين (مكرب . أمير) و (ملك) .

(رأى الأنساب في تاريخهم) :

دلت شجرة أنساب القحطانيين على أن من عصر النبوة إلى سبأ الأكبر ابن يشجب ٢٨ جيلا مدتها $28 \times 40 = 1120$ سنة ، وهذه توافق سنة ٥٩٨ قم أى نحو ستة قرون . وقد دلت الآثار على أن حكم هذه الدولة بدأ في منتصف القرن التاسع قبل الميلاد .

فدليل الآثار أقدم من دليل الأنساب بنحو ٢٤٠ سنة فكيف التوفيق بينهما ؟

لا سبيل إلى ذلك إلا إذا رجحنا دليل الآثار على دليل الأنساب ، وهذه المدة التي نقصها الرواة أو بتروها من هذه السلسلة تعادل خمسة أجيال ، ومن الجائز جداً أن تسقط من سلسلة القحطانيين ، فلا عجب أن لا نجد أماننا من ٣٦ جيلا إلا ٣١ جيلا فعذر الرواة واضح ، لأن طول المدة من العصر الإسلامي إلى سبأ نحو خمسة عشر قرناً ، أفنلومهم وقد اجتهدوا بقدر ماوسعهم الاجتهاد ، فقاربوا الحقيقة بأكثر من ٨٣ ٪ !! في هذا الزمن المديد !! دون أن يعتمدوا في هذا على سجل رسمي أو كتاب مسطور !! بل كان كل اعتمادهم على الذاكرة !! بعد الحافظة !!

وبناء عليه نرى أن دليل النقوش أرجح ، ودليل الأنساب هنا لم يجاوز الحقيقة إلا قليلا .

[سقوط هذه الدولة]

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن سبب انهيارها انفجار (سد مأرب) وتدفق سيل العرم ، وهو عندى معقول ؛ اعتمادا على نظريتي التي ستأتى البرهنة عليها .

(يبنى وبين جورجي زيدان)

ولا يقال ما قاله المرحوم جورجي زيدان : « إنه لبعيد أن تعجز الدولة في إبان سطورتها عن انتقاء مثل هذا السبل وعن ترميمه » ! . إذ من أنباه وغيره أن ذلك الحادث كان إبان سطوة هذه الدولة !

إن الدليل على أنهم كانوا قد بلغوا نهاية الضعف أن تلك المأساة لم يجدوا ما يدفعون به شرها إلا الهجرة التي من قمتهم كل ممزق ، فكشف السبل عن ضعفهم ، ونثر كبرياتهم ؛ فحل بعضهم في الحجاز كقبيلة خزاعة ، وبعضهم في العراق كأجداد المناذرة ، وبعض ثالث في الشام فتأسست منهم دولة الغساسنة ، ويؤيد استنباطي تلك الهجرة التي أجمعت عليها كتب التاريخ ، وأن الدول غالباً لا تسقط إبان قوتها ، بل بعد أن تكون قد بلغت من الشيخوخة نهايتها ولا يقال ما قاله الشاعر :

من لم يمت غبطة يمت هرماً (١)

لأن هذا ينطبق على الأفراد لا على الدول . وهذا إذا راعينا القاعدة العامة لانحيار الدول ذوات القوة المطلقة ، أما إذا راعينا القوة النسبية ، فإننا نجد أن الدولة قد تكون قوية في ذاتها ولكنها ضعيفة إذا قيست بدولة أخرى ، ولنا في « ألمانيا الهتلرية » مَقْنَع .

ودولة سبأ لم تكن عندها « القوة النسبية » التي تضمن لها الحياة كدولة . فهي عن القوة المطلقة أبعد ، لذا عجزت عن انتقاء السبل ، وترميم السد إلا بالرحيل شأن الضعيف الهزبل المغلوب على أمره .

٦ - وبعدها [دولة ثمود] وقد قامت بالحِجر شمال الحِجاز ، وكان قيامها في (القرن الثامن قبل الميلاد) (والرابع عشر هـ) (وعاد و ثمود) ليسوا عدنانين ، لأنهم أقدم من عدنان ، وقد كان جيله قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون فهم أقدم بأكثر من خمسة قرون ، فما ينسب من الشعر العربي العدناني على لسانهم مدسوس عليهم ، ومما يدل على أنهم من العرب العاربة أن كتابتها بالحرف المسند الذي

(١) في القاموس المحيط : غبط الشيء تحركه من شبر غلة وهي شينة فنية والمراد هنا من لم يمت شاباً قويا مات ضعيفاً هجوزاً

كان لأهل اليمن القدماء ، ويظن « غلازر » أن « لحيان » من بقايا ثمود (١)
 ٧ - ثم [دولة حمير] وقد قامت على أنقاض دولة سبأ سنة ١١٥ ق م
 (٧٣٧ ق م) واستمرت حتى جاءها النذير . ثم الانهيار سنة ٥٢٥ م (٩٧ ق م)
 باحتلال الحبشة بلاد اليمن وبنحو ٤٦ سنة قبل الميلاد المحدثي وكانت تقيم
 دولة حمير في أيام الدولة السبئية في « ريدان » وهي « ظفار » قرب صنعاء
 بأذوائها وأقباها ، ثم اتسع ملكهم باحتلالهم مملكة سبأ بعد سيل العرم .
 فصار الملك منهم يلقب (ملك سبأ وريدان) وذلك في (ملوك الطبقة الأولى)
 أما (ملوك الطبقة الثانية) بعدها ، وهم التباينة فقد صار الملك منهم يلقب
 (بملك سبأ وريدان و حضر موت) وأول هؤلاء (شمر يرعش) من ٢٧٥ - ٣٠٠ م
 وكان من معاصري (امرئ القيس بن عمرو) صاحب (نقش التمار) وهو
 الذي حكم اللخمين في الحيرة من ٣٨٨ - ٣٢٨ م .

وقد سقطت الطبقة الثانية في عهد الملك (ذى نواس) الحميري اليهودي
 صاحب الأخدود : النار ذات الوقوه .

(٨) وإذا كان « قصي » أسس لقرش مملكة في الحجاز ، فصارت في
 حينها أكبر الممالك التجارية في بلاد العرب فان (القتبانيين) و (الحبشيين)
 سبقوه بأربعة قرون ؛ إذ قامت في اليمن حوالي الميلاد المسيحي (أوائل القرن
 السابع قبل الهجرة) فقبضت على مقاليد التجارة الداخلية واحتكرت صادرات
 إفريقية إلى جزيرة العرب ، وتأتق نجمهما في التجارة وحدها ، ولم تشغلا
 أنفسهما بالحروب ؛ ودلالة هذا أن سكانهما كانوا من القلة في درجة لا تسمح
 بتكوين جيش محترم للهجوم ، لذا لم يعترف بهما مؤرخو العرب ، ولم يذكروا
 عنهما إلا صوابات من الأخبار لا تشفي من علة ، ولا تنقح من غلة .

وبقول « الهمداني » (٢) في « جبا » « جبا مدينة المعافر وهي لآل السكرندي

(١) Glaser, Geo 124, 230

(٢) صفه جزيرة العرب ص ٤٥

من بني ثمامة آل حمير الأصغر، وفي القاموس المحيط: جباً كجبيل بلدة باليمن، وفيه أيضاً « قتيبان » (٣) بالسكسر موضع بعدن .

ويرى « غلازر الألمان » أن الجبئية طائفة من المعينيين ؛ استنباطاً من

نقوشهم .

ملوك حمير

الطائفة الثانية { ملوك سبأ وريدان وحضرموت وغيرها ٢٧٥ — ٢٥٥ م		الطائفة الأولى { ملوك سبأ وريدان ٢٠٥ م — ٢٧٥ م	
الملك	مدة الحكم	الملك	مدة الحكم
١ - شمر بن عرش (بن ياسر)	٢٧٥ - ٢٥٥ م	١ - عازمان نهمان	١١٥ - ٨٠ ق م
٢ - ذو القرنين : أفر يقس : الهصب	٢٥٥ - ٢٢٥ م	٢ - شعر أوتار بن علمان نهمان	٨٠ - ٥٠ م
٣ - عمرو زوج بلقيس	٢٢٥ - ٢٠٥ م	٣ - يريم أمين	٥٠ - ٢٥ م
٤ - بلقيس (الفارعة)	٢٠٥ - ١٧٥ م	٤ - فرع بنهب	٢٥ - ١٥ م
٥ - الهدهاد أخوها	١٧٥ - ١٥٥ م	٥ - الأشرح بن نهمان و ابنه نزل بين	١٥ - ١٠ م
٦ - ملك كيرب يوهنم (نهم)	١٥٥ - ١٢٥ م	٦ - يحمل بن	١٠ - ٥ م
٧ - أبو كيرب أسعد بن ملك كيرب	١٢٥ - ٩٥ م	٧ - وتار	٥ - ٠ م
٨ - حسان بن أسعد	٩٥ - ٧٥ م	٨ - كيرب ايل وتار يوهنم	٧٥ - ٥٠ م
٩ - شرجيل يعفر بن أسعد	٧٥ - ٥٥ م	٩ - خمر على ذرج بن كيرب ايل	٥٠ - ٢٥ م
١٠ - ينوف	٥٥ - ٤٥ م	١٠ - هلك أمير	٢٥ - ٠ م
١١ - معدي كيرب يوهنم و ابنه لحيدة	٤٥ - ١٥ م	١١ - خمر على بدين	٠ - ١٥ م
١٢ - مرثد اللات ينوف	١٥ - ٠ م	١٢ - وهب ايل يحز	١٥ - ٠ م
١٣ - ذونو اس (وبنو ايو نان)	٠ - ١٥ م	[ملوك مجوولون]	٠ - ١٥ م
١٤ - ذوجدن (لم يكن له حكم)	١٥ - ٠ م	ياسر أنعم	٠ - ١٥ م

(من العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ١٩٢٢ ، ١٩٢٣)

وهذا الجدول يخالف ما ذكره العرب من بعض الوجوه لسكنه أقرب إلى الصواب لأنه مبني على التحقيق ومقابلة ما كتبه (العرب واليونان) وما نقش (على الآثار)

ومن العجيب أن فيه تناقضا مع ما ذكره جورجى زيدان في مواطن أخرى ومن ذلك :

أنه جعل الهدهاد ملك حمير حكم هنا من ٣٤٥-٣٧٤ م وفي صفحة ١٢٦ : « ومن واقف الحميريين من ملوك الحبشة ملك اسمه « العلى اسكندى » حارب الهدهاد ملك حمير سنة ٣٤٠ م وخلفه « العلى عميدة » - حكم من ٢٤٠ - ٢٤٨ م مع أنه في الجدول هنا جعل حكم الهدهاد من ٣٤٥ فكيف يتاربه ٢٤٠ ولم يكن قد تملك بصريح عبارته في الجدول ! وبعد صفحتين جعله ملكا في تلك السنة !

دول اليمن الصغرى

ومن الملوك الصغار فى اليمن ، الأذواء ، و « الأقبال » ،

(١) فالأذواء جمع ، مفردة (ذو) بمعنى صاحب ويضاف عادة إلى الإمارة التى يحكمها فيقال ذو غمدان وذو يزن وهم نوعان : (الأذواء المشائمة) أى الثمانية ، والأذواء الآخرون ، والاولون ذكرهم صاحب القصيدة الحميرية فى ثلاثة أبيات منها وهى :

أين (المشائمة) الملوك وملسكهم ذلوا لصرف الدهر بعد جماح !
(ذو ثلبان) و (ذو خليل) ثم (ذو . . . شجر) و (ذو جدن) و (ذو صرواح) !
أو (ذو مقار) بعد أو (ذو جرقز) ولقد سحا (ذا عثكلان) ماح !

(٢) والأقبال جمع ، مفردة قليل ، كما يطلق عليهم المقاول مفردة مفول كبير :

وهؤلاء أكبر من الأذواء نفوذا وأوسع ملكا ، وإن كانوا أقل من

التبابعة، فهم بترتيب العظمة : التبابعة ، ثم الملوك ، ثم الأقبال أو المقاول ، ثم الأذواء . والنوعان الأخيران كانا مستقلين استقلالاً داخلياً ، لذلك كان يستوى لديهم أحكم اليمن أهلها من السبئيين والحيرين ، أم من الأحباش ، والمسلمين .

والمتصفح لتاريخ ابن خلدون ، يجد أنهم كانوا أحراراً في شؤونهم الداخلية إلى ما بعد الإسلام بأكثر من قرن (١)

ومن الدول العربية التي طواها التاريخ :

٩ - درنة بمرمر : وإذا ذكرت «تدمر» ذكر من كواكبها الالامعة والزباء . عند العرب ، أو « زينوبيا » عند الرومان .

كان مقرها في الشمال الغربي لبادية السماوة ، بين الشام والعراق ، ولموقعها طمع فيها الرومان ، فحاولوا فتحها في منتصف القرن الأول قبل الميلاد ، فخابوا ، إلى أن كانت سنة ١٣٠ م ، فاستسلمت لحمايتهم ، ثم اندمجت في مستعمراتهم .

« الزباء : زينوبيا »

وقد تضاربت آراء الباحثين في زينوبيا ملكة تدمر ، أهى الزباء التي اشتهر أمرها مع كذبة الأبرش الملقب كذلك بالوضاح ، أم غيرها ؟ ومن عجب أن أى باحث منهم لا يذكر أن أهل تدمر ، عرب أصلهم من البادية ، من بقايا العمالقة ، وأنهم مقسمون إلى أنفاذ ، شأن العرب ، وإن زمن تلك الشخصية المزدوجة واحد ، ومجال عظمتها واحد ، وأن زينوبيا من أشرف بيت فيها ، فهل إذا صاروا ملوكاً ، واتخذوا لغة الشام - وهي إذ ذاك الآرامية - للخبرات الرسمية والتدوين والنقوش ، أو نالت من إمبراطور الرومان لقب « سبتيميا » ، وهو من أرقى ألقاب التشريف عندهم ، أو خالفت العرب في بعض عاداتهم وتقاليدهم ، كعقبتها الآرامية والنبطية وبعض اللاتينية واليونانية فوق العربية ، وكاعتقادها ركوب الخيل في أسفارها دون الهواذج

إلا نادرا ، و كجموعها في مجلسها كبار الشخصيات من الأمم المختلفة ، و كتمجية القادمين عليها بالسجود لها جريا على عادة الأكاسرة ، و كاستعراضها جنودها في الميادين ، و في ميدان قصرها ، فوق صهوة جوادها ، متشحة بملابس الحرب ، متوجة بالخوذة الرومانية ، مجردة إحدى ذراعيها شأن قدماء اليونان ، أو تشبهت بملوك اليونان والرومان والفراعنة في تخليد ذكرها بتمثالين : أحدهما لها ، والآخر لزوجها أذينة ، أنذا فعلت هذا وأشباهه متأثرة بأخوالها (١) الرومانيين ، مقتبسة من كل جديد ، يجب تجريدها من جنسيتها العربية !

لم يعد هناك شك في أن زينوبيا هي الزباء ، ويدل على هذا ما نقش على تمثالها في حاضرتها (تدمر) ، فقد صرح في هذا النقش باسمها التدمري الصريح ، (زين) — بفتح الزاي ، والأنف المقصورة ، وعلى توالي الزمن جعل العرب ألفها المقصورة ممدودة ، فقالوا (زباء) ، وقد يتركونها مقصورة .

ولتقدم العهد عليها — بلغ نفوذها أقصاه سنة ٢٧١ م ، أي قبل الهجرة بنحو ٢٦١ سنة قريية — أخذ الرواة يذسجون حولها كثيرا من الأقاصيص الخيالية ، ومن وهمهم أنهم جعلوا اسمها صفة ، فنقل ابن السكلي أنها لقبت بالزباء لطول شعرها إذ كانت إذا مشت تدلى وراءها ، وإذا نشرته جللها .

إن حقائق التاريخ لا كرم من أن يلهو بها العابثون ، أو يستخرها لإربته الحاسدون .

فالحق أن الزباء هي زينوبيا ملكة تدمر ، صاحبة الشهرة التاريخية المدوية في الشرق والغرب ، عند الرومان والفرس والعرب ، للأدلة الستة التي قدمتها .

أما الناحية الأدبية شعرا ونثرا أو أمثالا بينها وبين « جديمة الأبرش » ، أو « قيصري » ، أو « عمرو بن عدى اللخمي » ، فستأت في النماذج الأدبية للهجة العرب قبل قريش .

١٠ — وردة المنازمة : بعد انهيار سد مأرب ، وانفجار سبل العرم هام السبئيون على وجوههم مشردين في بلاد العرب شمالا ، فذهب

فريق إلى العراق ، وثان إلى الحجاز ، وثالث إلى الشام ، فأما فريق العراق
فحكمت هناك نحو ثلاثة قرون ، حتى وامت الفرصة ، واستأنفوا ملكهم هناك ،
فحكمت (تنوخ) راية الاستقلال في أيام ملوك الطوائف من الفرس (١)
وأسسوا دولة آل تنوخ ، وتسمى كذلك (دولة آل نهر) أو (آل الحزم) أو
(آل عمرو بن عدى) أو (ماوك الحيرة) أو (المناذرة) وذلك سنة ١٩٠ م
(٤٣٢ ق هـ) وأولهم (الملك بن فهم الأزدي) وآخرهم (المنذر بن النعمان المخزومي)
وهو الذي أعاد ملك اللخمين إليهم ، وبقي الملك فيهم إلى أن فتح (الحيرة
خالد بن الوليد سنة ٦٣٢ م (١٢ هـ) وأشهر ملوكهم « جندبة الوضاح »
الذي قتلته الزباء .

و « امرؤ القيس بن النعمان » صاحب الفرسين ويومى البؤس والسعد ،
و النعمان بن المنذر ، أبوقابوس حاشد وفود العرب إلى كسرى بروين للمفارقة .
وكان نصيب هذه الدولة في تشجيع الآداب العربية أوفى من نصيب أية
دولة عربية في الجاهلية ، ومع هذا لم يسكن استقلالهم تاما بل كانوا في ظل
حماية الفرس .

(١) حكم ملوك الطوائف بلاد الفرس من بعد موت الاسكندر المقدوني ٣٢٣ ق م ،
إلى ما بعد التاريخ المسيحي بنحو ٢٠٠ سنة وهي نحو خمسة قرون وقد انتهت بقيام الدولة
الساسانية سنة ٢١٦ م .

دولة اللخمين أو المناذرة أو النصارى				ملوك الدولة الساسانية في فارس			
العدد	اسم الملك	سنة الحكم	مدة	الملك	سنة الحكم	المدة	
١	عمرو بن عدي بن نصر اللخمي	٣٦٨ م	٢٠	أردشير	٢٢٦	١٥	
٢	امرؤ القيس بن عمرو: البدء	٣٨٨ م	٤٠	سابور الأول بن أردشير	٢٤١	٣١	
٣	عمرو بن امرئ القيس	٣٢٨ م	٤٩	بهرام الأول	٢٧٢	١	
٤	د أوس بن قلام	٣٧٧ م	٥	« الثاني بن بهرام	٢٧٣	٣	
٥	امرؤ القيس المحرق بن عمرو	٣٨٢ م	٢١	« الثالث بن بهرام بن بهرام	٢٧٦	١٧	
٦	النهان الأعور بن امرئ القيس	٤٠٣ م	٢٨	نرسی بن بهرام	٢٩٣	٩	
٧	المنذر بن النهان الأعور	٤٣١ م	٤٢	هرمز الثاني بن نرسی	٣٠٢	٧	
٨	الأسود بن المنذر	٤٧٣	٢٠	سابور « ذو الأكتاف	٣٠٩	٧٠	
٩	المنذر الثاني بن المنذر	٤٩٣	٧	أردشير « بن سابور	٣٧٩	٦	
١٠	التعمان بن الأسود	٥٠٠	٤	سابور الثالث بن «	٣٨٣	٥	
١١	(علقمة أبو يعفر)	٥٠٤	٣	بهرام الرابع «	٣٨٨	١١	
١٢	امرؤ القيس ذو القرنين بن النهان	٥٠٧	٧	يزدجرد الأول بن بهرام الرابع	٣٩٩	٢١	
١٣	المنذر « بن امرئ القيس بن ماء السماء (والحارث بن عمرو السكندى)	٥١٤	٤٩	بهرام جور الخامس بن يزدجرد	٤٢٠	١٨	
١٤	عمرو بن هنده ضرب الحجارة بن المنذر	٥٦٣	١٦	يزدجرد « بن بهرام جور	٤٣٨	١٩	
١٥	قابوس (بن هند) بن المنذر	٥٧٨	٤	هرمز « فيروز بن يزدجرد	٤٥٧	٢٧	
١٦	(فيشمهرت أو زيد)	٥٨١	١	بلاش بن فيروز	٤٨٤	٤	
١٧	المنذر « بن المنذر بن ماء السماء	٥٨٢	٣	قباد الأول بن فيروز	٤٨٨	٤٣	
١٨	النهان بن المنذر أو قابوس	٥٨٥	٢٨	كسرى أنوشروان بن قباد	٥٣١	٤٧	
٢٠	(إلياس بن قبيصة الطائي)	٦١٣	٥	هرمز « بن كسرى أنوشروان	٥٧٩	١١	
٢١	(زاذيه الفارسي) بن ماهان	٦١٨	١١	أبرويز بن هرمز	٥٩٠	٣٨	
٢٢	المنذر المفور بن النهان	٦٢٨	٤	بن شيبويه بن كسرى إلى يزدجرد «	٦٢٨	٤	
				٣٦٤			

ويلاحظ أن أكثر ملوك الحيرة من نسل (عمرو بن عدى) - إلا سقة - هم من جعلت أسماؤهم بين أقواس ، ومن ملوكهم :

وكان أهل الشام وحواران ومن يليهما يؤرخون بتقويم بصرى عاصمة حوران ، وقد بدأ بدخولها في حوزة الروم ١٠٥ م. ومما نقش في ذلك الحجر أن عمرا توفى سنة ٢٢٣ أى بصروية ، وتوافق سنة ٣٢٨ م .

فكان تقويم بصرى بدأ سنة ٧٣ ق م أى بعد سيل العرم ببضع سنوات على نظريتي ، وبنحو ٤٢ سنة على رأى غلازر الألمانى .

١١ - دولة الغساسنة : وهذه الدولة أيضا من فلول عرب البين ، الذين شنت شملهم سيل العرم ، ولئن حل المناذرة في العراق لقد حل الغسانيون في الشام ، فوق أنهم لم يكونوا مثلهم في القوة أو في المكانة أو في تشجيع الآداب العربية ، ولم يكن تاريخهم واضحا وضوح التاريخ اللخمي ، ولا ملوكهم معروفين معرفة ملوك الأنبار ، ولا ترتيب ملوكهم ، وسنوات حكمهم بالدقة التي اشتهر بها ملوك آل نصر ، وإن كانوا مثلهم في تبعيتهم لدولة أجنبية .

وأقدم ما وصلنا عن تسلسل ملوك الغساسنة ، ما نبأنا به حمزة الأصفهاني^(١) أن ملوكهم ٣٢ ملكا ، وحكمهم نحو ٦٢٦ سنة ، ولهذا سأوسع في تحقيق أيامهم ، وعدد ملوكهم ، وبدء حكمهم ، اعتمادا على «عمر الجبل المملوك» الذي ابتكرته

رأى :

وعندى أن ملوك الغساسنة نحو ٣٢ ملكا موافقة لحمة ، ولكن حكمهم نحو ٤٨٠ سنة ، وهو قريب من تحديد أبي الغداء^(٢) ٤٠٠ سنة ، لا ٦٢٦ سنة ؛ إذ أنهم بعد هجرتهم إلى الشام كانوا في غاية من المازلة والحيرة ؛ لذلك التي حلت بهم بسيل العرم ، وكان الضجاعة وهم بنو عمهم وملوك الشام إذ ذاك

(١) تاريخ من ملوك الارض

(٢) ج ١ : ٧٦

على بيئة من منزلتهم وماضيهم وطموحهم ، فلم يسمحوا لهم إلا بالعيش المحدود والحرية الجزئية في تصرفاتهم .

عمر الجيل الملكي : ويرا بما وعدت به من قبل ، من تحقيق متوسط عمر الجيل الملكي ، وأنه أقل من متوسط عمر الجيل النسبي ، وتنظيماً لمدة العباسية . اخترت عشراً من الدول ، وقسمت مدة حكمها على عدد ملوكها ، فتج أن متوسط حكم كل ملك ، ١٥,٣ سنة . وهذه أسماؤها ، ومدة حكمها ، وعدمها ، والمتوسط النهائي لحكم كل ملك :

العدد	الدولة	مدتها حكمها	ملوكها	ملاحظات
١	الدولة الساسانية	٤٠٢	٢١	بدا حكمها : نهاية
٢	دولة الروم	٢٤٦	١٤	٦٢٨ م
٣	المناذرة	٣٦٠	٢٢	٦٤١ م
٤	الدولة الأموية	٨٨	١٤	٦٢٨ م
٥	» العباسية	٥١٥	٣٧	٧٥٠ م
٦	» الطولونية	٣٦	٥	٧٤٤ م
٧	» الفاطمية	٢٠٢	١١	٨٦٩ م
٨	دولة الأكراد	٧٨	١٠	٩٧٠ م
٩	» الأتراك	٢٧٨	١٠	١١٧٢ م
١٠	من محمد علي إلى الملك فؤاد	١٢٠	٩	١٢٥٠ م
		٢٢٣٤	١٥٣	

متوسط حكم كل واحد منهم = $2234 \div 153 = 14,6$ سنة

وقلت من « الجيل الملكي » عن « عمر الجيل النسبي » : لأن وراثة العرش عند الملوك ، ولدى تلك الأمم ، لم يكن لها نظام ثابت ، إذ ربما كانت لا كبير من في الأسرة ، وبعد مضي فترة يرى أحد الملوك أن يستأثر بولاية العهد لا كبير أبنائه هو ، بعد أن كان الحق من بعده لأخيه مثلاً ، فتثور أحقاد المستحقين ، وأطماع الأقوياء منهم ، فتكثر الفتن والفتن والفتن ، فتعصف بأعمار هؤلاء ، عصفاء ،

فيكثر عددهم وعمر دولتهم واحد ؛ ومن نتائج هذا أن ينكشف متوسط «عمر الجيل الملكي» ، وهذه القاعدة عندى لا غبار عليها ، بل هى أدق من المتوسط الذى اختاره الباحثة الألمانى « غلازر » لعمر الجيل فى دولة سبأ وغيرها ، وهو ٢٥ سنة . وبتطبيق نظريتى فى عمر الجيل الملكى على عدد ملوك الغساسنة وهو ٣٢ نجد مدتهم $32 \times 15,3 = 490$ نحو ٤٩٠ سنة منها ١٦ بعد هجرتهم ، فيكون حكمهم بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة ، وهذه تعادل منتصف القرن الثانى الميلادى ، أى قبل المدة التى حددها بعض الباحثين بنحو ٧٠ سنة ،

حيرة جورجى زيدان :

لم يستطع «جورجى زيدان» أن يوفق بين متناقضات المؤرخين فى هذا .

١ - فتراه تارة يقرر أن الغسانيين لم ينزلوا الشام إلا بعد أواسط القرن^(١) الثانى للميلاد وهو قريب من تقديرى .

٢ - وتارة أخرى يقول : وقد يكون نزولهم فى القرن الثالث .

٣ - وطورا يجد ستة من أولاد « الحارث الثانى بن جبلة » تولوا الحكم ، فياخذ من هذا التعداد أنهم كانوا متعاصرين ، إذ لا يعقل - عنده - أن يحكموا - الواحد بعد الآخر - بعد وفاة والدهم ، ومجموع مدات حكمهم ٩٤ سنة ! ،

ردى :

١ - أثبت قبلا أن الغسانيين حكموا الشام فى أواسط القرن الثانى للميلاد فهم نزلوا قبل هذا التاريخ .

٢ - وليس من الضرورى أن يكون الأخوة الستة عند حكمهم متعاصرين ؛ إذ بناء على أن عمر الجيل الملكى نحو ١٥,٣ سنة - وهو ما حققته - يصبح فى الإمكان أن تكون مدة حكم هؤلاء الستة ٩٤ سنة ، فتوسط حكم كل ١٥,٢ سنة ، فلا ضرورة للمعاصرة فى حكمهم .

وما ألجأه إلى افتراض المعاصرة إلا أنه سبق أن وافق « غلازر » فى أن

متوسط عمر الجيل ٢٥ سنة ؛ فيلزم على هذا أن تكون مدة حكمهم $٢٥ \times ٦ = ١٥٠$ سنة ، ولسكن الواقع كان نحو ٩٤ سنة ، فلا سبيل عنده للتوفيق إلا دعوى المعاصرة . لتتكشأ ١٥٠ سنة إلى ٩٤ سنة ، مطابقة للحقيقة ! ومن عجب أنه لم يلجأ إلى دعوى المعاصرة إلا في دولة الغساسنة دون جميع الدول ، وفي هذه ما يكفي لضعف دعواه ، وما يبطل زعم « غلازر » من استواء عمر الجيل النسبي ، وعمر الجيل المملكي .

١ - تواريخ اليونانية تؤيد استنتاجي لعمر الجيل المملكي :

جاء في هذه التواريخ أن الحارث الخامس بن جبلة أكبر ملوك غسان ، حكم من ٥٢٩ - ٥٦٩ م ، وبالرجوع إلى ترتيب الحارث هذا ، نجده الخامس والعشرين من ملوكهم ، و $٢٥ \times ١٥,٢ = ٣٨٠$ سنة ، وبضمها إلى سنة ١٥٠ م تمنع السنة التي بدأ فيها حكم الحارث ، وهي ٥٣٠ م ، وهي قريبة من ٥١٩ م ، التي سجلها مؤرخو اليونان ؛ فإذا عرفنا أنهم قرروا أن مدة حكمه ٤٠ سنة ، كان معناه أن وفاته كانت في نحو ٥٦٥ م .

٢ - ويؤيد هذا من ناحية ثانية ، تسجيلهم أن ذلك الملك شخص إلى القسطنطينية سنة ٥٦٣ م ، لمفاوضة القيصر بشأن ابنه المنذر ، ليكون خافاه في إمارة القبائل التي يحكمها .

٣ - ويؤيده من ناحية ثالثة ، أن هذا الملك الغساني هو الذي توسط لأمريء القيس الشاعر المكندي في الذهاب إلى « قيصر » القسطنطينية ، بعد أن أودع السموم دروعه ، إذ قد تقدم أن وفاة أمريء القيس ، كانت حوالى ٥٥٩ م أي في عهد هذا الملك الغساني .

٤ - دليل النسب يؤيد عمر الجيل المملكي :

وبتصفح ما سجله حمزة الأصفهاني أيضا (١) ، نجد أن جاني الضرائب لسليح - أصول الضجاعة - هدد « جندع بن سنان » إن لم يدفع الضرائب ،

(١) تاريخ سني ملوك الأرض ، ص ٧٦ .

ففضربه بسيفه حتى برّدوهو يقول : « خذ من جذع ما أعطاك » .^(١) فذهبت
مثلا ، فأندلعت الحرب بين ، سليمج « و غسان » فأخرجت غسان سليمجا .
ومن هذا يتبين أن « جذعا » هو الذي مهد السبيل ، فتأسست « دولة الغساسنة » ،
وبالبحث في شجرة أنساب حمير نجد من « جذع » إلى « قحطان » ٢١ جيلا
فمنه إلى الهجرة (١١ جيلا) مدتها ١١ × ٤٠ = ٤٤٠ قبل الهجرة (١٨٢ م) .
وقد سبق عند تحقيق متوسط عمر الجيل المسمى إثباتي أن حكم الغساسنة
بدأ قبل الهجرة بنحو ٤٧٤ سنة ، فهل بين التاريخين إلا ٣٤ سنة ، وهي أقل من
جيل واحد من أجيال النسب !

أول من ذكرهم اليونان من أمراء غسان في خدمة الروم ، أمير اسمه « جبلة » لم يذكروا والده ولا لقبه . وكل ما قالوه : إنه نصرهم سنة ٤٩٧ م ، فأخذ ثورة أفلقت راحتهم ، فنهضوه رتبة فيلارك (Phylarch) أى أمير . أو رئيس قبيلة ، وجعلوه عاملا على بطرا .

ويرى « نولدكى » أن جبلة هذا هو والد (الحارث بن جبلة أكبر ملوك غسان) وأكثرهم ذكرا في كتبهم من ٥٢٩ - ٥٦٩ م ، وأخبرنا صاحب « العرب قبل الإسلام » ، (١) أنه جاء في تاريخ مالالاس أن الحارث المذكور حارب المنذر ملك الحيرة سنة ٥٢٨ م - وهو المنذر بن ماء السماء ، الذى حكم من ٥١٤ - ٥٤٦ م « يوم عين أباغ » . ويذكر التاريخ أن الغسانيين اشتبكوا فى حرب مع المناذرة ، وانتهت بانتصار الحارث بن جبلة ، وقتل « المنذر بن ماء السماء » فى هذا اليوم الذى يسمى أيضا « يوم ذات الحيار » (٢) ٥٤٦ م وعقب « يوم الحيار : يوم عين أباغ » كان يوم حليلة ، وفيه حمل « المنذر الرابع بن المنذر المقتول » على الحارث الغسانى فى « مرج حليلة » ففسد إليه « لسيد بن عمرو والغسانى » فقتله غيلة و « الحارث بن جبلة » هو الذى توسط لامرىء القيس الشاعر ، فاتصل بقيصر الروم ، بعد أن استودع السموءل دروعه .

٥ - ملوك الأنباط يؤيدون نظريتي :

وأدق الأدلة التاريخية التى تؤيد نظريتي فى تحديد ١٥٣ سنة لم توسط « عمر الجيل الملكى » تاريخ الأنباط .

(١) فقد حقق المؤرخون الغربيون أن أقدم من عثروا عليهم من ملوكهم « الحارث الأول » وقد بدأ حكمه سنة ١٦٩ ق م .

(٢) وأن ملوكهم الذين عثروا عليهم ١٨ ملكا .

(٣) وأن آخرهم « مالك الثالث » وقد حكم من ١٠١ - ١٠٦ م .

تحقيقى :

١ - وبضرب عدد ملوكهم فى متوسط عمر الجيل الملكى الذى حققته

$$\text{ينتج } 18 \times 103 = 2754 \text{ سنة}$$

ب - وبمحصر الزمن الذى حكموا فيه قبل الميلاد وبعده ، ينتج أنه

$$169 + 106 = 275 \text{ سنة .}$$

إذن اتفق الدليل التاريخى لمدهم ، مع دليل الجيل الملكى الذى ابتكرته .

(١) ولم يبق بعد الآن شك فى أن عمر الجيل الملكى أقل من الجيل النسبى .

(٢) وأن أدق تحديد لعمر الجيل الملكى هو ١٥٣

(٣) وأنه لم يسبقنى إلى هذا الكشف ، وهذا التحديد ، أحد من الباحثين

قديمًا أو حديثًا ، غربًا أو شرقًا ، فيما أعلم .

(٤) وأنه بعد سقوط الأنباط فى أيدي الرومان بمدة ، قامت دولة

الضجاعة بأمرهم ، محمية برعايتهم ، فى أول القرن الثانى الميلادى .

(٥) وأن « الغساسنة » قاموا فى « حور » ان حوالى القرن الثانى الميلادى .

التنبؤ : فالنتائج التى نستخلصها مما تقدم هى :

(١) أن دولة الغساسنة قامت فى الشام قبل الهجرة بنحو أربعة قرون

ونصف (١٧٢ م) خلافا لحزبة الأصفهاني .

(٢) وعدد ملوكهم فى هذه المدة كانوا نحو ٣٢ ملكًا وفاقا لحزبة الأصفهاني .

وخلافا لجورجى زيدان و « فولدكي » .

(٣) وأن تحديد الغريمين لزمن قيام الغساسنة سنة ٢٢٠ م يدل على أن

القاعدة التى اتخذوها لقياس الأزمان الماضية المجهولة ، تقرب إلى درجة المطابقة

من قاعدة الأنساب التى اتخذتها دعامة من دعائم نظريتى التى ابتسكتها لتحديد

الأزمان المجهولة فى جاهلية العرب .

(٤) وأن البعثة الألمانية « إدوارد غلازر » بتحديد الجيل فى تواريخ

الملوك بخمس وعشرين ^(١) سنة ، جاوز الحقيقة بنحو الضعف ، فلا هو وافق جيل الأنساب ، المتصلة - وهو الذي حددته بنحو ٤٠ سنة - ولا هو وافق الجيل الملكي الذي أثبت أنه ١٥,٣ سنة باستقرآن عشر دول في ص ٢٢ السابقة ، من هذه الطبقة .

نصيبهم الأدب :

لقد شاهدت حاضرتهم « بصرى » في حوران ^(٢) كثيرا من مباحث أيامهم ورواقص لياليهم ، وطالما ازدانت مجالسهم فيها بالشعراء والأدباء ، لأنهم عرب خلص ، يهتزون للأدب اهتزاز الكريم للندى فحسب ، بل انسياقا وراء المنافسة الشديدة بينهم وبين المناذرة ، فعاد هذا على الأدب والأدباء بأطيب الثمرات ، ولو أنها كانت دون ما عند المناذرة ، ولعل السبب أن هؤلاء كانوا أغنى وأقنى ، وأكثر اتصالا بالشعراء والخطباء والحكماء ، فوق أن التاريخ مازال يتلو علينا أنباء الوفود العربية ، التي طالما أمّت بلاط الأكاسرة من خطباء وشعراء ، واهتمام ملوك الفرس بالقبائل العربية النازلة في مملكتهم ، أو الخيمة في حدودهم ، كأياد وتغلب وشيبان وتنبوخ وتميم وبنى لحيان ، إن هذا الاهتمام أوحى إليهم أن يؤسسوا ديوانا لترجمة من العربية وإليها ، وأن يسندوا مقاليدهم إلى « عدى بن زيد بن حماد العبادي التميمي » من أوائل من كتبوا بالعربية في ديوان الأكاسرة حماة المناذرة ^(٣) ، وليس الأمر كذلك عند الروم ، حماة الغساسنة .

وأشهر مداح الغسانيين من الشعراء « علقمة الفحل التميمي » و « النابغة الذبياني » فإنه بعد أن أوجس خيفة من « النعمان بن المنذر » في الحيرة للوشاية المشهورة في « قصة المتجردة » لجأ إلى منافسه « عمرو بن الحارث

(١) Glaser , Abb . 30 .

(٢) أنقاضها يطلق عليها الآن « إ-كي شام » .

(٣) الاغانى ج ٢ ص ١٠٢ .

الاصغر بن الحارث الأعرج ، الغساني ، فرحبوا بقدميه ، فكساهم من شعره حملا خلدت ذكرهم ، وأشهر ما قاله فيهم قصيدته في مدح هذا الملك ومطلعيها :

« كليني لهم يا أميمة ناصب »

وبعد أن ظل مشمو لا برعايتهم بضع سنوات ، أحس مرض « النعمان » ، فطار لحيادته ، وأزجى في ساحته أفازين استعطافه ، وروائع معاذيره ، فاستل ذلك سخيمته ، فأحله ما كان له من منزلة السابقة ، وأخذ البليل يغرد حتى فرق بينهما ريب الدهر .

وقبله « المرقش الأكبر » وأحدث من مدحهم حسان بن ثابت

١٢ - دولة كندة :

كانوا قبل تكوين دولتهم يسكنون « البحرين » و « المشقر » . فبنت بهم ، ففتحوا عنها إلى « حضر موت » باليمن ، وأقاموا هناك في بلدة « كندة » ، فأنصروا بملوك حمير ، فاستخدموهم لبعض أعمالهم .

واتفق في عهد « حسان بن تبع » ملك حمير - حكم من ٤٢٠ - ٤٢٥ م - أن « حجير بن عمرو » سيد كندة - وهو أخو حسان لأمه - انتظم في حاشيته ، ولم يلبث أن زاد إكرامه له ، فولاه قبائل « معد » كلها ، وسبب ذلك أن سفهاء بكر غلبوا على عقلائها ، وأكل قوتهم ضعيفهم ، فقرروا الحزم منهم أن يتصلوا بتبع اليمن : حسان ، لدفع الخطب ، فتم لهم ما أرادوا ، وولاه ملكا عليهم .

قدمه إلى نجد : فقدم « حجير » إلى نجد ونزل « بطن عاقل » وظل بها حتى مات ، ودفن هناك ، فتولى ابنه « عمرو بن حجير » بن عمرو آكل المزار . وفي أيامه فتح الأحباش اليمن ، فسقطت « دولة حمير » ، فضعف شأن « كندة » وقبيل وفاته تولى بمالكة أولاده بالترتيب الآتي :

- (١) حجر بن عمرو آكل المرار توفي ٤٥٠ م
 - (٢) عمرو بن حجر بن عمرو » ٤٩٠ م
 - (٣) الحارث بن عمرو جد امرئ القيس » ٥٤٠ م
 - (٤) حجر بن الحارث أبو امرئ القيس » ٥٥٠ م
 - (٥) امرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية » ٥٥٩ م
- رأى اليعقوبي (١)

كانت بين « كندة » و « حضرموت » حروب أفنت عامتهم، وطالت بينهم حتى ضرسهم، ولما كثرت القتل في « كندة » لانت بعض اللين، وكرهت محاربة « حضرموت » فدخل أهل اليمن النشيت، فانتشروا في البلاد، فملك كل قوم عظيمهم، وهاجرت كندة إلى أرض معد فجاورتهم (ثم ملكوا عليهم أول ملك منهم يقال له :

- (١) (مرتفع) بن معاوية بن ثور فملك ٢٠ سنة
- (٢) ثم (ثور بن مرتفع) فلم يقيم إلا قليلا ثم مات ٥٠
- (٣) فملك بعده (معاوية بن ثور) ٥٠
- (٤) ثم ملك (الحارث بن معاوية) ٤٠
- (٥) ثم ملك (وهب بن الحارث) ٣٠
- (٦) ثم ملك (حجر بن عمرو آكل المرار) ٢٣ وهو الذي حالف بين كندة وربيعة .
- (٧) ثم ملك (عمرو بن حجر) ٢ ٤٠ وغزا الشام ومن معه من ربيعة فلقية (الحارث بن أبي شمر)
- (٨) ثم ملك (الحارث بن عمرو) فقتله على الحيرة، وفرق ملكه على أولاده الأربعة: حجر وشرحبيل وسلمة ومعد يكرب .

(١) فحجر ملكه على (أسد وكنانة) .

(ب) وشرحبيل ملكه على (غنم) و (طى) و (الزباب) والمفضليات ص ٤٢٧ جعلته على (بكرين وائل) و (حنظله بن مالك) و (بنى زيد مناة بن تميم) و (بنى أسيد) و (طوائف أخرى من بنى عمرو) واتفق مع اليعقوبى فى الزباب ، وهم من عشيرة تميم .

(ح) وسلمة على (تغلب و (النمر بن قاسط) وزاد فى المفضليات (سعد بن زيد مناة بن تميم) .

(د) ومعديكرب على (قيس عيلان) .

وتفويض المفضليات هنا فتقول (١) : لما ملك [قباز ملك فارس] كان ضعيفا فتوثبت (ربيعة) على [النعمان الأكبر أبى المنذر الأكبر ذى القرنين] (٢)

فأخرجوه ، فخرج هاربا حتى مات (قباز) وترك ابنه « المنذر » فيهم ، وكان أرجى ولده عنده ، فانطلقت « ربيعة » إلى « كندة » - وكان الناس فى الزمن الأول يقولون : إن كندة من ربيعة .

فجاءوا « بالحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار السكندى » فلكوه على « بكر بن وائل » وحشدوا له ، وقتلوا معه ، فظهر على ما كانت العرب تسكن من أرض العراق .

تلى قباز عن المنذر : وأبى قباز أن يمد المنذر بجيش ، خشية أن يتسع الخرق على الراقع .

فلما رأى ذلك « المنذر » أرسل إلى الحارث السكندى : « إني فى غير قومي ،

(١) ص ٤٢٧ (٢) لقب بهذا الضميرتين كائنا له .

وأنت أحق من ضمنى، وأنا متحول إليك « ففرله إليه ، وزوجه ابنته «هند»
عمة امرئ القيس الشاعر .

تنظيم ممالك كفرة : فلم يلبث أن وجه عنايته إلى توطيد دعائم ملكه ،
مستعينا بأولاده ... وقد تقدمت ممالكهم — .

قتل الحارث الكندي أبى الملوک : لم ينس اللخميون ثأرهم ، ولم
يناموا عن ملكهم المسلوب ، وحقهم المنصوب ، فزالوا في تفكير وتدبير
حتى قتلوا (١) « الحارث » غريمهم الأول سنة ٤٥٠ م وأخذوا يشنونها
حربا شعواء ضد أولاده ، ويقول اليعقوبى هنا (١) « وقام ولده بما كان في
أيديهم ، وصبروا على قتال المنذر » حتى صاروا له أكفاء .

وهذا المنذر : فلما رأى أن السياسة أجدى من السيف تظاهر
بمسالمتهم ، ملو حاتم بالمصاهرة ، متوددا إليهم ، مرسلا بالهدايا إلى أخيه
سلمة (٢) ومن ناحية أخرى دس الى (شرحبيل) من أوغر صدره
لتخصيص أخيه بالهدايا دونه ، وما برح يؤجج نيران التنافس بينهما حتى
تفاقت الفتن ، وجمع كل واحد لأخيه الجموع ، وناديا بالجواز لمن يأتى برأس
الآخر !! ثم التقيا بين الكوفة والبصرة فمكنا يوما عبوسا قطريرا ، تسكشف
غبارة عن مصرع شرحبيل في (يوم الكلاب الأول) (٣) وكانت هذه
القذيفة الثانية للمنذر .

نرم سلمة : فلم يكده سلمة « يعلم الدم المسفوح ، ومتسرع شقيقه
لامور تافهة حتى أدرك عمق الهاوية التي حفرها المنذر ، ليتهاوى في قاعها
الأخوة المخدوعون ، واحدا بعد واحد !! فقال في زفرة حارة :

إن جنبي عن الفراش لناب كسجافى الأسر فوق الظراب (٤)
من حديث نبي إلى ، فما ير . . . قأ دمعى ، ولا أسبغ شرابى !!

(١) تاريخ اليعقوبى ج ١ : ٣٧٨ .

(٢) سلمة أكبر من شرحبيل على رأى اليعقوبى ج ١ ص ١٧٨ وشرحبيل هو الأكبر

على رأى سبج الاعشى ج ١ ص ٣٩١ (٣) الكلاب موضع بين البصرة والكوفة

(٤) البعير الاسمر ماى سرته داء يمنعه أن يبرك ، والظراب الحجارة الناتئة التي حدث
أطرافها كالسهم .

مصرع مصر :

وكانت ثلاثة الأثافي أنه لما اطمأن [المنذر] إلى السلاح الجديد : سلاح
النداء ، وإثارة الغن في خفاء وصمت ، بين السكنديين ، وقبائل العرب العدنانيين ،
اتجه إلى (قبيلة بني أسد) التي كانت تدين بالولاء ، هي وكنانة للملك حجر
ابن عمرو السكندى ، لأنه وجدها تربة صالحة لإتمام بدوره ، فما زال حتى رفعت
الستارة عن مصرع حجر سنة ٥٥٠ م !

مهران كندة : ويحدثنا التاريخ في إطناب ، عن المحاولات التي قام بها
امروء القيس بن حجر ، أمير شعراء الجاهلية للثأر ، وفشلها ، والتجائه إلى
ملك الروم بعد أن يئس من إقناع ملوك العرب وقبائلها قحطانية
وعدنانية .

أما عمه (الملك معديكرب) فلم يذكر لنا هذا التاريخ أنه مد إليه يد
النجدة ، بل تركه ينزل (بكرا) التي كان ملكها عمه : (شرحبيل) ثم تغلب
التي كان ملكها عمه (سلمة)

الشك في قحطانيتهم

لم أجد فيما مرني من تاريخ العرب إلا إجماعا على أن المناذرة ، والغساسنة ،
و آل كندة ، من عرب اليمن القحطانيين ، ولسكن بعض الباحثين الغربيين ،
وشايهم بعض المشاركة ، كجورجى زيدان ، يرون أنهم عدنانيون (١) لما يأتي :

١ - لأن لغتهم عدنانية لا قحطانية .

٢ - ولأن اليمينية كانوا يكتبون بالحرف المسند ، وليس لهذا الحرف
ذكر في كتابة هؤلاء ، أو في أطلاهم .

٣ - وأنهم لم يختاروا بعد « سيل العرم » مكانا في اليمن ، بل اختاروا
الشمال مهاجرا لهم .

(١) العرب قبل الإسلام ج ١ : ١٨١ .

- ٤ - ومعبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانية .
٥ - وليس في أسمائهم رائحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل أسماءهم عدنانية ، فلا دليل على قحطانية هذه الأمم إلا أقوال النسابين ، وهي أضعف من أن يعول عليها في هذا الشأن (١)

رأى

- ١ - أما أن لغة اللخمين والغساسنة وكنندة عدنانية لا قحطانية ، فسببه أنهم بعد تشتت شملهم بسيل العرم ، وتفرقهم في المدينة وفي مكة ، وفي عُمَّان ، وفي تهامة ، وفي الشام ، وفي العراق ، لم تصبح لهم تلك القوة التي كانت لهم ، مجتمعين في ديارهم ، وفي ممالكهم ، وبين بني جلدتهم وأهلهم ، وقد فارقتهم سطوة الملك ، ورهبة المنصب ، وأملت عليهم السياسة الرشيدة أن يصطنعوا - في غربتهم وكربتهم - لغة من حلوا بينهم ، والتفاهم معهم ، بل الامتزاج بهم .
٢ - ولم يتخذوا في كتابتهم حرف المسند ، ولا في نقوشهم خط الين ، تعفية على الماضي ، وسدا للتعالي على جيرانهم الذين قد يسيئون الظن بهم ، وقد يكون هذا من دواعي التهامهم ، أو مطاردتهم على أقل تقدير .

ولهذا نظائر في التاريخ

- (أ) من ذلك أن « العبرانيين » لما أقبلوا من الصحراء ، حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وعبروا الأردن ، فنزلوا فلسطين ، كانوا قبلا يتكلمون بلهجة آرامية ، أقرب إلى العربية منها إلى أى لغة أخرى ، فأخذوا يتعلمون لغة سكانها الأصليين ، وهي السكتنانية (٢) ، واتخذوها لغة التخاطب والكتابة .
(ب) والعرب في تلك الأحقاب ممن كانوا يخاطبون العالم المتمدين ، بالتجارة

(١) العرب قبل الإسلام ص ١٨٣

(٢) قصة الأدب في العالم ج ١ ص ٧٩

والسياسة ، اضطروا إلى معرفة حال الدولة ، وأهل الوجاهة ، ومعرفة لغتهم ، لاستخدامها في المخابرات والتدوين ، فتعلموا الآرامية ، وكتبوها بالقلم الآرامى لسهولة .

(ح) و (الجرمانيون) الذين هبطوا المملكة الرومانية قد اضطروا إلى تعلم اللغة اللاتينية ، وجعلوها لغتهم الرسمية ، أما عند الشخاطب فكان لكل طائفة منهم لغتها الخاصة (١)

(د) و (محمد على باشا) عندما اختار مصر وطنًا نهائيًا له ، لم يكن هو وشيعته وجنوده من العرب ، ولا لغتهم بالعربية ، أرادوا أولاً أن تسير اللغة التركية بجانب اللغة العربية ، فاتخذ الوقائع المصرية لسان هذه الرغبة ، وبقيت ردحاً من الزمن تحرر باللغتين التركية والعربية ، بل إن إسماعيل باشا نفسه عندما أمر بإنشاء « دارالعلوم » جعل الغرض من تأسيسها تخريج عدد صالح من المدرسين لتدريس اللغتين : التركية والعربية ، ولكن البيئة العربية لم تسمح لتلك البذرة الأجنبية أن تنمو في ظلالها ، فابتلعت العربية التركية ، واندمج الأتراك والأرمنوط ومن لف لفهم في المصريين ، وصار الجميع حماة النيل ، في ظلال أشبال إسماعيل .

(٣) ولم يهاجر الغساسنة والمناذرة وأشباههم ، بعد سيل العرم إلى أرض الين ، لأن كل الجهات العامرة كانت مزدحمة بأهلها ، ولا جدوى من سكناتهم صحارى الجنوب ، ومع هذا فكثرتهم من أملاك حمير ، أو غيرها ، وفي احتلال إحداهما إثارة للويل بعد السيل ، إذ أن عرب الجنوب كانوا أعرف بقيمة الوطن من عرب الشمال .

فالهجرة إلى الشمال أنسب وأرحب من جميع الوجوه ، وارتحلهم إلى جهة أخرى غير الين ، وبين قوم أدنى من غيرهم في سلم المدنية . من دواعي استقرارهم ؛ وتمتعهم بالهدوء حتى يلبوا شغبتهم ، ويثبتوا أقدامهم .

وهناك سبب آخر أشار إليه ان خلدون ، وهو أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضرة ^(١) ولا يخفى أن عرب اليمن أهل حضرة ، وعرب الشمال أهل بدو ، وإذا ثبت هذا ثبت أن عرب الشمال أسمح نفسا وأعز ضيفا ، وأظهر في عالم النجدة وإغاثة الملهوف .

وسبب ثالث ، هو أن نزوحهم الى الشمال يتيح لهم الفرصة ، فيتصلون بملوك الفرس في العراق ، أو ملوك الروم في الشام ، وقد يكون هذا مدعاة إلى إعادة ملكهم المفقود ، وأعلمهم الملهود ، والملسكية الحمة ، كاحمة النسب ، وأدنى من هذا أن يصيروا عمالا لهم ، وسفراء بينهم وبين القبائل العربية ، التي تقض مضاجعهم بإغاراتها المتلاحقة .

٤- وكانت معبوداتهم من معبودات عرب الشمال العدنانيين . إنما التنسب الذي أرادوه ، والسياسة الرشيدة التي اختطوها لمستقبلهم ، إذ لا يعقل أن ينزلوا ضيوفا بين قوم ضيافة أبدية ، ويشرعوا في التقرب منهم بما فيه صلاح الفريقين ، ثم يخالفوهم في أرهف الأحاسيس ، وأدق العواطف ، وهي الدينية فلا بدع إذا شاركهم في احترام آلهتهم ، بل تقديسها وعبادتها ، ولا سيما إذا كانت من الآلهة العامة للعرب .

٥- أما الحجة الأخيرة للمعارضين ، على أن المناذرة والغساسنة والسكنديين ليسوا بقحطانيين ، فهي أنه ليس في أسماء هؤلاء راتحة الأعلام السبئية أو المعينية ، بل هي أسماء سائر عرب الشمال ، ولا سيما الذين سكنوا مشارف الشام قبلهم ، كالأنباط ونحوهم ، مثل الحارث وثلعة وجبله .

والرد عليها أهون مما مضى ؛ لأن الأسماء ليس لها من الخطر مثل اللغات ، أو الكتابة أو المعاش أو المعبودات ، فإذا كان « مزروع » اسما يحدى ، فليس من الضروري إن أسمى واحدا من أبنائ به . بل ليس من الضروري أن يكون من أسماء المسلمين أو أسماء العرب أو المصريين ، لأن التسمية استلطاف ،

وكم رأينا من المصريين من يسمى بهتلر ، أو وليم ، أو اسكندر ، وليس ذلك بهين إذا أردت أن أمنع أبنائى من تعلم لغتى ، أو أردت لهم اعتناق دين آخر ، أو وطن ثان ، والضرورة التى أرغمت السبئيين على ترك أوطانهم ، أرغمتهم أيضا على أن يتأقلموا بالإقليم الذى نزحوا إليه ، فى لغتهم ، وكتابهم ، وعجوداتهم ، وعاداتهم وتقاليدهم ، فبأنك بأسمائهم ، وهى أهون الجميع ، فهل من عيب على علماء الأنساب إذا كانوا أمناء فى نقلهم ! وهل يلام ثقافتهم إذا أخبرونا أن انفجار سيل العرم أحدث فى بلاد اليمن ، رجة ، وأسقط دولة ، وأثار بين العدنانيين ضجة ، ونزحت فلول المنكوبين إلى أطراف الجزيرة ، مسودين ، بعد أن كانوا سادة ، وسوقة بعد أن كانوا ملوكا ! وأن الزمن لم ينصفهم ، بإرجاع مملكتهم إلا بعد أحقاب أربت على ثلاثة قرون ! .

فالحق أن الغساسنة والمناذرة والكنادية من القحطانيين لا العدنانيين .

١٢ -- طسم ومبرس :

قرر المؤرخون من العرب ، أن هاتين القبيلتين من العرب البائدة من إرم ، ليسوا من العدنانيين ، وسكانهم شرقى نجد فى اليمامة مواطن العدنانيين - يدل على أنهم نزحوا من الجنوب ، وإبادتهما فى أوائل القرن الخامس الميلادى يدل على أنهم كانوا يتكلمون باللغة العربية العدنانية ، أسوة بالدول العربية الجنوبية ، التى هاجرت إلى الشمال ، فقضت عليهم البيئة أن يتخذوا العدنانية لسانهم ، مثل كندة والمناذرة والغساسنة .

كيف نفأؤوا ؟ .

ويذكر مؤرخو العرب كذلك أن قبيلة « طسم » كانت لها السيادة على قبيلة « جدیس » وظلوا على هذه العلاقة مدة ، حتى آل الملك إلى رجل أحق من طسم ، فقضى الاتزف بكر إلى زوجها حتى يسبقه إليها ، وبعد حقبة فاضت الكأس ، فدفن الجديسيون سيوفهم فى الرمال ، وأقاموا ولية للملك الطسمى وحاشيته ، وبينهم منهمكون فى طعامهم ، انمال عليهم الجديسيون ،

فقتلوه، وتبعوا أكثر طسم فاستأصلوهم؛ فهرب بعضهم إلى حسان تبع
الين، مستنجدين به، فصار إلى جديس، فلم يبق منهم أحد، وهكذا تفانى الحيان،
ودقوا بينهم عطر مذهبهم

ما ينسب إليهم من الشعر :

إذا كان الأدباء لم يجدوا غضاضة في اعترافهم بشعر امرئ القيس
السكندی، أو عمرو بن معدى كرب الزبيدي، أو الشنفرى الأزدي، أو عبد
بغوث الحارثي، أو طفيل الغنوي، أو الأفوه الأودي، وجميعهم من كهلان .
ولم يعترضوا على الشعر المنسوب لزهير بن جناب الكلبي، أو عوف
ابن سبيع الجرمي، أو نهد بن زيد القضاعي، أو عمرو بن مرة النهدي، وجميعهم
من حمير إحدى شعبتي قحطان، فلا مانع عندي أن نعترف كما اعترفوا بشعر
الغطفانيين الذين اتصلوا بالعدنانيين، ولو قبل العهد القرشي، فكيف والشعر
الذي نسبوه إلى طسم وجديس كان في القرن الخامس الميلادي، في عهد حسان
تبع الين الذي حكم من ٤٢٠ - ٤٢٥ م أي نحو قرنين قبل الهجرة
وهو من معاصري (قصي بن كلاب) أول ملوك قريش ! .

لقد أجمعت كتب الأدب على أن «عُفَيْرَة» بعد أن نال منها ملك
طسم، قبل أن تزف إلى زوجها، خرجت شاقة درعها في أقبح منظر،
وهي تصيح :

لا أحد أذل من جديس !! أهكذا يفعل بالعروس !!
وبعد أبيات صاحت مرة أخرى وهي تنشد تحرض أهلها وقبيلتها :
أيحمُل ما يؤتى إلى فتياتكم وأنتم رجال فيكم عدد النمل !!
وتصبح تمشي في الدماء (عفيرة) عشية زفت في النساء إلى بعل !!
فلو أننا كنا رجالا وكنتم نساء لكاننا لانقر بذا الفعل !!
فوتوا كراما أو أميتوا عدوكم ودبوا النار الحرب بالخطب الجذل !!
فلما سمع أخوها الأسود، وكان سيدا مطاعا، جمع قومه وأعدوا العدة

ليسلم الشريف الرفيع من الأذى ، فلما أبادوا طسما قال :
ذوق بيغيك يا طسم بحالة فقد أتيت لعمرى أعجب العجب !!
(آثارهم) : ولطائن القبيلتين أو الأمتين قلاع ومدن أثرية ، فمن قلاعها
(المشتركة) لها ذكرى في أيام العرب ، ومن أشهر مدنها (القرية) في اليمامة
وهي حاضرة طسم .

(٣) العرب المستعربة

(إسماعيليون) ثم (عدنانيون)

خيّل إلى بعض الباحثين قديما وحديثا أن العرب (الإسماعيليين) هم
العرب (العدنانيون)

١ - أما القدماء فلم عذرهم إذا خلطوا بين الفئتين ، لأنهم يروون
ما هموا مقتضيا تارة ، ومخلوطا خرفه بדרه ، وحقه بباطله تارة أخرى ،
ولأن تطاول المدد السابقة مما يساعد على هذه الفوضى .

٢ - وأما الحديثاء فمنهم من تابع القدامى ، وأطرفهم ما سجله في أيامنا
الاستاذ « محمد جميل بيهم » رئيس المجمع العلمي اللبناني ، ورئيس إخوان
الثقافة (١) في قوله : « إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق
التوراة : فقد ورد ذكرهم في قصة يوسف ، خلال القرن الثامن عشر قبل
الميلاد ، وقد كان « جورجى زيدان » حذرا عند إيراده هذا الخبر فقال :
« فإذا صحت غزوة (بختنصر) كما ذكرها العرب كانت (معد) قبيلة كبرى
في القرن السادس قبل الميلاد (٢) .

والمؤرخون القدماء أوضح عذرا من البجائنة اللبناني عندما تنازلوا أن
أن « بنو خلد نصر » ملك آشور حاربت عدنان — والعرب يسمونه « بختنصر »

(١) كتاب فوائد العروبة ومواكبها خلال العصور ص ٣٩

(٢) العرب قبل الاسلام ص ١٦٩

والتوراة تسميه «نبوخذ ناصسر» (١) وأن (ابنه : معدا) كان إذ ذاك بعد العاشرة (٢) .

تحقيق

وبإعادة النظر فيما قرره الأستاذ «بيهم» بنده اشتمل على أمرين :
(الأمر الأول) أن العدنانيين كانوا معروفين في القرن الثامن عشر الميلادي
و (الأمر الثاني) أن أخبار هؤلاء (العدنانيين) أيضا ورد ذكرها
في التوراة في قصة يوسف، ثم في مناسبات أخرى ، ولكي أصل إلى الحقيقة
بحشت في سلسلة نسب عدنان أولا ، وفي التوراة ثانيا .

١ - أما في سلسلة النسب، فقد رأيت أن من الهجرة النبوية إلى عدنان ٢٢
جيلا، وقد أثبت فيما سيأتى أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة، فلمعرفة الزمن الذى
كان فيه عدنان يجب أن نضرب ٢٢ × ٤٠ والناتج هنا سيكون ٨٨٠، أى نحو
تسعة قرون، منها ستة قرون من الميلاد المسيحى إلى الهجرة، فيكون الزمن
الذى وجد فيه عدنان هو القرن الثالث قبل الميلاد .

والأستاذ بيهم قد قرر أن العدنانيين كانوا في القرن الثامن عشر
الميلادى ، والفرق بين تقديرى وتقديره هو الفرق بين ١٨ قرنا ، ٣ قرون
أى ١٥ قرنا، فهو زمن مديد كما ترى، فما حجة الأستاذ في هذا الفرق ، بعد أن
أدليت بحجتي ، معتمدا على سلسلة النسب ، التى كان القدامى يعتمدون عليها ،
ولو أنهم أنقصوا المتوسط عن تقديرى !

صرح مركزى :

وبما جعل مركزى حرجا ما تناقله مؤرخو العرب من اشتعال الحرب بين
(بخت نصر) و(عدنان) (٣) لأن المؤرخين العصريين قرروا أن (نبوخذ نصر)
آخر الغزاة من ملوك آشور، كان في القرن السادس قبل الميلاد !! فلو صح أن

(١) سفر إرميا اصحاح ٤٩ عدد ٢٨ وما بعد

(٢) تاريخ ابن الأثير ١ ص ١١٧

التوراة صرحت بوجود العدنانيين في زمن سيدنا يوسف، وصح أن مؤرخي العرب لم يجاوزوا الحقيقة حين أخبرونا بمعاصرة عدنان لبخت نصر، بل باندلاع الحرب بينهما، لسكان قاعدتي باطلة، واستنباطي خطأ!! وأسألوني في البحث أبعد الأشياء عن أساليب العلماء الباحثين!! والمحققين العصريين! رأى التوراة : وإزاء هذه الاعتراضات ، وإجماع مؤرخي العرب على الحرب العدنانية البختنصرية ، وأن ملك آشور كان في القرن السادس لا الثالث، لم أجد مناصاً من الرجوع إلى الحجة التي اعتمد عليها الأستاذ بيهم ، فأسرعت إلى التوراة، باحثاً عن قصة يوسف ، فلم أجد عنواناً لها بين أسفاره وعنواناتها التي بلغت ٣٩ سفرًا وعنواناً، من أسفار العهد القديم وفهرسته ، وإزاء تصميمي على الوصول إلى الحقيقة فيما نصت عليه التوراة ، عثرت — بعد طول التطواف — عليها في سفر التكوين ، ولم يقعدني أن إصحاحاته ٥٠ إصحاحاً، بل تابعت البحث والاطلاع حتى وجدت الضالة الممنشودة في الإصحاح ٣٧ ، ففي العدد ٢٤ يتحدث عن إخوة يوسف وطرحهم إياه في البئر .

وفي العدد ٢٥ وما بعده يقول : « ثم جلسوا ليأكلوا طعاماً ، فرفعوا عيونهم ونظروا ، وإذا قافلة إسماعيليين مقبلة من جلعاد ، وجمالهم حاملة كبراء وبلسانا ولاذنا ، ذاهبين لينزلوا بها إلى مصر ، فقال يهوذا لإخوته : ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه !! تعالوا نبيعه للإسماعيليين .. »

إذن ليس بدقيق قول الأستاذ بيهم : إن أقدم أخبار العدنانيين وصلت إلينا عن طريق التوراة !! لأن الذي وصل إلينا عن طريقها هو أخبار الإسماعيليين لا العدنانيين ، وإذا ساغ أن ينسب الأب إلى الآباء أو الأجداد فليس من المستساغ أن ينسب الأب أو الجد إلى الأبناء والحفدة، كما لا يصح أن ينسب المعلوم إلى المجهول ، أو الموجود إلى الذي لم يكن قد وجد .
فالنتيجة لهذا :

١ - أن العرب الذين كانوا في عهد يوسف لم يكونوا من العدنانيين ، بل

كانوا من الإسماعيليين .

ب - وأن عدنان لم يكن قد وجد في القرن الثامن عشر الميلادى ، فليس معقولاً أن يوجد له اتباع ، وأن تكون لهم أخبار !! بقى على أن أثبت أو أنفى قول النواره : « إن القافلة التى رآها إخوة يوسف مقبلة الى مصر كانت قافلة الإسماعيليين » إذ يجوز أن يكون هذا الزمن قبل أن يوجد الاسماعيليون أيضاً .

زمن اسماعيل :

إذا كان المؤرخون العصريون قد أثبتوا أن « يوسف الصديق » كان فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فقد أثبتوا أيضاً أن « إسماعيل بن إبراهيم » عليهم السلام كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد ^(١) ، فهل ورد فى كلام مؤرخى العرب ما يلقي ضوءاً على هذا الموضوع ؟

تصفحت عشرات من كتب التاريخ والأدب ، فعثرت بعد لائى على قول « أبى الفداء » فى تاريخه ^(٢) :

« اختلفوا فى عدد الآباء بين عدنان وإسماعيل ، فأكثر ما نقل ٤٠ أباً ، وهو الموجود عند أهل الكتاب ، أخذوه من كتاب « رخيا » كاتب « إرميا » وقيل ٣٠ أباً ، وقيل ٢٠ ، وقيل ١٥ وقيل ٩ ، وقيل ٧ آباء »

(١) وبتجربة الآباء إذا كانوا سبعة تبين أن المدة من إسماعيل إلى عدنان ، ثم من عدنان إلى الهجرة ٧ + ٢٢ = ٢٩ جيلاً مدتها ٢٩ × ٤٠ = ١١٦٠ سنة قمرية وهذه توافق ١١٢٠ سنة شمسية أى حوالى سنة ٥٠٣ قبل الميلاد المسيحى ، وهذا يخالف ما حققه المؤرخون العصريون من أن إسماعيل كان فى القرن ١٩ قبل الميلاد .

(١) العرب قبل الاسلام - ص ١٦٧

(٢) البداية والنهاية - ٢ : ١٩٣

(ب) وبتمجربة المدة على القول بأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا تبين أنها $٤٠ \times ٤٠ = ١٦٠٠$ سنة قريية أو ١٥٥٢ سنة شمسية ، وبما أن الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان ٢٢ جيلا ، وأن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا على قول الأكثرين ، فإذا الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد $٤٠ + ٢٢ = ٦٢$ جيلا ، مدتها $٦٢ \times ٤٠ = ٢٤٨٠$ سنة قريية أو ٢٤٠٥ سنة شمسية ، ونظرا إلى أن الهجرة كانت ٦٢٢ م يكون إسماعيل قبل الهجرة بنحو ٢٤٠٥ - ٦٢٢ = ١٧٨٣ سنة أي انه كان في القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، كما كان ميلاده في القرن التاسع عشر قبله .

ويؤيد هذه المدة ما حققه المؤرخون العصريون ، كما يؤيد أن الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلا قول الأصفهاني ، فإنه لم يكتف بذكر هذا الرقم فحسب ، بل ذكر اسم كل واحد من هؤلاء الأربعين في ترجمة أبي قطيفة الشاعر (١) .

زمن بنوخذ نصر :

ولتحقيق ما تناقله مؤرخو العرب ، من أن هذا الملك الغازي الآشوري ، الذي دوخ كثيراً من الأمم ، كان في عصر «عدنان» ، بل ثارت بينهما الحرب ، فانتصر الآشوريون ، وانهزم العرب ، يحسن في الرجوع إلى الزمن الذي كان فيه عدنان ، فنجد في القرن الثالث قبل الميلاد ، بناء على نظرتي ، وبالعودة إلى التاريخ الذي أجمع عليه محققو المؤرخين العصريين ، نجد (بنوخذ نصر) كان في القرن السادس قبل الميلاد . إذن كان الملك الآشوري قبل عدنان بنحو ثلاثة قرون ، وبهذا يتبين أن المعاصرة لم تجمع بين هاتين الشخصيتين الكبيرتين ، وبالتالي ليس صحيحا أن الحرب ثارت بينهما .

برهان التوراة :

ويؤيد هذا الاستنباط أيضا أن التوراة قالت عن « قيدار » وعن « ممالك حاصورا » التي ضربها « بنوخذ نصر » :

« هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيدار ، اضربوا « بني المشرق » يأخذون خيامهم وغنمهم . . »

وبنو المشرق هؤلاء ليسوا إلا العرب ، ولم تقل التوراة إنهم بنو عدنان بل نسبتهم إلى قيدار بن اسماعيل ويقول المؤرخون : أصبح الإسماعيلية في عرف التوراة من ذلك الحين قبيلتين : « قيدار » و « بنيت »^(١)

وفي عهد الملك الآشوري كان يطلق على العرب (الإسماعيلية) أو (أبناء المشرق) أو (أبناء قيدار) إذ لم يكن عدنان قد وجد فليس ثمة شك بعد هذا في أن عدنان لم يعاصر « بنوخذ نصر » أو (بختنصر) كما يسميه العرب ولم يحاربه ، خلافا لمؤرخي العرب ، ولا عبرة بإجماع مؤرخيهم على هذا ، إذ أنهم انساقوا بحسن نية إلى أول من نقل ذلك إليهم من القصاص ، وإذا كان القدماء معذورين في نقل هذا إلينا دون تمحيص ، فما عذر الأستاذ البجائي « بهم » ألم يكن في إمكانه أن يبحث أمر هذه المعاصرة بحثا علميا ، مستعينا ومؤرخة الغرب الحديثين ، وعلماء الآثار ! حقا لكل عالم هفوة .

القحطانيون ومؤرخو العرب

نظرية السلاسل النسبية التي ابتكرتها ، ودعمت قواعدها ، وقد نجحت نجاحا تاما في تحقيق تاريخ الإسماعيليين والعدنانيين ، لو أردنا تطبيقها على أنساب القحطانيين ، وتحقيق تاريخهم ، ما كنا إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه ، وما هو ببالغه وإليك البرهان : (تحقيق)

١ - تبين لي مما نقلته عن رواة العرب، وعلماء الأنساب منهم، أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان ٢٢ جيلا (في شجرة الكهلانيين) و ٣٠ جيلا (في شجرة الحميريين) فمتوسطهما ٣١ جيلا .

وزمنها $٣١ \times ٤٠ = ١٢٤٠$ سنة أى أن قحطان كان يعيش في القرن الثالث عشر قبل الهجرة والقرن السابع قبل الميلاد .

٢ - وبالرجوع إلى تاريخ القحطانيين عند علماء الآثار نجد « دولة سبأ » أقدم من « دولة حمير »^(١) .

(أ) لأن سبأ بدأت دولتها سنة ٨٥٠ ق م ، وسقطت بسيل العرب سنة ١١٥ ق م .

(ب) فاستولت على أنقاضها دولة حمير من ١١٥ ق م وفقدت استقلالها سنة ٥٢٥ م^(٢) بالاحتلال الحبشى .

٣ - وبموازنة تاريخهم الذى حققته، معتمدا على سلسلة النسب، بتاريخهم الذى حققه الآثريون، معتمدين على النقوش ، نجد تاريخهم الذى دلت عليه النقوش ، أقدم مما دلت عليه روايات علماء النسب، في شجرة أنسابهم، بنحو ٢٢٢ سنة ، وهذه تعادل نحو ٧ أجيال ، ومنشأ هذا الفرق

(أ) إما أن متوسط عمر الجيل عند القحطانيين يجب أن يكون ٧٢ سنة ، ويناقض هذا الاستقراء .

(ب) وإما أن في سلسلة النسب حلقات مفقودة تستغرق نحو ٧ أجيال فكم أن أجيالهم لو كانت كاملة لبلغت نحو ٣٨ جيلا ، ولكن متوسط ما أورده الرواة هو ٣١ جيلا وعندى أن الـ ٣٨ جيلا أقرب إلى الحقيقة ، لأن سقوط ٧ أجيال من نحو ٣٨ جيلا ، له نظائر في بعض فروع الأنساب

العدنانية وإن كانت هذه النظائر في أنساب العدنانيين أقل لقرب عهدهم إذا قيس بعهد القحطانيين ، ونجدها على قلتها في فروع الأنساب لا في أساسها للسبب نفسه .

الفجوة الزمنية : فليس عجباً أن نرى في تاريخ القحطانيين فجوة في أنسابهم ، تتبعها فجوة في زمانهم ، إنما العجيب ألا تكون هذه الفجوة مع تباعد الزمن ، أو أن نقراً لجورجى زيدان مناسبة حمزة الأصفهاني أن بين (حمير) و (الحارث الرائيش) أول القبايلة (مائة وخمسين أباً) !! ^(١)

فوضى تاريخ القحطانيين

١ — وقد راعتني ضخامة هذا العدد، فرجعت إلى حمزة في كتابه، فوجدته يحدد العدد بالحروف لا بالأرقام، مسجلاً أن الآباء بينهما (خمسة عشر أباً) ولا شك أن مازاد على ١٥ أباً وهو ١٣٥ أباً من سوء حفظ التاريخ القحطاني إذ أن الرواة وأخبارى العرب ومؤرخيهم ، قل أن يتفوقوا على أى شيء في هذا التاريخ جملة وتفصيلاً .

٢ — ومن ذلك أيضاً أن حمزة عند عدده ملوكهم ، وضع أمام كل ملك مدة حكمه، نقلاً عن بعض السابقين، فكان عدد ملوكهم ٢٦ ملكاً، وإذا جمعنا ما وضعه عن مدد حكمهم، نجدها ١٧٠٠ سنة، ولكن حمزة جعلها - بالحروف لا بالأرقام أيضاً - ٢٠٢٠ فكأنه لم تكفه الـ ١٧٠٠ سنة ، مع ما فيها من مبالغة فيما بها إلى ٢٠٢٠ سنة، وبذلك يكون قد تصيد من الهواء ٣٢٠ سنة .

٣ — وأفدح من هذا أننا قل أن نجد مؤرخين اتفقا على عدد ملوكهم أو أسمائهم ، أو ترتيبهم ، أو أعمالهم ، أو أزمانهم ، أو مددهم ، بما يدفع خالى الذهن إلى الاعتقاد أنه كان بين المؤرخين تسابق ، لإشاعة الفوضى في كل

ما له علاقة بتاريخ اليمن، تارة بالزيادة، وأخرى بالنقص، وطورا بالمبالغة، وأطوارا بالنحريف، فقددت تواريتهم ما يجب من الدقة والتسلسل والتحقيق، فجاءت كثر وبضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات

اللغة العربية بين « العاربة والمستعربة »

هذه اللغة التي نكتب بها الآن، ونقرأ بها، وتؤلف الكتب، ونحرر الجرائد والمجلات والمذكرات، هي أرقى أنواع اللهجات العربية للعرب المستعربة حفدة عدنان - حفيد إسماعيل عليه السلام - وما لا ريب فيه أن لهجة العرب الإسماعيليين كانت بعيدة الشبه عن اللهجة التي يستعملها العدنانيون، ولما كانت اللغات من السكائنات الحية، وأنها لهذا في تطور مستمر، كان لنا أن نحكم أن اللهجة التي كان يستعملها العرب لإسماعيليين أولا، غير اللهجة التي كانوا يستعملونها في عصر عدنان، وأن اللهجة العدنانية في أول أمرها، كانت (امتدادا) للهجة العرب الإسماعيلية في آخر أمرها، وأن اللهجة العربية الحالية تخالف اللهجتين السابقتين إلى درجة بعيدة.

فليس عجبا أن نجد مسافة الخلف بين لهجات اللغة الواحدة في تباعد مستمر، كلما تقدم العهد، فإن هذا التدرج من لهجة إلى أخرى، في اللغة الواحدة، منذ طفولتها إلى آخر ما قدر لها من عمر، أشبه الأشياء بالصور المختلفة لشخص واحد منذ ولادته إلى آخر حياته: وليدا، وطفلا، وغلاما، وشابا، وشيخا، وكهلا، وهرما، إذ البداهة تحكم بأن صورة هذا الشخص رضيعا غير صورته طفلا، وهما غير صورته شابا، وهن غير صورته كهلا، وهكذا، كما تقتضى بأن صورته هرما أبعد الأشباه عن صورته وليدا، وقياسا على تلك المراحل نجد اللهجة العربية - العدنانية مثلا - في طفولتها غير اللهجة التي كان ينطق بها العرب الإسماعيليون، ولهجة العرب العدنانيين في مهدها غير لهجتهم في عصر النبوة، وأبعد من ذلك لهجة العرب المستعربة عند العدنانيين إذا قيست باللهجة العرب العاربة عند القحطانيين.

لنظم العامية وثقافة الطبقة المتوسطة

يقول علماء اللغات: إن بينهما فروقا كثيرة في الإعراب، وفي الضمائر، وفي كثير من أحوال الاشتقاق، والتصريف، وأنهما تحتلفان اختلافا جوهريا، ويشهد هذا الاختلاف في المفردات نفسها؛ وأوجه الشبه والاتفاق أقل جدا من أوجه الخلاف (١).

الاختلاف بين اللهجات العامية

وإذا كنا لانشك في الخلاف الجزئي بين اللهجات العدنانية، كالربعية والمضربية وفروعها كالتبسية، والقيسية... فسكذلك يجب ألا نشك في لهجات اللغة العاربية، وما بينها من خلاف، ومثل ذلك لهجة المعينيين، فهي لا تتحد اتحادا تاما باللهجة السبئية في لغة حمير، فحروفهما واحدة تقريبا، ولكنها تختلف عنها اختلافا واضحا في ضمير المذكر الغائب، فإنه في « المعينية » السين. بدل الهاء في السبئية وسائر اللغات السامية، إلا البابلية والحبشية، فعند معين يقولون « يستبس » بدل « بيته » عند السبئيين، وهكذا.

ذلك لأن المعينيين اقتبسوا الأبجدية الفينيقية لسهولة استعمالها بالنسبة للحرف المسماى؛ ولأنهم كانوا جلبوها معهم عند ما نزحوا إلى ألين من العراق، فلهذا المعينيين أولا كانت لغة بابل العامية، وهذه كانت غير اللغة المدونة في العراق، وعلى توالي الزمن تنوعت تلك الأبجدية، حتى صارت قريبة من الحرف المسند، بقدر ما بعدت عن لغة بابل (٢)، لأن اللغات تتأقلم كما تتأقلم الكائنات الحية، ولكنها مع هذا التحول تظل محتفظة ببعض الأثرية اللغوية.

نماذج من تحمل العلماء

فكيف يسوغ مع هذا أن ينهض بعض علمائنا، كابن دريد في كتاب

(١) مقدمة ابن خلدون.

(٢) العرب قبل الإسلام ص ١١١

الاشتقاق، وحمزة الأصفهاني وغيرهما، فيحاولوا أن يرغموا الأسماء القحطانية مثلاً، على أن تكون مشتقة من أصل عدنانى !! وفاتهم أن قحطان أقدم من عدنان، وأن القديم لا يمكن أن يشتق من الحديث، وأن التباعد بين اللغتين كبير، وهذا مما شجع بعض الباحثين أن ينفوا عربية اللغة القحطانية، وأن يجعلوها فرعاً من اللغات السامية، لا من اللهجات العربية، وما دعا عمرو ابن العلاء التميمي أن يقول: « ما لسان حمير وأقصى اليمن بلسانتنا، ولا عربييتهم بحر بيتنا »^(١) وهذا بعض ما تمجله الأولون:

١ - سميت (دمشق) لأن من بنوها دمشقوا بنساءها أى أسرعوا فى إتمامه .

٢ - وعمرو (مزيقيا) جد الأوس والخزرج لقب بمزيقيا، لأنه كان يلبس كل يوم حلتين، ثم يمزقهما بالعشى^(٢)؛ أنفة أن يلبسهما غيره .

٣ - وسمى أحد موكلهم (سبأ) لأنه لم يدع بأرض اليمن واحداً إلا سباه !!

٤ - وسمى آخر (بطي) لأنه أول من طوى المناهل !! ومن عجب أن حمزة يستنكر الاشتقاق من هاتين الكلمتين^(٣) وحدهما !!

٥ - وأن (الحارث الرائي) - أول التبابعة - سمي بهذا، لأنه أول من غزا منهم، فأصاب الغنائم، فارتاشت حمير فى أيامه !!

إن هذا ليذكرنى بما كان من أحد فقهاء الريف عندما سئل: ما اسم أخى سيدنا يوسف؟ فأسرع قائلاً: اسمه فمكتل! وحيثه فى هذا قوله تعالى: وفأرسل معنا أخانا فمكتل وإنا له لحافظون !!

فضل الملوك على التاريخ

وبهذا يعرف أن الفضل للملوك فى تزويد التاريخ الإنسانى بهذه الوثائق،

(١) طبقات الشعراء. للجمعى (٢) القاموس المحيط

(٣) تاريخ بنى ملوك الارض ٨٢

التي لم تقتصر على تخليد ذكراهم وحدهم ، بل خلدت معهم أممهم ، ومدنياتهم ،
ودرجة ثقافتهم ، وبعض رجالهم في ميادين الحرب ، أو الطب ، أو الدين ،
وهي الأمور التي ما برحت لها السلطان الأعلى ، على رجال الشرق إلى اليوم .
وإن في هذا لفرصة عادلة ، للملوك والحكام في الزمن القديم ، يخفف ما ينسب
إليهم من قسوة ، ومظالم ، واستبداد ؛ إذ أنه لا يقوانى أى قوى حتى في هذا
العصر ، من اللجوء إليها ، إذا ما دعتة الفرصة ، تصديقا للأثر : « الظلم كبير في
النفس : القوة تظهره ، والضعف يخفيه » .

ولولا الملوك ، ورغبتهم في تخليد ذكراهم ، بأمثال تلك النقوش والرسوم ،
في أمثال تلك الأجرات والصخور ، ما عرفنا شيئا عن المدنيات القديمة ،
أو الدول التاريخية ، أو لغاتها ولهجتها ، أو علاقتها بالأمم المجاورة .
أفيسوغ لمنصف بعد هذا أن يباليخ في قذف الملوك التابعة مثلا ،
أو الفراعنة ، أو الأكاسرة ، أو القياصرة بعد ما سطروه في كتاب الإنسانية
الخالد ، من أبحاد باذخة ، وآساس متينة ، ومدنيات خالدة ، وقد ذهب الظالمون
والمظلومون ، وبقى ما هو أجدى ، هدية من الأجداد ، وحلقات ذهبية تربط
الماضى بالحاضر !

ما هو الأدباء

وقد يكون عجيبا ، أنه في الوقت الذي كان الملوك يأمررون ، فتنقش
آثارهم ، ثم يشيرون بحفظها ، فتصبح سرا في ضمير الغيب ، وخيافي الكهوف
والأنفاق ، وعلى التماثيل والمعابد ؛ كان علماء الرواية من ناحية أخرى ،
يسجلون آثار الأدباء ، من شعر وخطب ونصائح ، ويستودع الشعراء ورواتهم
ما تنزل به عليهم شياطينهم ؛ وقد صار المعسكران أحقابا متطاوله ، يسيران
جنبنا إلى جنب متوازيين ، ولو أنهما لم يكونا متكافئين ١١ فما السر في أن
مد الحادثات وجزرها ، نال من الملوك والحكام ، أعظم مما نال من الشعراء
والخطباء ، وأنها نستطيع أن نسرده كثير من أنساب الشعراء القحطانيين مثلا ،
وأنساب الأوس والخزرج ، من عصر النبوة إلى قحطان ؛ ونعجز كل العجز أن

نجد هذا الحظ للملوكهم أو ملوك الغساسنة؟ يخيل لي أن أهم الأسباب :
١ - أن الأدباء كانوا أقرب إلى قلوب الأمة العربية ، فاحتفظت القبائل
بآثار من أحببت .

٢ - وأن الآثار التي تركها الملوك ، كانت مادية ، منقوشة على آثار مادية ،
أما الأدباء فآثارهم - في كل زمان ومكان - أدبية ، وعطب الماديات أسرع من
عطب الأدبيات ، وخلود المعنويات أبقى من خلود الحسيات .

٣ - وآثار الملوك في القديم ، كانت فخراً لهم وخدم لا لأمتهم ، أما
الشعراء فكانوا ألسنة القبائل المترجمة عن آمالها وآلامها ، المسجلة لأيامها
ومواقفها ، الذائدة عنها وعن أحاسيسها ، فاحتفاظها بآثار أدبائها طبعي ، لأن
كل شخص منهم كان يرى فيها خليجات نفسه ، ونبضات قلبه ، ومشار شعوره ،
ووحى ضميره ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كانوا يرون في هذه الآثار
غذاء لأرواحهم ، وبلسم لجراحهم ؛ وهذا ما لا يجدونه في آثار الملوك إلا
إذا كانوا عدنانين : شعراء أو خطباء ، وفوق هذا نجد فيما بقي لدينا من الآثار
الأدبية الجاهلية - على قلتها - برهانا على صدق شعور العرب ، وحجة
على إيمانهم ، وشاهداً على كبريائهم ، وهذه هي الحرية الحقة التي ينبغي بها
الغريبيون الآن ؛ زعماء منهم أنهم باذرو بذرتها ، وطلائع نهضتها .

كيف نبعث مجدنا المظمور؟

الواجب علينا نحن العرب بعد الآن ، حكومات وهيئات ، أن نتعاون لبعث
هذا التراث الدفين ، والمجد المظمور ، وذلك لا يكون إلا بأمرين :

(الأول) أن نرسل بالبعوث العلمية إلى جامعات الغرب ، ليمتلق أبناءنا
دروساً مختلفة ، في كل اللغات الشرقية الأثرية : لغات الشعوب العربية البائدة
والعاربة كالبابلية والنبطية .. سواء منها ما ثبت نهائياً أنه لأقوام من العرب ،
وما اختلف فيه العلماء أهى لشعوب عربية أم غير عربية ، ويزودون في
أثناء ذلك بتاريخ تلك الأمم ومدنيتها .

(الثاني) أن يرسل الحفر يحجون — بعد تشجيعهم بمضريات المرتبات والمكافآت وكبر الوظائف — إلى بلاد اليمن والحجاز وفلسطين والشام والعراق، وبقية البقاع الأثرية في الجزيرة العربية، فينفضوا أرضها حجرا بعد حجر، ومحفدا بعد محفد، ومخلافا بعد مخلاف، وقطرا بعد قطر؛ وفي أثناءها يبحثون، ويسجلون، فقتولى الحكومات العربية طبعه ونشره، في الممالك كلها، بين علماءها، لا فرق بين العرب وغيرهم، ويدرس بعدها في كل المدارس العربية، كل بما يناسبها. بهذا وأمثاله نكون قد قنا بشيء مما يجب علينا، نحو آباءنا الخالدين، وبعث مدنياتهم، وبشيء مما يجب علينا لبنائنا وحفدتنا، ولأنسل بعد ذلك عن نتائج ذلك الجهاد الثقافي الموفق إذا شاء الله تعالى.

أهدت الباهيين عن آثارنا

وما يثير هممنا لتحقيق هذه الآمال، أن الغربيين مازال شغفهم يتزايد يوما بعد يوم، بالبحث عن آثارنا، مسلحين بأحدث الأساليب العلمية، ولم يسكنفهم ماعثوا عليه في عدن من القرن الثامن عشر الميلادي، وهأنذا أقرأ الآن في ١٨/١/١٩٥٠ برقية لوكالة الأنباء العربية في القاهرة، عن وصول الدكتور الكسندر هونيان، أستاذ العلوم الشرقية في جامعة د سنت أندريو، بأسكتلندة، والدكتور وليم البرايت، رئيس قسم العلوم الشرقية (بجامعة جونز هوبكنز في ولاية بالتيمور الأمريكية.

وستسافر هذه البعثة إلى (عدن) للانضمام إلى د البرت جام، الأستاذ بجامعة لوفان البلجيكية، للتنقيب عن الآثار في تلك المنطقة، واستقراء تاريخها القديم.

مصري يحمل في سماء اليمن

وإشراف الحكومات العربية، والهيئات العربية، لبعث تراث الآباء والأجداد، ليس مستحيل المنال، أو عسر التنفيذ؛ فقد استطاع فرد منا نحن المصريين — وهو طيب الذكر سعادة حسن أنيس باشا — أن يستعد لهذا الأمر، وأن يرود تلك البقاع، وأن يوجه أنظار العالم المثقف بأسلوبه

العصرى ، وطيارته الصغيرة ، وأن يمد العلماء والأثريين ببحوثه النافعة ،
وخرائطه الدقيقة ، لحدود مملكة سبأ ، وسد مأرب ، ومحاضراته المتعددة في
« لندن » . و « الجمعية الجغرافية بباريس » وأنبائه التى كانت تتخاطفها
بجلات العالم وجرائده وشركاته البرقية .

وأن يسترشد ببحوثه وعلمه وخبرته ، العالم الفرنسى « مسيو أندريه مالرو »
وهو المؤرخ العظيم ، سنة ١٩٣٤ أى من ١٥ سنة لا غير ، ومعه « الكابتن نوريليون
الطيار الفرنسى » وقد أصر هذان الفرنسيان على أن يكون بحاثنا ثالثهما
إلى تلك الأصقاع الأثرية ، فتم لهما ما أرادا ، وشاهدا أروع آثار سبأ . وسدها .
وصورا كثيرا مما شاهدا ، وهما مخلقان فوق تلك الأطلال والدمن ، العزيزة
علينا ، الجاثمة هناك جثوم « أبى الهول » فى بطحاء الأهرام ، إنى أعتقد أن حكومات
العرب وشعوبها وهيئاتها العلمية ، لا يهجزها أن تشرع فى مثل ما شرع فيه
واحد منا ، ولا أقل شغفا بالبحث عن كنوز نامن « مؤسسة دراسة الإنسان
الأمريكية » التى وصلت بعثتها الآن إلى عدن لهذا الغرض .

نصيبى المتواضع لبعث أصحابنا

وهل يسوغ لى أن يشير على الناس بالبر ويبنى نفسه ؟ لا ، لهذا لم أقبل
أن أظل بمنأى عن نصيبى ، والقيام به - بقدر استطاعتي - فى هذا الجهاد ، فى
الوقت الذى أهيب بأبناء العرب الأكرمين أن يسرعوا لتنظيم العمل ،
وتحقيق الأمل ، ونشر المآثر العربية بالأساليب العصرية ، وقد كان أول ما أثار
حيرتى ، أن العلماء أصبحوا على بيئة من توارىخ الأمم القديمة ، بفضل ما كشفوا
من نقوشها ، أما العرب العدنانيون فلا نقوش لهم تذكر « وما ورد إلينا على السنة
الرواة مشوش مضطرب ، مختلط قديمه يحدشه ، وخزفه بدره ، لا يعرف
السابق منها من اللاحق ، ولا أقدم آثارهم الأدبية ، ولا زمانها ، ولا رجاها ، ولا
أول من قصد القصائد ، ولا طفولة الأدب العربى ، ولا ترتيب أيامها . .
فاستلهمت الله فى ١١/٩/١٩٢٨ م : ذكرى ميلادى ، وأخذت أطلع على مئات

من المراجع شرقية وغربية ، وبعد سنين بدأت أسجل « شجرات الأنساب العربية » فإذاً وقد فرغت من تشجير قبائلها ، وتسجيل أنسابها ، وهو أول عمل من نوعه في التاريخ ، لم يسبقني إليه أحد ، إلا ما كان من « محاولات جزئية » أبرز مظاهرها كان في العصر العباسي وما بعده ، من تشجير الأنساب النبوية ، وفي العصر الحديث عن بعض المستشرقين شيء ، كهذا ، فسلموا في جداول أنساب بعض الدول الإسلامية .

أما التشجير الكامل لشعوب العرب ، وعمائرهم ، وقبائلهم ، وبطونهم ، وأخاذهم : عدانهم وقحطانهم ، فأمر أخرب به ، وأسجد لله شكرا أن أظهره على يدي ، وطواه عن غيري من أقدم العصور العربية إلى الآن . وأبرزه على يدي وحدي ، في أنسب الأوقات ، وفي هذه الأيام التي أخذت الدول العربية فيها تسمح عن عيونها الكرى ، وترنو إلى مستقبلها الزاهر الباسم ، وتوثق الصلة بينها وبين ماضيها المجيد ، وتنهض « الجامعة العربية » لرأب الصدع ، وتوجه بالدول العربية ملتزمة متفاهمة ، إلى حياة العزة والكرامة ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . وحسبي أن أشير هنا إلى أهم شجرات النسب التي ألفتها :

العدد	الشجرة	ملاحظات
١	شجرة ربيعة	شعراؤها من أول من حملوا لواء الشعر العرب من العدنانيين في الجاهلية كانوا ورثة ربيعة في الشعر
٢	» قيس	آل إليهم الشعر بعد قيس فظل فيهم مئات السنين وأنضج ثمراتها المزارعة ، عشيرتي الأقرعون وهم من بني تميم ، وحسبها أن من ثمراتها جرير والقرزدق وهم حماة الدمار وأباة الضيم
٣	» بني تميم	وحسبها أن منها سيدنا محمد ﷺ ، وخلفاء الدولتين : الأموية والعباسية
٤	» السعديين	ومنهم نساء الشهور ومنها كثير من الشعراء كالسكيت وعبيد بن الأبرص ومن شعرائها أبو ذؤيب الهذلي ، وقد أسهمت في الوضع اللغوي وكان فيها نيف وسبعون شاعرا مشهورا (١)
٥	» الحنظلة	وهم من القحطانيين ومنهم الأنصار : الأوس والخزرج ومن قبائلها قضاة ، بطونها وأشاذها
٦	» بني عمرو بن تميم	» » »
٧	» قريش	شجرة السكهلانيين
٨	» كنانة	» » »
٩	» أسد	» » »
١٠	» هذيل	» » »
١١	»	» » »
١٢	»	» » »

قيمة هذه الشجرات

كان في نيتي أولاً أن تكون هذه الشجرات بمنزلة المصورات الجغرافية ، وسيلة للإيضاح ، ومصورا تاريخيا ، يعتمد عليه المؤرخون والأدباء ، لمعرفة قبائل العرب : فروعها وأصولها ، وعدنانيتها وقحطانيتها ، ومن أبحاثهم كل شجرة من العظماء في كل مناحي العظمة . . . ، لأن احتياج الدراسين الآن إلى وسائل الإيضاح ، أصبح لا يقل عن احتياج الكائنات الحية إلى الهواء ، ولكن عدلت عن هذا لكثرة النفقات ، ولأن النفوس لم تنهأ بعد لمثل هذا العمل .

ومن لي بمن يقنع وزارة المعارف بأثر هذا المشروع !

فما زلت أفكر وأقدر ، وأوازن وأدبر ، حتى عوضني الله خيرا من مشروعى السابق ، وأوحى إلى أن أتخذ هذه الشجرات ، وسيلة لأزمان الشعراء والأدباء ، ومن أعرف سلسلة نسبهم من القواد والملوك ، وكل ذى مكانة من العرب .

وماذا يمنع من انتهازى الفرصة ، وابتكارى « قاعدة حسابية » لتاريخ العرب ، وتاريخ آدابهم فى العصر الجاهلى أساسها الأول شجرات النسب .

ولسكن ، الشجرات لا يمكن أن تحدد زمانا وإن استطاعت أن تحدد تسلسلا .

نعم إن آثار العرب فى أطراف جزيرتهم قد تتضافر مع الشجرات ، ولسكن الآثار - وإن كانت ترشدنا إلى أسماء بعض الملوك ، أو ظلال مدينتها - ليس للأدباء فيها من نصيب ، لأن الملوك فى كل الآثار هم مركز الدائرة ، ونقطة الارتكاز ، والهدف الأول والآخر .

إذن لابد من ضميمه إلى هذه الشجرات ، حتى نتمكن فى يسر من تحديد الأزمان ، وربط كل شخص فيها أو قبيلة بدورة الفلك ، وتعيين أيام العرب وحوادثها المشهورة ، بالنسبة إلى التاريخ الهجرى أو التقويم الميلادى ، وليست هذه الضميمة إلا (تقدير عمر الطبقات) أو عمر أجيال النسب ، بعد أن حددت عددها هذه الشجرات .

عمر الجيل

وقد وفقت أخيرا بعد بحوث وتجارب إلى أدق ما يناسب عمر الجيل وهو (أربعون سنة) فكيف حددت هذا العمر دون سواه ؟

وكيف اهتديت إليه كوسيلة لمعرفة التاريخ الجاهلى العربى ، جملة وتفصيلا إذا عرفنا الأجيال مسلسلة ؟

تاريخ هجر الجليل

(١) أول ما وجه نظرى إلى هذه الوسيلة العلامة (ابن خلدون) فى ترجمة حياته التى كتبها بنفسه ، فقد عد من نسبه إلى (جده خلدون) عشرة أجيال ثم قال : « لا أذكر من نسبى إلى خلدون غير هذه العشرة ، ويغلب على الظن أنها أكثر ، وأنه سقط مثلهم ؛ لأن خلدون هذا هو الداخلى إلى الأندلس ، فإن كان أول الفتح ، فالمدة لهذا العهد ٧٠٠ سنة ، فيكون زهاء العشرين : ثلاثة لكل مائة ، أى ثلاثة أشخاص لكل مائة سنة ، وبذلك اهتديت إلى أن متوسط عمر الجيل عند ابن خلدون ٣٣,٣ سنة ، وأن كل مائة سنة تضم ثلاثة أجيال .

(٢) وقد تابعت البحث بعلمها ، فتبين لى أن هذه الطريقة أو القاعدة ليست من مبتكرات ابن خلدون « بل هو مسبوق إليها ؛ يؤيد هذا أن (جهرة أنساب العرب) لابن حزم الأندلسى المتوفى فى القرن الخامس الهجرى ^(١) وجدته عند الكلام على (بنى الحارث بن كعب بن عمرو) يذكر أن (من ولده علبه بن ربيعة بن عبد يغوث بن الحارث بن معاوية ابن سلامة بن كعب بن المعقل بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب) هكذا ذكر بعض أهل النسب . . . ثم قال : « وهو عندى محال بلا شك بل يسقط بين ربيعة وعبد يغوث أسماء ثلاثة ولا بد ،

فهذه الاستحالة التى حكم بها ابن حزم ، تدل على أن هذا النسب الذى نقله ، خالف القاعدة التى سار عليها علماء الأنساب ، فسكان هذه الرواية التى جعلت عدد الأجيال من (علبه إلى كعب) ١٢ جيلا ، ليست رواية مضبوطة ، لمخالفتها القاعدة التى وضعها علماء النسب ، وكان يجب بناء عليها أن يكون عدد الأجيال من علبه إلى كعب الثالث ١٥ جيلا لا ١٢ جيلا ، وهى التى نهت عليها الرواية ، بل زاد ابن حزم دقة بتعيينه (موضع الخلقات) المفقودة فجعلها بين ربيعة وعبد يغوث .

(٣) ثم توغلت في البحث، فقرأت للأصفهاني، في ترجمة (السموئل) ما يأتي:
« حكى عبد الله بن أبي سعد، عن دارم بن عقال — وهو من ولد
السموئل — أنه ابن عادياء بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن (عمرو مزيقيا)
ابن عامر بن ماء السماء .

وهنا قال صاحب الأغاني :

« وهذا عندي محال ، لأن الأعشى أدرك (شريح بن سموئل)
وأدرك الإسلام .

وعمر و مزيقيا قديم ، لا يجوز أن يكون بينه وبين سموئل ثلاثة آباء ،
ولا عشرة !

تحقيقى

وبالرجوع إلى (شجرة الكهلانيين) نجد (عمرو مزيقيا) هو الجد
الثاني للأوس والخزرج وهما أصل الأنصار — رضى الله عنهم — ومن
الأنصار ذلك الصحابي الجليل :

١ - (ثعلبة بن حاطب) الذي نزل فيه قوله تعالى : (ومنهم من عاهد الله
لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . .) ، ومنه إلى جده
« عمرو مزيقيا ، ١٤ جيلا .

٢ - و (عبد الله بن جبير) رئيس الرماة الخمسين من المسلمين في أحد ،
ومنه إلى (مزيقيا) ١١ جيلا وهذان من الأوس .

٣ - و (زيد بن ثابت) كاتب النبي ﷺ ، الذي أمره أن يتعلم السريانية ،
وكان فوق هذا أحفظ الناس للقرآن ، ومنه إلى (مزيقيا) ١٥ جيلا .

٤ - و (حسان بن ثابت) شاعر النبي والمسلمين ، ومنه إلى (مزيقيا)
١٤ جيلا .

ومتوسط الأجيال المذكورة هنا هؤلاء الصحابة الاربعة ١٤ جيلا .
والأجيال التي حفظها علماء النسب من شريح بن سموئل إلى (مزيقيا)

- والغاية داخله - ٧ أجيال ، فكان نصف الأجيال قد سقط ، فاعتراض الأصفيهان لقلة عدد الأجيال في نسب السموهول إلى من بقيا ، ثم تحديده أنها يجب أن تكون أكثر من عشرة ؛ تقدير سليم ، يشعر أنهم عمدوا عند تحديد الأزمنة ، وبعدها عن الزمن الإسلامي على عدد الأجيال ، والعمر الذي رآوه لكل جيل .

نظريتي لتعيين الزمن الجاهلي

في تاريخ الأدب ، وتاريخ العرب

بالعشور على قيمة عمر الجيل ، وتحديدده بأربعين سنة ، يصبح لشجير الأسباب العربية قيمة جديدة ، هي أننا نستطيع تحديد الزمن ، بين عصر النبوة وعدنان - في شجرات العدنانين - أو قحطان - في شجرات القحطانيين - ولكن شجرات عرب اليمن كثيرة ، وأكثر منها شجرات العدنانين ، فأى شجرة نجعلها الأساس ؟ ولم نفضل شجرة على شجرة في التقديم ؟

دفعنا لهذا نظرت في أنساب العدنانين ، فوجدتها تتفرع إلى شعبتين كبيرتين : (شعبة مضر) و (شعبة ربيعة) ^(١) فجعلت لربيعة شجرة واحدة ،

(١) (الصحابة الأربعة والعشرون من فريش) هم مع مراعاة أن سيدنا رسول الله (ص) إلى عدنان ٣٢ جيلا - : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، وسعد بن أبي وقاص ، وعمر بن العاص والزبير بن العوام ، وأم حبيبة زوج النبي ، وخالد بن الوليد ، وأبو عبيدة ، وعقبة بن نافع وعنتبة بن أبي لهب ، وحبيب بن مسلمة ، وعبد الله بن مظعون ، وطلحة بن عبد الله ، وعتاب ابن أسيد ، ومسطح بن أثانة ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومروان بن الحكم ، وسهل بن وهب وجهم بن قيس ، وعبد المطلب بن ربيعة وعبد الله بن عامر .

(والصحابة المختارون من بني تميم) - منهم من المزارعة : عمرو بن اللفهم ، والزيرقان ابن بدر ، وجارية بن قدامة ، وخباب بن الأوث ، وابنه عبد الله ، وحسين بن مشتم ، وزهرة بن جوية ، وقيس بن عاصم .

ب - من الخناظلة : سيب بن خراش والخثات بن زبد وعطار بن حاجب وعياض الداربي وأسماء بنت سلمة وأسماء بنت مخزومة والمحدث (أبو المشرأ) ، ومالك بن نويرة وأخوه متمم والأقرع بن حابس .

واخترت منها ٢٤ صحابيا، مجموع الأجيال منهم إلى عدنان ٤٠٠ جيل، وبقسمة عدد الأجيال على عدد هؤلاء الصحابة، ينتج أن متوسط أجيال الصحاب منه إلى عدنان ٢٥ جيلا .

ثم اخترت أشهر قبائل مضر وهي تميم وقريش وقيس وكنانة .

١ — فمن (شجرة تميم) اخترت ٢٤ صحابيا ، فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ٦٢٢ جيلا ، متوسطها ١٩,٢٥ جيلا .

ب — ومن (شجرة قريش) اخترت ٢٤ صحابيا ، جملة أجيالهم ٥٤٥ جيلا إلى عدنان متوسطها ٢٢,٧١ جيلا .

ح — ومن (شجرة قيس) اخترت ٢٤ صحابيا جملة أجيالهم ٤٩٣ جيلا متوسطها ٢٠,٥٤ جيلا .

د — ومن (شجرة كنانة) اخترت ٢٤ من الصحابة ، جملة أجيالهم ٤٦٥ جيلا ، متوسطها ١٩,٨١ جيلا ^(١) .

فمجموع المتوسطات الأربعة ٨١,٩٠ جيلا ، ومتوسطها لكل صحابي ٢٠,٥ جيلا .

== ح — ومن بنى عمرو بن تميم الحارث بن وهب ، وهند بن ذرارة ، وصفوان بن صفوان وحنظلة بن الربيع كاتب النبي وغاضرة بن سمره وأبو سمره وحيدة بن محرم ورباح بن ربيعة (وأشهر صحابة قيس) مرصد بن كنانة والربيع بن ربيعة وعروة بن أسماء والحجاج بن علابط وعثمان بن أبي العباس وهب بن عبد الله وجابر بن سلمة وقيس بن عاصم النمرى وقبيصة بن المخارق النمرى وحلجة بن قيس وثابت بن جابر والشمخ ونعيم بن مسعود ومعل بن سنان والحارث بن جميل ويزيد بن الأخنس وعقبة بن وهب وسمره بن جندب وعقبة بن غزوان والضحاك بن سفيان والورد بن خالد وصفوان بن المعطل والحارث بن عبد العزى .

والصحابية الأربعة والعشرون من كنانة هم - رضى الله عنهم أجمعين - أبو نورة بن شيطان الضمرى وشبيب بن حرام وعمرو بن أمية ، ورافع بن عمرو ، وهشام بن صباية ، ونعابة ابن الحكم ، ومحمد بن يزيد ومحمد بن جثامة ، وأسيد بن إلياس ، وأبو رهم ، وجنادة بن عوف (النخس) ، وعامر بن وائلة ، والحارث بن مالك ، وأميرة بن خويلد ، وسارية بن زعيم ، وخالد بن مالك ، والحويرث بن عبد الله ، وكلاب بن أمية ، وجندب بن جنادة ، وحليقة ابن أمية ، والحارث بن عوف وكاثوم بن الحصين ، وخالد بن سيار ، وأنيس بن إلياس .

وقد تقدم أن متوسط الجيل لربعة ٢٥ جيلا (١).

فمتوسط الأجيال لربعة ومضر — وهما أخوان — $22,65 =$ جيلا .
فكان أقرب الشجرات الخمس ، من شجرة العدنانيين إلى المتوسط العام
شجرة قريش .

وكان إرادة الله قضت أن يحفظها من الإفراط والتفريط ، حتى في أجيال
أنسابها على السنة الرواة ، وكذلك جعلنا الله أمة وسطا ، وخير الأمور أوسطها
(٣) أما القحطانيون فقد تشعبت أنسابهم إلى شعبتين كبيرتين أيضا :

(كهلان) و (حمير) كما تفرع العدنانيون إلى شعبتين كبيرتين : (مضر) و (ربعة)
والمتوسط العام للصحابة في (شجرة السكهلانيين) إلى قحطان ٢٢ جيلا
، ، ، ، ، (حمير) ، ، ، ، ، ٣٠ ،

فمتوسطهما ٣١ جيلا . وقد تقدم أن متوسط فرعى عدنان ٢٢,٦٥ جيلا

نص (قحطانه) و (عدنانه) :

أ — فالزمن في غابة العدنانيين ، من عصر النبوة إلى عدنان

$22,65 \times 40 = 906$ أي نحو تسعة قرون قبل الهجرة (أو ٣٠٠ ق م)

ب — وفي (غابة القحطانيين) $31 \times 40 = 1240$ قبل الهجرة

(أوائل القرن السابع) قبل الميلاد المسيحي .

وستأت نتيجة الموازنة بين هذا الزمن الذي حددته الأنساب ، والزمن

الذي حدده (غلازر الألمانى) لقيام دولة سبأ سنة ٨٥٠ ق م .

كيف هددت عمر الجيل النسبي :

إنما قيدت الجيل هنا (بالنسبي) لأنه هو المقصود عند إرادتنا معرفة

(١) والصحابة الأربعة والعشرون الذين استخلصت منهم متوسط عدد الأجيال في

ربعة هم : الحارود بن حنش ، والشيخ العبدى وسفيان بن حولى العجلي ، وصهيب الرومى

والنمر بن توبل النمرى ، وعامر بن ربعة المعترى ، وطلق بن على الحنفي ، ونمامة بن أنثال ،

وحسان بن محدوج ، وخداش الراوية العجلي ، والاعراب الراجر ، وشير بن الحصاصية ،

وخالد بن المعمر ، ويسر بن خوط ، وزيد بن حارثة ، والمثنى بن حارثة ، والأسود وربيعة

وشيبان بن محرز الحنفي ، وعامر بن ربعة المعترى ، وعامر بن سلمة الحنفي ، وشراحيل بن معبد

الزمن بين رجل وآخر من حفدته . وهو الذى قدرته بأربعين سنة ، وقدره ابن خلدون بنحو ٢٣ سنة ؛ أما (الجيل الملوكى) فهو أقل من نصف ما قدرته للجيل النسبى ، ولو كان تسلسل الملوك وراثيا ، كما سيأتى البرهان عليه فى موضعه ، وسأبسط وجهة نظرى هنا لتحديد متوسط عمر الجيل النسبى بأربعين سنة ، وإن كنت لم أهتم إلى وجهة نظره .

١ - وحجتى الأولى أن العرب فى الجاهلية ، كانوا أشبه الناس بالفلاحين عندنا فى عوائدهم ومنها الزواج ، والشبان عندنا فى القرى يتزوجون فى سن مبكرة ، أى حوالى العشرين ، إلا فى الابن البكر ، فكان أبواه يسرعان بتزويجه قبل هذه السن ؛ تعجيلا لسرورهما ، أما من بعده من الأبناء فكانوا يتأخرون عن هذه السن ، حتى يستقر معاشهم على أسس اقتصادية أو تعليمية ، وما برح الفلاحون عندنا يرهبون فترة الاقتراع العسكرى ، فإذا سلمنا أن متوسط نهاية العمر للإنسان ٦٠ سنة ، تبين لنا أن مجموع الطرفين : الطرف الأول للزواج ، والطرف الآخر لنهاية الحياة $20 + 60 = 80$ ، ومتوسطهما ٤٠ سنة ، وهى الوسط المتناسب لعمر الجيل النسبى .

٢ - أما حجتى الثانية فهى أنى وجدت مؤرخى العرب قد قدروا الزمن من (قصى) إلى عصر النبوة بنحو قرنين ، فأمرعت إلى الأجيال بعد قصى إلى النبى ﷺ فوجدتها خمسة و ٥ $\times$ ٤٠ = ٢٠٠ سنة وهى توافق ما قدروه تمام الموافقة .

٣ - وروت كتب الأنساب والأدب والتاريخ أن مفاتيح السكبة قبل قريش كانت بيد (خزاعة) وأن آخر من توفى من خزاعة هو (حُليل بن حبشية) وكنت قد سجلت فى مجلة دار العلوم عدد ٣ سنة ١٩٤٨ م أن د قصيا ، كان ذا شخصية جبارة ، فاستغل الفرصة ، وعمل على أن تكون مفاتيح السكبة بيده ، فكانت أول خطوة لتحقيق هذا الأمل ، أن تقرب من (حليل) هذا ، فإزال حتى تزوج بنته (حُسى) فلما أحس (حليل) بدنو أجله ، أوصى ابنته بالإشراف على الحجابة ، وأشرك معها المخترش : أبا غبشان ،

فلم يزل يتحين الفرص حتى اجتمع في شرب بالطائف ، فما هي حتى أسكره ، واشترى مفاتيح السكعبة منه بزق خمر ، ولما كان يخشى أن تذهب السكرة ، فتأتى السكرة أشهد عليه ، وانتهى الأمر بإخراجه من السكعبة ، وتملك « قصي » حجابها . وصارت إليه مفاتيحها نهائيا ، حتى جاء الإسلام والقريشيون حجاب البيت .

نحمد به زمام خراعة :

فلو أردنا أن نعرف الزمن الذي ظلت فيه خراعة قابضة على إدارة السكعبة ، فلا بد أن نلجأ إلى شجرات النسب ، ثم نعد الأجيال من (المخترش) إلى خراعة ، فنجدها سبعة أجيال ، لأنه (المخترش بن حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو خراعة) .

و $7 \times 40 = 280$ سنة أى ثلاثة قرون ، وهى التى استولت فيها خراعة على مفاتيح السكعبة .

فهل فى تقارير المؤرخين ما يؤيد هذا ؟

(أ) استفتيت (الألوسى) فى بلوغ الأرب ح ١ ص ٢٤٦

(ب) و (ابن كثير) فى البداية والنهاية ح ٢ ص ١٨٧

(ح) و (المسعودى) فى مروج الذهب ح ١ ص ٦٢٤ ، ٢٧٠

فوجدتهم أجمعوا على أن (خراعة) وليت البيت كبرا عن كابر نحو ٣٠٠ سنة .

فإذا كان منطق تحديدى لعمر الجيل يحدد هذه الأجيال السبعة لخراعة ؛ بنحو ٢٨٠ سنة ، فإن الفرق بين ما نص عليه المؤرخون ، وما حددته لعمر الجيل وهو ٢٠ سنة فإنه هو (النحو) الذى يشير إليه المؤرخون، وفى الإمكان أن نلتقى تماما إذا علمنا أن الأربعين التى حددتها للجيل، إنما هى السن المتوسطة ، فبضم ٢٠ سنة إليها يكمل عمر المخترش ٦٠ سنة ، وهذا يدل على أن (قصيا)

عندما اشترى من (المخترش) مفاتيح السكبة كان عمر المخترش نحو ٦٠ سنة ،
وبذا يكون الاتفاق تاما منطقيا بين تحديدي وتحديد مؤرخي العرب .

٤ - والتجربة الرابعة التي تدل على أن تحديدي أدق من تحديد ابن خلدون
هي ما يأتي :

تقدم أن (حليل بن حبشية) أنجب (حبي) زوج قصي ، (وأباغبشان)
الذي باع مفاتيح البيت وهو نشوان ؛ فالآن أقرر أن من أولاد (حليل)
ابن حبشية (كذلك) عبدنهم بن حليل) ، ومن حفدة عبدنهم الذين عاصروا
النبي ﷺ ذلك الصحابي الجليل (كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة
ابن عبدنهم .

فهذه الأجيال الخمسة من قصي إلى زمن النبي ﷺ عمرها $5 \times 40 = 200$ سنة ،
وهذه المدة نفسها تحدد مرة أخرى زمن استيلاء قريش على السكبة
في الجاهلية .

٥ - والتجربة الخامسة : برهنت من قبل على أن خزاعة تولت أمر البيت
٣٠٠ سنة ، وأن قريشا تولت أمره ٢٠٠ سنة بعدها ، و $200 + 300 = 500$
سنة فهل في سلسلة النسب ما يؤيد هذا الزمن ، مرة واحدة ، من خزاعة إلى
عصر النبوة ؟

نعم . أخبرنا البغدادي ^(١) أنه لما خرج (مُزَيْقِيَا) من اليمن ومعه رجل
اسمه (جذع بن سنان) وبقية قومه نزلوا بلاد (عك) فقتل جذع ملك بلاد
(عك) - وافترقت الأسد ، والملك فيهم (ثعلبة بن عمرو بن عامر) فانصرف
عامله فخارب (جرهم) فأجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا . . . وجاء
(قصي بن كلاب) فاستولى عليها .

وبحساب الأجيال من (الملك ثعلبة) إلى طائفة من نسله مثل ،

(١) (أوس بن خالد) نجد من هذا الصحابة الجليل إلى (جده : الملك ثعلبة) ١١ جيلا لأنه : (أوس بن خالد بن عبيد بن عامر بن حطمة ابن جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة) .

(ب) ومن حفيده الآخر عامر بن عبد عمرو إليه - ثعلبه - ١٢ جيلا .

(ج) ومن سويد بن النعمان إلى جده ثعلبة هذا ١٣ جيلا .

ومتوسط أجيال الصحابة الثلاثة ١٢ جيلا .

فالمدة من ثعلبة إلى عصر النبوة $١٢ \times ٤٠ = ٤٨٠$ سنة ، وهذا العدد قريب جدا من المدة التي أشار إليها المؤرخون ، لاستيلاء خراة وقرش على البيت الحرام وعلى حساب (ابن خلدون) تكون مدة خراة وقرش لهذه الأجيال الاثني عشرة ٤٠٠ سنة ، ولكن المؤرخين ليس فيهم من ذكر هذا الرقم لخراة وقرش ، بل أجمعوا على أن المدة ٥٠٠ سنة لا ٤٠٠

٦ — والتجربة السادسة منتزعة من تاريخنا الحديث .

هي أن المدة من (محمد على الكبير) سنة ١٧٦٩ م إلى مولانا جلالة الملك المفدى «فاروق الأول» - زاده الله توفيقا بعد توفيق سنة ١٩٤٩ م = ١٨٠ سنة وبقسمتها على هؤلاء الخمسة : فاروق الأول بن فؤاد الأول بن إسماعيل بن إبراهيم باشا بن محمد على على ، يكون الناتج ٣٦ سنة ولكن جلالة الملك الآن قد أشرف عمره السبعين على الثلاثين ، فالباقى لبلوغه الأربعين ١٠ سنوات ، وبضمها إلى ١٨٠ تصير ١٩٠ سنة ، وبقسمتها على ٥ ينتج متوسط عمر الجيل في هذه لأجيال الخمسة وهو ٣٨ سنة ، أما على رأى ابن خلدون فإن ١٩٠ سنة تنكش إلى أقل من ١٦٧ أى تقل عن الحقيقة بنحو ٢٣ سنة .

٧ — وأقرب من كل ما تقدم أن المدة من ميلاد إبراهيم باشا سنة ١٧٨٩ م إلى الآن - ١٩٤٩ م - بلغت ١٦٠ سنة انتظمت في ثنائياها أربعة أجيال :

جلالة الملك فاروق ، ووالده جلالة الملك فؤاد الأول - طيب الله ثراه -

ثم جده الأول إسماعيل ، ثم جده الثاني إبراهيم باشا و ١٦٠ ب - ٤ = ٤٠ سنة
هى متوسط عمر الجيل هنا : وهذا الشاهد يؤيد تحديدي ١٠٠ ٪ ولو أنه
ليس حدا ثابتا ، إذ هذه الأربعون هى الحد المتوسط ، فقد تنزل إلى ٣٨ ، وقد
ترفع إلى ٤٢ سنة .

أ - بينى ريبين بجائته :

بعد أن دعمت عمر الجيل بهذه الدعامات هزتنى نشوة السرور ، فاتصلت
بأستاذى البجائية حضرة صاحب العزة الأستاذ الكبير إبراهيم بك مصطفى
عميد دار العلوم سابقا^(١) ، وعضو المجمع اللغوى الآن ، وعرضت عليه
ما وصلت إليه فى تحديد عمر الجيل ، فهأنى وقال : لا تنس أنه قد سبقك بمثل
هذه البحوث وهذا التحديد بعشرات السنين (برسفال)^(٢) فى أنساب
العرب

س - فقد جعل عمر الجيل ٣٠ سنة ، ولكنى لم أوافق على رأيه ،
واستصوبت أن يكون عمر الجيل ٢٥ سنة لا ٣٠ ، لأن الحروب المستمرة
كانت تباكر العرب بالفناء ، فكانوا يتزوجون فى سن مبكرة ، قبل أن
يقتلوا فى سن مبكرة ، إذ قليل منهم من كان يبلغ الستين ، فضلا عما فوقها ! .
ولكنى أوضحت لأستاذنا البجائية وجهة نظرى بالبراهين السبعة التى
تقدمت ، وأخبرته أنى بصدد العثور على أدلة أخرى ذات بال^(٣) ، فشجعنى
بما يناسب أخلاق العلماء .

ح - ومن عجب أنى بعد اطلاعى على هذه الحدود الثلاثة لمتوسط عمر
الجيل ، عثرت على رأى (العلامة الألمانى غلازر)^(٤) فوجدته قد جعل

(١) بعد إحقاق عزته إلى المعاش رأت جامعة فؤاد الأول الانتفاع بتجاربه فاتخذه عميدا

مرة أخرى عند طبع هذا الكتاب (يونيو ١٩٥٠ م) .

(٢) A. P. Caussin De Perceval

(٣) وقد عثرت بالفعل على خمسة أدلة أخرى مذكورة هنا .

(٤) العرب قبل الإسلام - ج ١ ص ١١٩ .

المتوسط لعمر الجيل ٢٥ سنة، عند تقديره مدة ملوك سبأ، وقد بلغ عدد من
عشر عليهم ٢٧ ملكا .

وهذا بيان بأشهر ما قيل في متوسط عمر الجيل :

في رأي أستاذنا أبراهيم بك مصطفى	مقدارها في رأي غلاز	مقدارها في رأي بوسغال	مقدارها في نظر ابن خلدون	مقدار المدة على تحديد	الزمن الحقيقي قارون إلى إبراهيم	عمر الأجيال الأربعة عمر الجيل
١٠٠	١٠٠	١٢٠	١٣٣,٣	١٦٠	١٦٠	
٢٥	٢٥	٣٠	٣٣,٥	٤٠	—	

٨ — التجربة الثامنة : زمن سبل العرم

إذا كان الأدباء في حاجة إلى تجربة جديدة ليتبينوا بها مبلغ ما في قاعدتي
من حصانة بعد أن دعمت قواعدها ، وثبت قوائمها بالبراهين السبعة الماضية
فليس محووا إلى أن أتعق بهم قليلا في غياهب الجاهلية ؛ لأدلم على حادثة هامة
غيرت مجرى التاريخ في الجزيرة العربية ١١ وأي حادثة أروع ، بل أي مأساة
أوجع ١١ من مأساة « سيل العرم » ، وتقويض سد مأرب ، وقضائه على مدنية
سبأ ، ودولتها ، وشعبها ، وتمزيقها كل ممزق ، في أطراف الجزيرة ؛ لقد سجلت
هذه المأساة عبرة في الغارين . وضربت مثلا في تمزيق الشمل ، فأصبح
يقال لكل طائفة ذهبت بددا : « تفرقوا أيدي سبأ » .

وما زال صوت القرآن يدوي بقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث ، ومن قناتهم
كل ممزق ؛ إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » .

لقد ظلت هذه الفاجعة عميقة الأثر في كل القبائل العربية ، وما برحوا
يتناقلونها أحقابا متطاولة ، خلفا عن سلف كفضيحة قاسية ، وعبرة لمن
يتذكر من ذوى الألباب ، ، ثم تلتها أحقاب أخرى اختلطت فيها الحقيقة
بالخيال ، والحق بالباطل ؛ فلا عجب أن يكون قدامى المؤرخين في عمالة
من حقيقتها ، لطول العهد ، وكثرة مانسجته الأنيقة حولها .

ومن هذه الظواهر :

لقد رأى بعض الباحثين أن زمن هذه السكاريثة كان قبل الميلاد بمئات من السنين ، وجعله بعض آخر بعد الميلاد بمئات من السنين ، وكان (الآب أنستانس السكرملى) أعجب الجميع رأيا فى هذه المشكلة التاريخية ، إذا انتهى الفرصة عند نشر « كتاب الإكليل للهمداني » ج ٨ فقرر فى الهامش (١) ما يأتى :

« اتضح اليوم للعلماء أن انهدام سيل العرم كان بين ٥٤٢ م وسنة ٥٧٠ م ، وليس قبل ذلك كما توهمه كثير من علماء العرب ، وبصرف الغرب » .

رأى

ومعذرة إذا خالفته فى رأى ، معتمدا على الأدلة الأربعة الآتية :

١ - الدليل الأول منطقى :

هو أنه لو ثبت أن سيل العرم كان بين هذين الزميين اللذين حددتهما لكائنات دلالة أن انهدام « سد مأرب » و « اندفاع سيل العرم » كانا قبل ميلاد سيدنا محمد ﷺ بأشهر أو بسنة على الأكثر ، ولو صح هذا لربطوا بهذا الحادث مولد النبي ﷺ وقالوا : ولد بعد سيل العرم بسنة مثلا ، كما قالوا ولد فى عام الفيل ، ولكنهم لم يؤرخوا إلا بعام الفيل ، مع أنه أهون من سيل العرم ، فهذا دليل على أن الصلة كانت منقطعة بين هذا السيل ومولد خاتم الرسل ؛ وأن الزمن بينهما كان يبلغ مئات السنين لاسنة أو بعض سنة كما يقول خاله الذكر السكرملى .

٢ - الدليل الثانى تاريخى :

وهو أن الزمن الذى حدده هذا العلامة بطرفيه كانت فيه بلاد العرب محتلة بالجيش الحبشى ، بل كان قد مضى على احتلالها نحو ٦٩ سنة ، لأن

هذا الاحتلال كان بإجماع المؤرخين ، فكيف يتفق تحديد (الآب السكرملي) مع هذا الإجماع ، وقبل الأحباش كانت دولة حمير تخفق أعلامها على بلاد اليمن ، ومن المعلوم أن دولة حمير لم تنقم إلا على أنقاض دولة سبأ ، بعد انهيار السيل ، وأن ذلك كان قبل الميلاد المسيحي فكيف غابت كل هذه الحقائق عن بحاثتنا - طيب الله ثراه - كل ما في الأمر أن الأحباش رموا السد في عهدهم ، لتهدم بعض جوانبه . ويفهم هذا من عثور العلامة الألمانية « غلازر » على أثرين عليهما نقوش ، تفيد هذا التهدم الجزئي أيام الأحباش ، وأحد الأثرين مؤرخ سنة ٥٣٩ م (٨٣ ق هـ) وثانيهما سنة ٥٦٥ م (٥٧ ق هـ) ، واستغرق ترميم السد في المرة الثانية نحو ثلاثة عشر شهرا (١) وقد سبق هذين الانفجارين كثير غيرهما .

٣- (البريل الثالث) مرموما بدليل المعاصرة

إن الزمنين اللذين حددتهما (الآب السكرملي) لسيل العرم هما ٥٤٢ م و ٥٥٥ م وهذا الوقت كانت فيه (دولة اللخمين) مرفوعة العمد في العراق ، بل كان قد مضى عليها ما يقرب من ثلاثة قرون ، ومثلها (دولة الخساسنة) في حوران بالشام ، وإجماع المؤرخين العرب قد انعقد على أن هاتين الدولتين ملوكهما من قلوب اليمنيين ، الذين أرغهم سيل العرم على الهجرة إلى هذه المواطن الجديدة ، فأسسوا فيها بعد قرون هاتين المملكتين ، ومؤرخو الفرس والروم لا يختلفون مع مؤرخي العرب في هذا ، فأى الفريقين نصدقه ؟ هؤلاء جميعا أم الآب السكرملي وحده ؟ .

وليس الزمانان متقاربين حتى كنا نلتحل الأعذار ، ونقرب بين وجهتي النظر ، ولكن تطاول العهد ، ومرور بضعة قرون ، بين تقدير الطرفين ، يجعل هذه المحاولة نوعا من العبث .

(ب) هذا من جهة المعاصرة ، أما من جهة الأجيال النسبية ، فإن شجرة

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ١٠ ص ١٥٩ و Mitt . 1897

الأنساب تدلنا على أن عمرو من يقيماء ملك سبأ، وهو الذي نبأته المرافقة بحدوث السيل، ثم حدث السيل فعلا بعد هجرته ببضع سنين. هذا الملك وهو جد الأوس والخزرج كان منه إلى (العصر النبوي) ١٧,٥ جيلا مدتها ١٧,٥ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة قبل الهجرة، وبضم العشرين سنة الاحتياطية^(١) يكون انفجار السد وانفلاق السيل سنة ٧٢٠ قبل الهجرة (نحو ١٠٠ قبل الميلاد).

٤ - (تضافر الدليل النسبي مع الدليل النقضي)

وبموازنة الدليين نجد أن العالم الألماني، غلازر، قدر لوقوع هذه المأساة سنة ١١٥ ق م^(٢)، وبذا لم يبعد عن تقديري إلا نحو خمس عشرة سنة.

وقص علينا الأستاذ المرحوم الحضري بك^(٣) أن العلامة الفرنسي سيديو قدر لوقوع السيل سنة ١٢٠ ق م، وهذا التقارب بيننا يدل على أن البون شاسع بين تقاديرنا نحن الثلاثة من جهة، وتقدير (الأب الكرمل) إذ يباغ نحو ٦٧٢ سنة زائدة على متوسط الفترة التي حددها غلازر، ٦٧٨ عند سيديو، و ٦٥٨ عند دليل النسب.

ومن جهة ثانية نجد الحادث عندنا نحن الثلاثة، حدث قبل الميلاد، وعنده بعده.

وفي هذا التفاهم العجيب بين منطق النقوش، ومنطق التحديد الذي اخترته لمتوسط عمر الجيل، ما يدل على متانة نظريتي، مع أنها لم تستعمل من قواعدها الخمس إلا قاعدة النسب وقاعدة المعاصرة.

٩ - (الدليل التاسع) على أن متوسط عمر الجيل ٤٠ سنة :

(١) الاربعون سنة التي اخترتها لمتوسط عمر الجيل وسط بين ٢٠ و ٦٠ فهي في تحديد الزمن قد تزيد ٢٠ سنة على الأكثر في كل الأجيال المتصلة بسلسلة النسب وقد تنقص ٢٠ سنة كذلك.

(٢) Glaser, Abb. 30 و ص ١١٩ - ١ من العرب قبل الاسلامي

(٣) تاريخ الدول الاسلامي - ص ١٧

من ملوك اللخمين في العراق (الملك جذيمة الوضاح)
وقد صار من المقرر - اعتمادا على السجلات الملكية في دواوين المناذرة
والفرس - أن هذا الملك تولى من ٢٥١ م - ٢٦٨ م - ٣٨٣ ق هـ - ٣٦٥ ق هـ
وأيدت هذا السجلات السكسسية ، التي أشادت بذكره ، لأنه أول من تنصر
من ملوك اللخمين في العراق .

فهل علم النسب وعلماء الرواية يؤيدون هذا ؟

(١) استفتيهم فأفتوني بما يأتي :

الملك جذيمة أبوه (مالك بن فهم) ، ومن أعمامه (سليم بن فهم) ومن
إخوته (الحارث بن مالك بن فهم)

فمن ذرية سليم (الصحابي المشهور : أبو هريرة : عمير بن عامر) ومن
عميرة إلى سليم بن فهم عشرة أجيال (١)

كما أن من ذرية الحارث بن مالك بن فهم (الصحابي الجليل القاضي كعب
بن سور) ومن كعب هذا إلى مالك بن فهم عشرة أجيال أيضا (٢)

و ١٠ × ٤٠ = ٤٠٠ سنة قبل الهجرة ولكن (الملك جذيمة بن مالك
ابن فهم) يقل عن أبيه جيلا ، ومثله أخوه (الحارث بن مالك بن فهم) الجد
السابع للصحابي كعب بن سور المتقدم ، وعمر الجيل نحو ٤٠ سنة ، وبطرحها
من ٤٠٠ سنة المتقدمة ينتج ٣٦٠ سنة قبل الهجرة ، وهذه توازي من السنين
الميلادية (الشمسية) سنة ٢٧٣ م تقريبا ، وقد تقدم أن (الملك جذيمة)
توفي سنة ٢٦٨ م ، فكان سلسلة النسب لم يبعد زمنها عن الزمن المسجل في
السجلات الملكية . عند المناذرة واللخمين والفرس ، والسجلات السكسسية

(١) أجيال أبي هريرة هي : أبو هريرة بن عامر بن عبد ذي الدري بن طريف
ابن عتاب بن أبي صعب بن منبه بن سعد بن ثعلبة بن سليم بن فهم ٥١ هـ من الاشتقاق ص ٢٩

(٢) أجيال القاضي كعب إلى فهم هي :

كعب بن سور بن بكر بن عبد بن ثعلبة بن سليم بن ذهل بن لقيط بن الحارث بن مالك
ابن فهم ١٩ هـ نقل عن أسد الغابة ٤ : ٢٤٢ .

إلا خمس سنوات . فهل هذا الفرق يؤبه له في أربعة قرون ؟ وهل إذا تجاوزت قاعدتي سنة واحدة في كل مائة سنة ، حقيقها المؤرخون ، يكون هذا التجاوز مدعاة للشك في متانتها ؟

(١٠) الدليل العاشر : نقل إلينا تاريخ العرب قبل الإسلام (١) أن بني قضاة أقدم الفازحين من القبائل العربية ، ثم قال : ويظهر أنهم نزحوا حوالى تاريخ الميلاد أو قبله قليلا .

التحقيق :

بعض علماء النسب يعتبر قضاة ابن مالك بن عمرو من القحطانيين ، وبعض آخر قرر أن قضاة ابن عدنان ، وقد أورد الرأي ابن حزم في الجمهرة (٢) .

١- فعلى أن قضاة من القحطانيين نجد الأجيال منه إلى قحطان ١١ جيلا (٣) ثم منه إلى عصر النبوة - في المتوسط - ٢٢ جيلا ، فمنها $22 \times 40 = 880$ سنة ، أى قبل الميلاد بنحو (٨٨٠ - ٦٢٢) ٢٥٨ ولكن الجلاء لم يكن في عهد قضاة نفسه رأس هذه القبيلة ، بل كان في عهد (حزيمة بن نهد القضاة) حفيده السادس ، ومن حزيمة إلى قحطان ١٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة نحو ١٤ جيلا ؛ ومنها $14 \times 40 = 560$ سنة أى بعد الميلاد (بنحو ٦٢ سنة) لأن الهجرة كانت ٦٢٢ م . فتحدد زمن الجلاء باعتبار قضاة من القحطانيين كان في القرن الأول الميلادى لا قبله كما سطره جورجى زيدان ، نقلا عن الغربيين .

٢- وعلى اعتبار (قضاة) ابن عدنان نجد من عدنان إلى عصر النبوة

(١) ١ : ١٧١ (٢) جمهرة أنساب العرب ٢١١

(٣) لأنه قضاة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حنبل بن سبأ الأكبر

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان .

في شجرة القريشيين ٢٢,٧ جيلا فن حزيمة إلى عصر النبوة (٢٢,٧ - ٩ =) ١٣,٧ جيلا منتهى ١٣,٧ × ٤٠ = و ٥٤٨ سنة أي بعد الميلاد بالفرق بين ٦٢٢ و ٥٤٨ وهو ٧٤ سنة وهذا العدد لا يزيد على ٦٢ إلا بنحو ١٢ سنة مما يدل على أن قضاة الغلام كان حقا في زمن عدنان الشيخ على أي نسبة .

(١) فالنتيجة : أن هجرة قضاة في عهد حزيمة كانت في القرن الأول الميلادي لا قبله، سواء أكان القضاة من القحطانيين أم من العدنانيين ، (٢) والنتيجة الثانية أن تحديد عمر الجيل بأربعين سنة ، يتفق تمام الاتفاق مع الزمن الذي قدره علماء الغرب، لهجرة قضاة، استنباطا من التواريخ المقارنة

الربيع الحادي عشر :

انتهى علماء الغرب من تقرير أن (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام كان في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، (١) فهل في قاعدتي ما يؤكد هذا التاريخ ؟

تحقيق

(١) ذهب مؤرخو العرب مذاهب شتى ، في حصر عدد الأجيال من إسماعيل إلى عدنان ، فأكثر ما نقلوه هو ٤ جيلا - وهو الموجود عند أهل الكتاب - أخذوه من كاتب (إرميا) (٢) ، وقد ذكر أسماء هذه الأجيال الأربعين الأصفهاني (٣) ، فإذا ضم إلى هذه عدد الأجيال من سيدنا محمد إلى عدنان وهو ٢٢ جيلا ، كان عدد أجيال الفترتين : ٤٠ + ٢٢ = ٦٢ جيلا

(٢) ويضرب ٦٢ × ٤٠ ينتج ٢٤٨٠ سنة من إسماعيل إلى عصر النبوة منها ٦٢٢ سنة من ميلاد المسيح عيسى إلى الهجرة ، فالباقي ١٨٥٨ سنة ق م ، وهذا ينتج أن (إسماعيل) كان حقا في القرن ١٩ قبل الميلاد .

(١) العرب قبل الإسلام ج ١ : ١٦٧

(٢) البداية والنهاية ج ٢ : ١٩٢

(٣) الاعاني ج ١ : ١٣ (طبع دار المكتب المصرية)

إسماعيل على رأى ابنه ضروري :

ولو أردنا أن نقدم برهاننا آخر على أن متوسط عمر الجيل ، عند ابن خلدون ليس بدقيق ، لسكان أسهل الطرق لهذا :

أن تضرب عدد الأجيال من إسماعيل إلى سيدنا محمد في ٣٣,٣ متوسط عمر الجيل عنده أى $62 \times 33,3 = 2064,6$ سنة قبل الميلاد وبعده

والسنوات التي قبل الميلاد $= 2064,6 - 622 = 1442,6$ سنة ق م وهذا يدل على أن إسماعيل كان في منتصف القرن الخامس عشر قبل الميلاد (عند ابن خلدون) وهو يقل عما قرره المؤرخون الغربيون بأربعة قرون ونصف ، في الوقت الذي اتفقت فيه نظريتي مع ما قرروه ١٠٠ ٪

(١٢) عمر الجيل في السكيب المفسرنة :

ومالنا نذهب بعيدا وتنصيد الحجج من هنا ومن هناك ، لاهرنة على تقدير الجيل بأربعين سنة ، وأن هذا أدق التقارير ، وهذا (القرآن) بين أيدينا ، ألم يقرر في سورة المائدة آية ٣٦ لما أراد الله سبحانه أن يستأصل بني إسرائيل الذين طبعوا على الذلة في مصر ، واستمراء العصيان والفسوق ، انقذهم سيدنا موسى بالهجرة منها ، ثم دعاهم إلى حرب عدوهم فقالوا :

« اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون . قال : فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض » ، ومثل هذا في (سفر التثنية) في الإصحاح الأول من « التوراة » وجاء في سفر العدد في الأول .

« وكلم الرب موسى . . . قائلا : أحصوا كل جماعة بني إسرائيل . . . من ابن عشرين فصاعدا ، كل خارج للحرب » ، وفي الإصحاح ٣٣ من سفر العدد أيضا بيان المواضع التي نزلوا فيها بين كل مرحلة وأخرى ، وقد قطعوا في السنتين ٣٣ موضعا ، ومن « قادش » استأنفوا التية ، وظلوا

أيضا فيه ٣٨ سنة حتى عبروا وادى زارد ، كما في سفر التثنية في الإصحاح الثاني .

والزمان ٢ + ٣٨ = ٤٠ سنة وهي التي صرح بها القرآن

[التمييز] ففي هذه النصوص دليان : (الأول) أن تحديد الجيل بأربعين سنة أدق من تحديد ابن خلدون ، ومن أنوا بعده ، سواى «الثانى» ، أنه عند انتهاء التيه كان قد مر على شبان بنى إسرائيل ، الذين اختارهم موسى ٦٠ سنة ، وقد أخبرتنا التوراة أنهم كانوا قد انقرضوا جميعا ، فلم يدخل الأرض المقدسة إلا أبناءهم ، بعد أن قى كل الجيل السابق ، فتحديد ٦٠ سنة لنهاية الأعمار ، تحديد غالب معقول ، كما أن تحديد متوسط عمر الجيل بأربعين سنة ، تحديد أيدته التجارب القديمة والحديثة ، وعاضدته الحوادث التاريخية المشهورة ، وأرشدت إليه السكتب السماوية : التوراة أولا ، والقرآن أخيرا .

اختلاف المؤرخين

بعد أن كتبت ما كتبت هنا ، ووصلت إلى هذه النتيجة ، عرضت الأمر على صديق لى من يقدسون كل قديم ، وينفرون من كل جديد ، واثقين من قول القائل : « لم يترك الأول للآخر شيئا » ،
ساخرين من سخرية ابن قتيبة ^(١) فى قوله : « رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده ، إلا أنه قيل فى زمانه ، ولم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ، ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده ،

ولم يسلم من هذا الداء حتى العلماء الراسخون ، وهذا « أبو عمرو بن العلاء »
لأنه عاصر جريرا والفرزدق والأخطل وسمع شعرهم كان يقول :

« لقد نبع هذا المحدث وحسن ، حتى لقد هممت بروايته ، !! »

فع اعترافه بنبوغ هؤلاء الشعراء ، وحسن شعرهم تورع عن روايته
لا لغيب سوى أنه حديث !!

فلا بدع أن يقابلني صديق العالم بما عرف عن المتورعين من قديم ،
ولا عجب أن ينتهز فرصة الاختلاف ، بينى وبين اثنين من العلماء المشهورين ،
لزم سبل العرم ويقول : إن قاعدة تخالف الحقيقة التي استأثر الله وحده
بعلمها ، وتباعد بين أقوال علماء الآثار بنحو ٢٧ سنة قاعدة منهارة ، لا يسوغ
لمن يتجرى الدقة أن يركن إليها في تاريخ أمم ، وتقويم شعوب ، وتحديد
مدنيات !!

ردى : وردى على أخى العالم وشيعته من ناحيتين :

(الأولى) أنه لم يتفق اثنان من الباحثين على رقم واحد لتعيين الزمان
الذى حدث فيه سبل العرم ، فلم يريدون متى مالم يرد من باحث قبلى !

(الثانية) أن الخلاف بين تحديدي وتحديد (سيديو) وهو ٣٢ سنة ،
وبينى وبين (غلازر) وهو ٢٧ سنة ، ليس بالفرق الذى تهتز له الرواسى ، أو
بالأمر الذى يكون مدعاة للشك فى قاعدتى ، فإن المؤرخين ما برحوا
يختلفون لا فى ٣٢ أو ٢٧ سنة بل اختلفوا بالفعل إلى درجة أن الفرق بين
مؤرخ وآخر بلغ نحو ١٠٠٠ سنة ، أى أكثر من ٣١ ضعفا لما بينى وبين سيديو
من خلاف ، بل فى المكتبة المقدسة ما هو أعمق من تقادير الباحثين المدنيين
وسأعتمد أن أسوق أمشاجا من الأدلة ، فى تواريخ الأمم المختلفة ،
وسأبدأ هنا بتاريخ الفراعنة : لأنه مبنى فى الغالب على ما أنبأت به آثارهم
ونقوشهم ، على جدران معابدهم وهياكلهم وتمائيلهم وأوراق البردى ، ومع
هذا تجد فى تاريخهم حلقات مفقودة ، كما تجد حلقات مثلها مفقودة فى بعض

سلاسل النسب ، فنشأ من ذلك ، الاختلاف الشديد بين المؤرخين ، لأسباب كثيرة أهمها ، سقوط بعض الأسر من الأحجار ، كتاريخ العمالة وإن ، لم يتم كشف جميع الآثار إلى الآن ، فاستعان الباحثون بما عثروا عليه من المصادر الأخرى ، فحدث بينهم هذا الاختلاف .

نماذج من اختلاف المؤرخين

١ - أخبرنا المرحوم « أحمد بك - باشا - كمال » الأثرى المصرى فى كتابه « بغية الطالبين » أن علماء الآثار اختلفوا فى مبدأ تأسيس الدولة المصرية ، وهذه آراء بعضهم :

[بوبك] جملة	٥٧٠٢ ق . م
[أبجر] د	٥٦١٣ ق . م
[مريت] د	٥٠٠٤ ق . م
[بروكش] د	٤٤٠٠ ق . م
[لوت] د	٤١٥٧ ق . م
[لبسيس] د	٢٨٩٢ ق . م

وإذا أمعنا فى النظر رأينا أن هذه القروق البعيدة ، مؤسسة فى الغالب على ما هو مدون فى ملخص النسخ المشتعلة على قاريح « مانيتون » التى لا بد أن يكون حدث بها تحريف ممن كلفوا نقلها .

والأحظ أن الفرق بين أصغر هذه التقديرات وأكبرها ٢٨١٠ سنة وهو كثير كما ترى .

صنيع شاباش :

وقد راعت هذه الفروق كثيرا من الباحثين ، وأن حساب تلك المدد بالدقة المطلوبة ، موجب للوقوع في الغلط لبعدها عنا ، فاستصوب « شاباش » حسابها بالقرن ؛ حذرا من الوقوع في هذه الأخطاء ، وهذا بيانها عن المؤلف المذكور :

القرن قبل الميلاد :

- ٤٠ قرنا المدة الخرافية « ما قبل التاريخ »
- ٤٠ « تاريخ ولاية مينا أول الفراعنة
- ٢٣ « بناء أهرام الجيزة
- ٢٨ « تاريخ ولاية الملك « بيتي » من الأسرة الخامسة
- ٢٤ - ٢٢ مبدأ حكم الأسرة الثانية عشرة
- ١٨ قرنا خروج العمالة من مصر ، وابتداء الدولة الجديدة (١٨)
- ١٧ « تاريخ ولاية الملك « تحوتمس الثالث »

الاختلاف حتى في الكتاب المقدس

وأعجب من كل ما تقدم ، أن نجد اختلاف التقدير حتى في التوراة ، فقد ورد فيها إحصاء بني إسرائيل مرتين : مرة في الإصحاح الأول من (سفر العدد) ومرة في لإصحاح السادس والعشرين منه ، وهذا بيان الإحصائين مع النقباء الاثني عشر :

عدد	النقبا، «الاسباط»	إحصاؤهم في الاصحاح ١٩	في الاصحاح ٢٦	مقدار مازاده الاول أو ما نقصه
١	رأوبين	٤٦٥٠	٤٣٧٣٠	٢٧٧٠ +
٢	شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠	٨١٠٠ +
٣	جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥٠٠	٥١٥٠ +
٤	يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠	١٩٠٠ —
٥	يساكر	٧٤٤٠٠	٦٤٣٠٠	٩٩٠٠ +
٦	زيلون	٥٧٤٠٠	٦٠٥٠٠	٣١٠٠ —
٧	افرايم	٤١٥٠٠	٥٢٧٠٠	١٢٢٠٠ —
٨	منسى	٣٢٢٠٠	٣٢٥٠٠	٣٠٠ +
٩	بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠	١١٢٠٠ —
١٠	دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠	١٧٠٠ —
١١	أشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠	١١٩٠٠ —
١٢	نفتالى	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠	٨٨٠٠ +

نموذج آخر في الاختلاف الأدبي

في زمن امرىء القيس بن حجر

العدد	المصدر	بالتاريخ الهجري	بالتاريخ الميلادي	ملاحظات
٢	١	١٤٣ ق	٢٤٩٢ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٢	٢	٥٣ ق	٢٥٦٩ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٣	٣	١٦٧ ق	٢٤٥٥ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٤	٤	٨٥ ق	٢٥٣٧ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٥	٥	٨٣ ق	٢٥٣٩ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٨	٦	٥٧ ق	٢٥٦٥ م	قدرها بالتاريخ الهجري
١	٧	١٧٢ ق	٢٤٥٠ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٢	٨	١٢٢ ق	٢٥٠٠ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٣	٩	١٠٠ ق	٢٥٢٢ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٦	١٠	٨٢ ق	٢٥٤٠ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٧	١١	٦٢ ق	٢٥٦٠ م	قدرها بالتاريخ الهجري
٨	١٢	٦٥ ق	٢٥٦٥ م	قدرها بالتاريخ الهجري
١٣	١٣	٣٧ ق	٢٥٥٩ م	قدرها بالتاريخ الهجري

الواهب المتعجب لهجرة فتجر الله ج ١ ص ٤٣ قدرها بنحو
وتقل عن ابن قتيبة أن يثبه وبين الاسلام ٤٠ سنة وهذه توازي
ديوان الممددة لابن رشيق ١٤٨ قبل اليمنة بنحو ١٥٤ سنة
هذه تقادير القدماء وفيما يأتي تقادير المعاصرين :

دائرة المعارف الإسلامية
ديوانه المخطوط بدار المكتب المصري
شعراء العصرانية اللاب لويس شيخو
سعيدو في مختصر تاريخ العرب
الشهاب الراسد الأستاذ لطفي جوه
الوسيط للسكندري وعثاني قد يكون أبعد من
تاريخ الأدب العربي للمدارس النافذة (لرجال وزارة المعارف) ص ١٥١
العرب قبل الاسلام لجورجي زيدان ص ٢١٨
أدباء العرب للبتاني - وكما أنه أخذ من اللاب لويس شيخو

نظريتي

تعقيب وتحقيق

(١) تقدير القدماء ليس بشيء ماعدا (ابن قتيبة) فهو أقربهم إلى الحقيقة؛ لأن (أمرأ القيس كان يعاصر قيصر الروم (جوستنيان) ، وهذا الملك تولى الحكم من ٥٢٧م ، وكان يعاصر كذلك (كسرى أنوشروان) لأنه هو الذي أمد (المندر ابن ماء السماء) بجيش ليطارده، وأنوشروان تولى من سنة ٥٢٦م ، كما أن المندر اللخمي ابن ماء السماء تولى من ٥١٤م . فلو أن شاعر كندة كان عمره ٤٠ سنة في الزمن الذي قدره له ابن قتيبة ، لكان عمره عند وفاة حجير أبيه (٤٠ + ٩٥ = ١٣٥ سنة) لأن هذه الوفاة كانت سنة ٥٥٠م وقد عاش بعدها نحو عشر سنوات ، فكأنه قد عاش ١٤٥ سنة ولم يقل أحد إنه كان من المعمرين ، بل أجمعوا على أنه عندما طرده أبوه لتغزله ببنت عمه علنا ، كان شابا غرا في سن البلوغ ، وهي سن الطيش ، ولم يعيش بعدها أكثر من عشر سنوات مطالبا بشار أبيه ، فتقدير (ابن رشيق) ليس بشيء ، كذلك ما أشبهه ، وأقربهم إلى الصواب رأى ابن قتيبة .

(٢) كما أن (رأى سيديو) في المحدثين أبعد الآراء عن الحقيقة لما بينت ، ويخيل إلى أنه استقاه من (ابن رشيق) .

(١) كيف همدت زمنه :

تقدم أن متوسط الأجيال في قبيلة كهلان من جيل النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا .

ولسكننا إذا عددنا الأجيال من الصحابي الجليل حجير بن عدي وهو من شجرة كهلان ، من عشيرة امرئ القيس الأقربين وجدناها ٢٥ جيلا ، إذن الطبقات لا تسعفنا في فرعها ، لوجود بعض أجداده المعمرين ، الذين هبطوا بالعدد نحو ستة أجيال ، في مدة تقرب من ١٣٠٠ سنة .

(ب) ففي هذه الحالة لا مناص من التجائنا إلى أنساب طائفة أخرى مركزها غير قحطان ، وقد وقع اختياري على ثلاثة من هذه العشيرة :

١ - الشاعر (عمرو بن أبي الجير) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٦ أجيال .

٢ - والصحبان (حجر بن عدي) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٧ أجيال .

٣ - والصحبان (شريح بن مرة) وقد وجدت منه إلى معاوية بن ثور من أجداد امرئ القيس أيضا ٨ أجيال .

فهذه ٢٤ جيلا متوسطها ٨ أجيال .

(٤) ثم عرجت على « الشاعر امرئ القيس » فوجدت منه إلى « معاوية » جده وجدهم ٧ أجيال .

نخرجت من هذه الموازنة بنتيجة : هي أن « امرأ القيس » تقل الأجيال التي بينه وبين جده معاوية عما عند ثلاثة ، عاصروا النبي ﷺ بجيل واحد ، وهؤلاء الثلاثة من عشيرته .

وكان مقتضى هذا ، أن يكون شاعرنا قبل البعثة المحمدية ، بنحو أربعين سنة ؛ وهذا يوافق استنتاج ابن قتيبة تمام الموافقة ، ولكن امرأ القيس لم يعيش حتى يبلغ الأربعين ، إذ أن والده عندما طرده لعودته إلى نظم الشعر بعدما نهاه كان غرا نزقا ، لا يكاد يبلغ العشرين من عمره ؛ ويتبين هذا في قوله - وهو أول شعر نظممه كما يقولون - :

أذود القوافي عني ذيابا ذياب غلام جرى جوادا
فلبا كثرن وعنيفه تخير ممن سنا جيابا

فلم يجد بدا من أن يكشف القناع ، ويسير في أحياء العرب ، ويختلط بشذاذهم ؛ وما زال يهيم وراء ما يشتمى ومن يشتمى ، حتى قتل أبوه ، وأتاه

ففيه ، فكان المقاطعة أثرها ، وللصبوة أمرها ، فظل يحتسى ويحتسون . حتى انقضت السامر ، فبدأ الفتي يفكر في الثأر ، ويستنصر القبائل ، وأخيرا دفعه إلى أن يستنجد بقيصر الروم « جوستينيان » .

ويحدثنا « نونوز » المؤرخ اليوناني أن « جوستينيان » قلده إمرة فلسطين ، إلا أنه لم يسع في إصلاح أمره ، وإعادة ملكه ، فضجر ، وعاد إلى الجزيرة ولم يلبث أن مات !

(زمن وفاته) فتكون وفاته قبل الهجرة بنحو ٦٣ سنة ، وقبل الرسالة بنحو خمسين سنة ، وهذا الزمن يوازي بالتاريخ الميلادي سنة ٥٥٩ م حسبما قدمت ، أي بعد وفاة أبيه بنحو ٩ سنوات .

(زمن جوستينيان) ولكي يزيد الباحث اطمئنانا ، نربط هذا الزمن بزمن الشعراء ، فنجد عاهل الروم تولى من ٥٢٧ — ٥٦٥ م كما تقدم ، ووفاته (امرئ القيس) كانت سنة ٥٥٩ م كما برهنت . فيكون الشاعر قد لجأ قبل نهايته بنحو ستة سنوات إلى العاهل .

تقديرى ونفديهم

فيكون أقرب التقادير إلى تقديرى ما نقله « جورجى زيدان » ، إذ جعل وفاة امرئ القيس سنة ٥٦٠ م .

وأبعدها عن تقديرى عند المحدثين ما قرره « سيدو » ، من أنها كانت سنة ٤٥٠ م .

وأبعدها عن تقديرى عند القدماء ما قرره « ابن رشيق » ، من أنها كانت سنة ٤٥٥ م .

والغريب أن هذين التقديرين كادا يلتقيان ، مما يدل على أن « سيدو » استهدى « ابن رشيق » في تقديره .

بينى وبين جورجى زيدان

والسؤال الذى يبدو الآن : كيف التقيت وجورجى زيدان إلى هذا الحد العجيب ! لا بد أن يكون قد سبقنى بهذه النظرية التى ابتكرتها ، وهذه الدعامات التى شددت بها أسرها !

وأبسط ما أوجب به أن هذا البحاث لم يجعل متوسط عمر الجيل . ٤٥ سنة كما جعلته ، بل قدره ٢٥ سنة ، متابعة لرأى علامة الألمان « غلازر » ولم يعتمد على التاريخ الهجرى ، أو متوسط عمر الأجيال العدنانية أو القحطانية كما اعتمدت - وهى أمور لها قيمتها - بل كل ماراعاه دليل المعاصرة ، وربط تاريخ امرىء القيس بملوك فارس أو الروم ، وهم الذين اتعمل بهم ، فليس للرجل نظرية عامة ، يطبقها على الحوادث والأشخاص كما فعلت ، إنما له ذكاؤه ، وصبره ، وإطلاعه على ما خطه الباحثون ، فى اللغات الفرنسية والانجليزية والألمانية (١) والعربية .

أسس نظريتى

الآن وقد فرغت من تحديد متوسط عمر الجيل ، فى سلسلة النسب ، ورهنت على أن هذه الأربعين سنة ، وسط بين العشرين - مبدأ الزواج - والستين - متوسط نهاية العمر ، وسقت الأدلة التاريخية والدينية على مبلغ الخلاف ، فى تحديد الأرقام بين مؤرخ وآخر . يطيب لى بعد ذلك كله أن أضع بين أيدي الباحثين أسس نظريتى وقواعدها الخمس بالترتيب الآتى :

١ - القاعدة الأولى (دليل الصحابة)

والغرض منه استنباط متوسط الأجيال، من عصر النبوة إلى (عدنان)
أو (قحطان) في كل القبائل العربية : كل قبيلة على حدة

(أ) وقد تبين عند البحث أن متوسط أجيال (ربعة) ٢٥ جيلا
ومتوسط أربع من القبائل المضرية — أبناء عم قبائل ربعة —
٢٠,٣ جيلا .

فمتوسط الأجيال — في القبائل العدنانية — ربعة ومضرية من عصر
الصحابة إلى عدنان ٢٢,٦٥ جيلا .

واسكن هذا المتوسط لا فائدة منه ، إلا عند تحديد الزمن من عصر
النبوة إلى عدنان ، أو في قبيلة غير القبائل الخمس الآتية ، إذ بناء على أن عمر
الجيل ٤٠ سنة، يكون هذا الزمن $22,65 \times 40 = 906$ سنة أى نحو تسعة
قرون قبل الهجرة ، وثلاثة قبل الميلاد ، فأدق النواحي لدليل الصحابة، أننا
عند بحث الزمن لزعيم من زعماء (تميم) مثلا في الجاهلية، نعتبر أن الأجيال
من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا في هذه القبيلة ، اعتمادا على متوسط
الأجيال الأربعة والعشرين صحابيا منها

ومتوسط الأجيال — في قريش — في هذه الفترة ٢٢,٧١ جيلا ، اعتمادا
على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال — في قيس — في هذه الفترة ٢٠,٥٤ جيلا ، اعتمادا
على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

ومتوسط الأجيال — في كنانة — في هذه الفترة ١٩,٨ جيلا ، اعتمادا
على أجيال ٢٤ صحابيا منها .

(ب) وعند بحث الأجيال في قبائل العرب القحطانيين ، تبين لى
أن متوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان، في (قبيلة حمير) ٣٠ جيلا
وفي (قبيلة كهلان) ٣٢ جيلا . فتوسطهما ٣١ جيلا .

٢ — والقاعدة الثانية « دليل النسب » أى نسب أى شخص من الناهيين

نريد الترجمة له، وتعيين زمانه بسعد أجياله، منه إلى جده الأكبر «عدنان» أو «قحطان» ثم منه إلى دليل الصحابة في سلسلة نسبه

غيب هذه القاعدة

وهذه القاعدة أضعف القواعد، إذ قد يكون «دليل الصحابة» لقبيلة ما في شجرته ٢٢ جيلا، كما في «قبيلة كهلان» القحطانية، ولستقوط بعض حلقات النسب، أو وجود معمرين، تنكمش الأجيال، فتصير ٢٥ جيلا، بعد أن كانت ٣٢ جيلا

وقد ظهر لي ذلك واضحا عند النظر في «أقدمية الأفوه الأودي»، السكهلاني وغيره، لهذا لا يصح الاعتماد نهائيا على «دليل النسب»، إذا نقص أو زاد بمقدار ثلاثة أجيال، وفي هذه الحالة لا بد من ضم «دليل الصحابة» إليه على الأقل، ومع ما في هذه القاعدة من ضعف لا بد منها، لأنها الدليل المباشر لتحديد زمن المترجم له.

٣ - والقاعدة الثالثة «دليل العشيرة»، أي العشيرة القربى للمترجم له، وهي التي يجمعها وإياه جدهم الثالث أو الرابع مثلا، فقد يكون في فرع نسبه بعض المعمرين، أو الحلقات المفقودة، أما في فروع عشيرته الأقربين فلا يوجد شيء. منهما، أو يوجد في بعضهما، وفي هذه الحالة نستطيع تضيق دائرة الخلاف، بالإكثار من أفراد «دليل الصحابة»، في «عشيرته القربى»،

٤ - والقاعدة الرابعة «دليل المعاصرة»، وهذه القاعدة أعم وأدق من سابقتها، إذ قد يكون المعاصرون من عدة قبائل، فإذا انفقوا في عدد الأجيال إلى عصر النبوة - وهو «دليل الصحابة» - مع المترجم له، كان هذا الاتفاق دليلا على سلامة الرواية، وخلوها من المعمرين، أو من الحلقات المفقودة، وإذا اختلفوا وإياه، فتوسط أجيال المعاصرين من قبائل شتى، كفيل بتضييق دائرة الخلاف في عدد الأجيال أو السنين.

وقد فُبحث عن « دليل النسب » لشخص ما فلا نجد ، فلا يكون أمامنا
جَمِيعُهم إلا « دليل المعاصرة » وقد ظهرت فائدة هذا الدليل عند بحثي عن
زمن « أبي داود الإيادي » فقد حاولت العثور على سلسلة نسبه كاملة ، في
أكثر من عشرة مراجع ، فلما عجزت لجأت إلى المعاصرين له . فتبين أن
منهم « امرأ القيس بن حجر الشاعر » وغيره من المعاصرين ، الذين ذكرتهم
عند تحديد زمنه .

(٥) والقاعدة الخامسة وهي الأخيرة « دليل السجلات الملكية » .

وهذه القاعدة أمتن القواعد ، لأن الملوك في فارس أو الروم أو المنداة ،
تاريخاً مضبوطاً مبدأً ونهاية ، وأى خلاف في القواعد الأربع السابقة ،
لا أمل في الوصول معه إلى الحقيقة ، إلا إذا وجدنا صلة بهذا الدليل للجميع ،
ولذا أطلقت على هذه القاعدة « صخرة النجاة » وإذا عثرنا على « دليل
السجلات الملكية » والصلة بينها وبين من نريد الترجمة له ، أمكننا الاكتفاء
بدليل النسب معه ، وفي الغالب سنجد تطابقاً ، أو فرقاً لا يعقد به ، ولهذا
أطلقت على هذين الدليلين « قطبي السكوكب » .

وليس من الضروري عند تعيين أى زمن في الجاهلية ، ليوم من أيام
العرب ، أو شاعر من شعرائهم ، أو حادث من حوادثهم ، كسبل العرم
أو شخصية من شخصياتهم الأخرى ؛ أن نستعمل كل هذه الأدلة ، بل أول
ما نبحت عنه « دليل النسب » ، فإذا وجدنا صلة بين المترجم له وبين أحد
أولئك الملوك ، انتهزنا الفرصة ، ووقفنا بينه وبين « دليل السجلات الملكية »
وكثيراً ما نعتز بالدليل الأخير . على ما في سلسلة النسب من حلقات مفقودة ،
أو معمرين ، أو زيف في قول الرواة : إن فلاناً عاش ٣٠٠ سنة أو ٤٠٠ ..

والدليل على متانة القاعدة الخامسة أنها لا تحتاج إلى البحث في الأجيال ،
أو عمرها ، لأنها أشبه بالجدول الرياضية ، أو منائر البحار ليلاً .
أما القواعد الأربع السابقة فلا جدوى منها قبل أن نحدد عمر الجيل ،

بما حددته به ، مبنيا على أسس متنوعة من النقوش ، والتاريخ القديم والحديث
والسكتب المقدسة ...

فن الآن ، أصبح في إمكان أي باحث ، أن يحدد الزمن الذي يريده ، في
جاهلية العرب ، اعتمادا على هذه القواعد ، وأن يصل إلى نتائج باهرة إذا
كانت بين يديه شجرات الأنساب ، التي أشرت إليها

مزايا شجرات الأنساب :

والأمل في الله وحده كبير ، أن أجعل هذه الشجرات بين أيدي الباحثين
قريبا ، لأن البحث عن سلسلة النسب في كتب النسب ، لا يفيد كثيرا ، إذ أنها
لا تذكر لأي باحث سلسلة الأنساب متصلة من عصر النبوة إلى عدنان أو قحطان ،
وغاية ما تذكره إذا اختارته من شجرة واحدة كأحمد مثلا وجناده وعاصم
وكلاب ويزيد أن تذكر في الصفحة الأولى مثلا نسب أحمد إلى جناده ، وفي
الصفحة الخمسين تذكر نسب جناده إلى عاصم ، وفي صفحة ١٠٠ مثلا تذكر
نسب عاصم إلى كلاب ، وهكذا من أنواع الإحالة ، وفي هذا التقطيع متعبة
وضياع وقت ، لا نجدهما في شجرات الأنساب .

ما جدوى هذه الأسس ؟

من أعجب ما وجدت من المشبطات ، أن واحدا من كبار الموظفين المثقفين
ثقافة شرقية وغربية ، عرضت على مسامحة هذه الأسس ، فرحب وأطرب ،
وشجع وأطرب ، بل عرض أن يطبع ما ألقت ، وأن يختص ما ابتكرت ،
وبعد مدة سمع أني كنت أتردد كثيرا على بعض الباحثين من قبله ، فلم يكذب
يراني حتى بادرنى بقوله : أعد على ما سردت من قبل ! فلم أنته من السرد
حتى قال : وما جدوى هذه الأسس ؟ وماذا يهمنا أكان هذا الشاعر سابقا
أم لاحقا ؟ .

لم أنفجر غيظا لهذه المفاجأة ، لأنني وطننت نفسي منذ سنوات على سماع

كل مكروهة !! وبعد وجوم قلت لحضرته : وما جدوى البحث عن الآثار
بين الأطلال والدمن ؟ ومجاهل الدهناء ، وصحراء الأحقاف ، وكشبان طى ،
وتيه بنى إسرائيل ! وبادية السماوة ! .
وما جدوى العثور على جثة محنطة ؟ ، أو عظام نخرة ؟ أو أكفان بالية ؟
أو حيوانات مصبرة ؟ .

وماذا يهم فى تاريخ الأدب إذا زعمتم أن أقدم الآثار الأدبية عند العرب ،
يرتد إلى ١٥٠ سنة قبل الهجرة على الأكثر ! أو أن أول من قصد القصائد
مهمل بن ربيعة ! أو أن بعض قبائلهم كانت تئد البنات ، خوف العار
أو العيلة ! أو أن سيل العرم كان قبل الميلاد ، أو أن أقدم النقوش التى
كشفها الغربيون فى شمال الجزيرة العربية ، لا يتجاوز تاريخها القرن التاسع
قبل الميلاد ، أو أنها مكتوبة بأقلام مختلفة ، أشهرها الفينيقي والآرامى والنبطي
والندمرى والمسند !! وما حظ علماء الغرب ، وقد لقي الكثير منهم مصارعهم
هناك فى ظلمات القباب ، أو وحشة الاغتراب !!

مبرراتها

إن فى استطاعتنا ياسيدى بهذه الأسس الجديدة أن نضع جداول منظمة
كالجداول الرياضية . ١ - نضبط بها أسماء المعاصرين من الشعراء وغيرهم
فى القبيلة الواحدة ، ثم فى كل القبائل ، وبذا يتجمع فى الجيل الواحد ، آثار
الأقدمين المعاصرين .

٢ - ونعرف بالتالى ميلاد كل معنى مبتكر ، وتسلسله ، وهجرته من
أديب إلى آخر ومن قبيلة إلى أخرى ، وما طرأ عليه فى رحلاته العقلية ، فى
أذهان الشعراء اللاحقين من سمو ، أو انحدار ، أو جمود ، أو فناء .

٣ - ومن السابق من الشعراء بهذا المعنى المبتكر ؟ ومن المسبوق ؟
وأى القبائل العربية كان لها هذا الشرف .

٤ - وبهذه الأسس تعرف تحديد الزمن الذي ذابت فيه لغة قحطان في لغة عدنان . بعد سيل العرم .

٥ - ومبدأ تلك اللغة الأدبية العامة التي صارت لسان الشعراء جميعا في العصر الجاهلي ، لافرق بين قحطانيين وعدنانيين ، أو ربيعين ، وقيسيين ، وتميميين بعد أن كان كل فرد يتعصب لقبيلته ، ولهجتها ، بل لا يعرف سواها ، وينكر ما عداها ، بل لا يطاوعه لسانه أن ينطق بغير لهجتها كما لا يشيد بغير مآثرها .

٦ - وبيان وجه الحق في قولهم : « أول من قصد القصائد مهمل بن ربيعة ، و « أقدم الآثار الأدبية التي بين أيدينا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة » .

٧ - وحقبة قول ابن سلام : « قبيلة ربيعة أول حملت راية الشعر في الجاهلية ، ثم تلتها « قيس » ثم انتقل منها إلى « تميم » فظل بها أمدا طويلا ولا يزال إلى اليوم ، أي إلى اليوم الذي كتب فيه ابن سلام هذا في نحو ٢٣٢ هـ « ٨٤٧ م » .

٨ - وتحديد أقدمية « اللهجة القريشية » التي يزعم كثير من الأدباء والمؤرخين أن القرآن نزل بها .

٩ - ولم حكما بكذب الشعر المنسوب لعماد وشمود ، وبكذب كثير من الشعر المنسوب للهميرين .

١٠ - وكيف عثرت على أن أطول قصيدة عربية في الوجود كانت قبل الهجرة بثلاثة قرون ، بل بأكثر

هذا بعض ما ترشدنا إليه هذه الأسس ، ولولم يكن لها فضل إلا إثارة الشك ، فيما كنا نعتقد من قبل حقائق أدبية ، لا تقبل الشك لسكنى .

تدرج الأدب نثرا وشعرا

كل كائن حي يبدأ صغيرا ، ثم يأخذ ينمو حتى يبلغ أشده ، وعند ذلك

يأخذ في الانحدار حتى تبتلعه لجة الفناء ، والآداب من السكائنات الحية :
فهي (طفلة) في طفولة الأمم ، و (في ذروة الشباب) عندما تبلغ الأمم
أوج عظمتها ، وعندما تهوى الشعوب إلى (شيخوختها) وتتبدل إلى مصيرها
المحتوم ، تكون الآداب أسبق منها هبوطا ، لأن الآداب من الفنون السامية ،
التي لا تعيش إلا في البيئة السامية ، والسمو والهبوط ضدان لا يجتمعان .

والعرب في جاهليتهم ، وفي إسلامهم ، مروا بهذه الأطوار الثلاثة :
فهم لم يبدؤوا أولا بالقصائد ، بل مهدوا لها بالقطع ، وقبلها مهدوا بمبادئ
النثر الفني في أبسط صوره : في هيئة حكم وأمثال ، ثم توسعوا فيه ، فظهر
ما أطلقوا عليه (سجع السكهان) وهذا السجع كان تمهيدا للأراجيز ، وهذه
كانت تمهيد للقطع ، ثم القصائد ، وإذن فالحكم والأمثال المفردة ، والسجع
كانت بداءات الأراجيز ، والقطع ثم الشعر عند العرب .

أبرهما أسبق : النثر الفني أم الشعر ؟

قرر علماء الأدب أن الأدب نثر وشعر ، وأحدث أنواع النثر (النثر
الفني) ولحدثة عهده لم يتفق الأدباء على تحديده (والنثر الفني) عندهم هو
النثر المنطق ، المصوغ في قالب أدبي ، يثير المشاعر ، وقد يشترطون أن
يكون وليد العقل والمنطق ، وقد يتأثرون بالنثر الفني عند أمم الغرب ،
فيطلبون أن يكون النثر عارفا بالكتابة ، لتدوين ما يخطر له ، بعد
ترتيبه منطقيا .

فإذا ارتبطنا بكل هذه الشروط سلمنا بدون مناقشة بأن الشعر أقدم
من النثر لأمرين :

(الأول) أن الشعر عاطفة ، والعواطف عند الإنسان الفطري أسبق
من اصطناع المنطق والعقل .

(الثاني) أن الكتابة اختراع متأخر في كل أمة ، فاشتراط التدوين في
النثر الفني يحتم تأخير تقديم الشعر ، وتطبيقا على هذه الشروط نجد أن
العرب لم يكن لهم نثر فني في الجاهلية !!

(رأى) وعندي أن الآثار الأدبية في كل أمة هي التي تحدد التقسيم
وسبق كل نوع ، وعلماء الأدب عندنا حددوا الشعر ، بأنه الكلام الموزون ،
المقفى ، المنتزع من الشعور ، المحلق في آفاق الخيال ، والنثر ما خلا من الوزن
والقفية ، وقد يكون منتزعا من الشعور والعواطف ، ليهدف إلى إثارة الشعور
والعواطف ، وهذا هو النثر الأدبي ، ويمثلون له بالخطابة .

والعرب في الجاهلية كان عندهم الخطباء ، كما كان لديهم السكهان والشعراء ،
(فالخطابة) و (السكانة) ومثلهما (المواظ الدينية) كالتى نسبت
لقس بن ساعدة الإيادي و « الوصايا ، و « الحكم » و « الأمثال » و « القصص »
الذى تروى فيه أخبار العرب وأيامهم ومفاخرهم ، ليست بالإجماع من الشعر
فهم نسميها ؟ لا شك أنها نثر أدبي ، وليس من الضروري أن نطلق عليها
نثرا فنيا ، إذ نستطيع هنا أن نجارى الغربيين ، فنطلق النثر الفنى عندنا ، على
آثار السكتاب فى العصر الأموى والعباسى ، ونكتفى بالنثر الأدبى لما تركه
العرب نثرا فى جاهليتهم مما قدمته ، والنثر الأموى والعباسى — لأن مصدره
العقل ، وفيه تسلسل المنطق وترتيبه ، وفوق ذلك كان يدون — ينطبق عليه
« النثر الفنى » بسهولة ، ولو أن فيه عاطفة ، أما الآثار الجاهلية الأدبية التى
ليست بشعر ، فهى عند المدرسة الغربية وتلاميذها ليست نثرا فنيا ، إذن
فما اسمها ؟ لكانى بهم يقولون مع مجنون بن عامر وقد رأى ظبية بها مشابه
من ليلى :

فعيناك عيناها ، وجيدك جيدها سوى أن عظم الساق منك دقيق
إنها عندي « نثر فنى » غاية الأمر أن النثر الأدبى درجات ، فما كان
منشورا ساذجا ، يخاطب العاطفة ، فهو « النثر الأدبى » وما كان منشورا متسلسلا
يخاطب العقل تارة ، والعاطفة تارة أخرى ، وفيه جمال لفظى أو معنوى ،
فهو « نثر فنى » ولو لم يكن مدونا .

وإلا لو التزموا تسمية النثر فى العصر الأموى والعباسى باسم ، وأطلقوا
على النثر قبل هاتين الفترتين اسما آخر ، لكان يجب على المدرسة الغربية

وتلاميذها أن يطلقوا « الشعر الفنى » أيضا على الشعر الأُموى والعباسى ،
ولكنهم لم يطلقوا هذه التسمية فلماذا ؟

النثر أسبق من الشعر

وإذ قد برهنت على أن الأدب فى جاهلية العرب كان منه الخطابة
والكهنانة ... وهذه لا يمكن أن تسمى إلا نثرا لا شعرا ، لأنها لا تنطبق
عليها خصائص الشعر ، فيجب علينا أن تعيد السؤال مرة أخرى : أيهما أسبق
النثر أم الشعر ؟

وحينئذ لا نجد مناصا من القول بأن النثر عند العرب أسبق من الشعر .

١ - لأن البسيط أسبق من المركب .

٢ - والسهل أقدم من الصعب .

٣ - وتدرج الأطفال فى حياتهم اللغوية ، أشبه بتدرج الأعمى فى هذه الحياة
اللغوية ، ولا يشك مثقف فى أن النثر أبسط من الشعر وأسهل ، وأن الشعر
العربى مقيد بقيدى الوزن والقافية ، فهو مركب ، والمركب أصعب من البسيط .
والأطفال عندما يريدون أن يحاكيوا غيرهم فى النطق ، يبدأون المحاكاة
بمقطع واحد ، ولو تعددت مقاطع الكلمة فى نطقها عند الكبار ، وما ألجأهم
إلى تشذيب الكلمة ، إلى أقل حروفها ، إلا سنة الطبيعة فى تدرجها ، فإذا أتقنوا
المقطع الواحد ضموا إليه المقطع الثانى ، وهكذا يصنعون فى الكلمة ، ثم
فى الكلمتين ، ثم ينتقلون إلى الجملة البسيطة ، ثم الجملة المركبة ، فإذا عرفوا
كيف يؤلفون مما أتقنوا من الجمل قصة ، بدءوا بها قصيرة ، ثم متوسطة
ثم طويلة ، وفى المدرسة يلى المدرسون قواعد التربية وعلم النفس ، فينهجون
نفس النهج : البسيط قبل المركب ، والسهل قبل الصعب ، والحسى قبل المعنوى ،
والحاضر قبل الغائب ، والعاطفى قبل العقلى .

وليس من الضرورى عند العرب أن يعبروا عن شعورهم بالشعر ، بل فى

الإمكان أن يعبروا عنه بحملة واحدة، مركبة من مبتدأ وخبر، وقد يبرزون معناها بحركاتهم وإشاراتهم، كما هو الحال في لغة الخرس؛ فإذا كان حظهم من اللغة أعمق، اكتفوا بالأمثال بدل الجمل العادية، ثم يتدرجون لإبراز عواطفهم بالأمثال المزدوجة النثرية ثم الشعرية، فإذا رقى إحساسهم، وأهيجت عواطفهم، وطاوعتهم ألسنتهم، عبروا عما يحيش في صدورهم بأبسط أنواع الشعر ولو شطرا. أو بيتا، ولا يزالون ينتقلون من البيت إلى البيتين، ومنهما إلى الثلاثة، وهكذا حتى تتم لهم أبيات، والتي دون السبعة هي التي أطلق عليها الأدباء القطعة أو المقطوعة، وبعدها تبدأ القصيدة. هذه هي المراحل الطبيعية لميلاد النثر الأدبي من النثر العام. وميلاد الحكم والأمثال من النثر الأدبي، وميلاد الشعر من النثر الفني العاطفي المسجوع، لأن المسجعات في النثر كالقوافي في الشعر، لمكثيهما رنات موسيقية، تزيد من إبراز العاطفة، وإرهاق الشعور.

ويؤيد سبق النثر قول أدبائنا القدامى: «كان الكلام كله منشورا فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعراقها... فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام، فلما تم لهم وزنه، سموه شعرا، لانهم شعروا به أى فطنوا له»^(١)

وقد يحتاج المعارضون القائلون بسبق الشعر، بأن أقدم ما وصل إلينا من الآثار الأدبية كان شعرا، وأن أكثر هذه الآثار شعر لا نثر، فإليهم أسوق ما قرره علياؤنا: «ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من الموزون الا عشره، ولا ضاع من المنشور عشره، وقول عمرو بن العلاء: «ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير»^(٢)

المقطعات والقصائد

ويخيل الى أن الزمن الذي مر على الشعراء ، مكتنفين بالمقطوعات ، أطول من الفترة التي مرت بهم في ظلال القصيد ، وأن أكثر شعراء العرب في الجاهلية ، كانوا من ذوى المقطعات ، لا القصائد لما يأتى : -

١ - لأن السهل أقدم من الصعب ، والمقطوعات أسهل ، لأنها أقل أربابنا

٢ - ولأن المقطعات أدعى إلى الحفظ ، ومن الفخر للشاعر أن يحفظ

شعره أكبر عدد من الناس .

٣ - ولأن من طبع العرب الإيجاز ، شأن بقية الساميين ، ولذا خلا شعرهم من الشعر القصصى أو شعر الملاحم . ومن (الشعر التشيلى) أو المسرحى إلا فى أضيق الحدود ، بعدا منهم عن التثرثرة والإطناب ، وإيمانهم بأن خير الكلام ما قل ودل ، وشعورا منهم بشخصياتهم ، إذ أن الملاحم ، عادة تنظم فى العهود التى يحس فيها الفرد بجماعته فالجماعة عنده هى الأهم ، أما البدو أو العرب فى جاهليتهم ، فكان الفرد أولا . والقبيلة أخيرا ، وإذا اضطررنا إلى تذكر القبيلة اكتفوا بضمير الجمع غالبا ، دون التصريح بالأشخاص . ولم يشعروا بوجودهم كشعب إلا قبيل الإسلام .

١ - وأول مظهر لهذا اجتماع وفود العرب ، فى بلاط الملك الحمرى : « ذى يزن » لتهنئته بالجللاء الحبشى عن الين ، وتبوته عرش آبائه وأجداده ، بعد محنة أظلت بلاده نحو قرن ، وزاد من روعة الوفود ، أنها لم تكن من القبائل القحطانية وحدها ، بل كانت تجمع بينهم وبين العدنانيين ، بل كان أكبر الوفود وفد الحجاز برئاسة عبد المطالب جد النبى ب . والمظهر الثانى كان فى « يوم ذى قار » ، وهو أول يوم انتصف فيه العرب من العمم .

(٤) وكان المثل السائر ملك عليهم أحاسيسهم فأوجزوا ، ليكون شعرهم أشبه به ، ويؤيد هذا أن « عمرو بن العلاء التيمى » لما سئل : هل كانت العرب

توجز؟ قال نعم ، ليحفظ عنها ، وما أجاب به « أبو الموش » وقد سئل :
لم لا تطيل الهجاء ؟ فقال : لم أجد المثل السائر إلا بيتا واحدا !!

فالعرب لم توجز أول ما أوجزت ، ليحفظ عنها ، وما قصرت لأن
القصار أوج في المسامع ، وأجول في المحافل ، بل كان الغرض أولا أن السهل
أسبق من الصعب ، وأن البسيط أقدم من المركب .

وهذا لا يمنع أن الشعراء رأوا بعد كثرة التجارب ، وطول التنعيم أن
للقصار روعة ليست في الطوال ، وأن من المواقف ما لا يحسمه إلا بيت
شروذ ، أو قطعة مرتجلة ، وأن من دواعي خلود الشعر وحفظه أن يكون
قصيرا لا قصيدا .

درجات الشعر :

١ - فلا تسكن في مرية من سبق (الرجز) (١) ؛ مناغمة لسير الإبل
ووقع أقدامها .

٢ - وأن (القطع) وأقصاها ستة أبيات (٢) وأدناها بيت ، كانت أسبق
من القصيد .

٣ - وأن (القصائد) وهي ماجاوزت إحداها ستة أبيات لم ترها الآداب
العربية إلا بعد أحقاب متطاولة من لغة المحادثة الأولى .

تدرج البحور :

وإذا ثبت أن (الرجز) كان أقدم البحور ، كان أقدم البحور بعده
(الكامل) ، لأن الشاعر إذا أضمر (٣) تفاعيله كان رجزا ١٠٠٪ ، ولا يحكم

(١) قصة الإبل في العالم ص ٣٥٥ (٢) الممددة ح ١ ص ١٢٥

(٣) إضمار الكامل إسكان التاء في (متفاعان) انصبغ (متفاعان) يسكون التاء فتنتقل إلى
(مستفعلن) التي بنى عليها الرجز .

بأنه من الكامل أو الرجز إلا إذا خلت تفعلة منه من الإضمار ، فيكون ذلك دليلا على أن الشعر كله في هذه القطعة مثلا من الكامل ، وأن ما سكن ثانيه من التفعلات دخله الإضمار .

وبعد أن اخترعوا « السكامل » عثروا بوزن البحر ، الذي سماه الأخفش « المتدارك » وسماه غيره « الخبيب » ، لأن الخبب نوع من العدو ، ولا شك أن هذه التسمية أقوى وأوضح ، لأنها ربطت بين المعنى القديم والمعنى الجديد ومن ذا الذي لا يتخيل الإبل تعدو إذا ما أنشد قول الشاعر :

زمت إبل للبين ضحى في غور تهامة إذ رحلوا
أو قول الآخر :

جاءنا عامر سالما صالحا بعدما كان ما كان من عامر
وبعدها عثروا على ما يشبهه (تفعلة الرمل) في أثناء سير الإبل ، وعليها أحمالها ، ولا شك أن « فاعلاتن » تمثل النخمتين الحادثتين من سيرها ، وقلقلة أصوات وصداه ، وتخيل هذا عندما تنشد مثل قول « عدى بن زيد التيمي » تارة بطيئا ، وأخرى مسرعا :

عاد بعد الجبر يينى وهنه ينحون المشى منه فانسكسر
أو قول الآخر :

لمن الدار تعفت بنخيم أصبحت غيرها طول القدم
ما تبين العين من آياتها غير نوى مثل خط بالقلم

أقدم بحور الشعر

ويمكن أن أقرر هنا في يسر واطمئنان . أن أقدم بحور الشعر ما تركبت من تفعلة واحدة مكررة كالرجز ، والكامل ، والمتدارك وهو الخبيب ، والرمل ، والهجج ، والوافر ، والمتقارب ؛ وأن البحور التي تركبت من تفعلتين أحدث عهدا كالطويل ، والمديد ، والبسيط ، والسريع ، والمنسرح . لما ثبت عند الباحثين من أن البسيط أقدم من المركب ، والسهل أسبق

من الصعب. وإن لم يكن من الضروري أن يتحقق هذا الاستنباط ١٠٠٪ لأن اللغات وآدابها لا بد فيها من الشذوذ ، إذ لم يكن واضعوها من علماء المنطق أو الهندسة ، ولم تضعها قبيلة واحدة ، أو بيئة واحدة .

ومن هذا نرى أن الشعر ، سار وفقا لناموس الطبيعة من التدرج ، وأن الشعراء أخذوا ينتقلون به من فنن إلى فنن ، ومن بحر إلى بحر ، حتى استقرت أوزانها في الجاهلية الأولى ، في تلك البحور ، وأوزانها النهائية ، وأوزانها الأساسية ، وأعاريضها ، وأضربها ؛ وسجل الفخر للعالم القحطاني « الخليل بن أحمد الفراهيدي » بكشفه ١٥ بحرا منها ، كما سجل نحر آخر للأخفش ، بكشفه البحر السادس عشر وهو « المتدارك » فصار المعروف من الشعر العربي بعدئذ ١٦ بحرا ، و ٣٦ عروضاً ، و ٣٧ ضرباً ، و ٧٠ وزناً أساسياً ، وأن ذلك مر في أحقاب متطاولة ، حتى بلغ أشده ، وأدرك غايته . وأن العرب ألهموا في خلال تلك الأحقاب ، أن ينسقوا بين وحدة اللغة واللهجة والأسلوب ، والوزن ، والقافية ، متدرجين ، مؤسسين على الأجداد القديمة أجدادا حديثة دون أن يعتمدوا في هذا على غير العرب ، ولو كانوا ساميين ، فكيف إذا كانوا من غيرهم ؟

هل مصدر الوزن والقافية أجنبي ؟

مما ينبغي أن العرب لم يعتمدوا في هذين على أمة أجنبية ، أن الأوزان العربية وقوافيها ليست لأمة من الأمم القديمة المعروفة :

إذ (السريان) لم تكن القافية في شعرهم ، في القرون العشرة الأولى من التاريخ الميلادي ، ولكنهم اقتبسوها من العرب ، في نحو القرن التاسع (الثالث الهجري) .

ويشبه السريان في خلو شعرهم من قافية ، (العبران) و (الهنود) . وأحدث ما وصلنا من شعر الفرس ، كان في القرن الثالث الهجري

بعد أن ذابوا في الأمة العربية بالفتوح الإسلامية، فخرجوا أمة جديدة في أفكارها واتجاهها وأحاسيسها، حتى خطها وشعرها : أوزاناً ، وقوافي ، وأغراضاً ، وتدل على ذلك أسماء الأوزان الشعرية ، فأكثرها عربي ، والمصطلحات العروضية ، فكلمها مأخوذة بنصوصها من الشعر العربي ، ومثل هذا (الشعر عند الترك) . والأتراك أنفسهم لا يجهلون على غير هذا .

كذلك لا يقال إن الشعر العربي مقتبس من الشعر « اليوناني » أو « اللاتيني » ، بل هو من القافية ، ولأن الأوزان العربية أضعاف ما عند هؤلاء ، والأغراض عندنا غير الأغراض عندهم ، ولم يتصل شعراء الجاهلية بشعراء اليونان أو اللاتين . ولو حدث الاتصال لوجدنا في الشعر العربي (شعراء قصصياً) و (شعراء تمثلياً) وملاحم ومسرحيات .

فالافتقار على (الشعر الغنائي) وحده ينفي الاتصال ، وبالتالي ينفي الاقتباس .

مصدر الوزن والقافية عربي قديم

ولكن ألا يجوز أن يكون شعر العرب العدنانيين في جاهليتهم ، امتداداً لشعر العرب السابقين من عاربة وبائدة ، ومن العرب الحواريين ، أو العماليقة ، أو الأنباط ، أو المعينيين أو السبئيين ، أو عاد أو ثمود أو طسم وجديس ؟ . أكبر ظني أن الوزن والقافية في الشعر العدناني الجاهلي ، مقتبس من اللغات العربية القديمة وآدابها ، أو على الأقل اقتبسوا بعض هذه الأوزان ، وابتكروا بعضها الآخر ، متفرعين من الأوزان المقتبسة القديمة ، كما تفرع (الكامل) من (الرجز) مثلاً و (الخفيف) من (الرمل والرجز) معاً : طرفاه في كل شطر من الرمل ووسطاه من الرجز هكذا ، وإلا فهل ينسكب أحد أن الحضارة الإنسانية ليست من بناء أمة واحدة ، والثقافة العالمية من أقدم

العصور تراث السابقين إلى اللاحقين ، وأن الآباء يرثون آباءهم في كثير من خصائصهم العقلية والعاطفية ، كما يرثونهم في كثير من ألوانهم وأشكالهم ، وأن للمجاورة آثارها وللبيئة تأثيرها .

إن ميدان الآداب الإنسانية لا يزال متسعاً ، وحقلها لا يزال بكرًا ، فعلى الباحثين أن يتعمقوا ، فالإنسان اجتماعي بأوسع معاني هذه الكلمة ، وللإجتماع آثاره الخلقية والعلمية والاقتصادية ، وأولى الناس بهراث القدماء هم أبناؤهم ثم حفيدتهم .

وفيما يأتي تطبيق نظرتي مفصلاً لتحقيق الأمور الأربعة الآتية :

الأول — الأمثال المنسوبة إلى أصحابها أصدق الدلائل على قدم الأدب العربي .

الثاني — شعراء المقطوعات وترتيبهم .

الثالث — شعراء القصائد ، وبيان أقدم ما عثرت عليه منها ، وأى أولئك الشعراء أقدم في نظر الرواة وفي رأى نظرتي .

الرابع — الملهجة التي نزل بها القرآن ليست قريشية ، بل عربية لعامة أدباء العرب ، قبل قريش بمئات السنين . وهذا بسط القول في كل قسم .

(١) القسم الأول

الأمثال المنسوبة أصدق الدلائل على قدم الأدب العربي

الحكم والأمثال من فنون الأدب القديمة ، بل هي أقدم فنونه ، وقد أجمع الباحثون على أنها مرآة صادقة لعواطفها ، وسجل مضغوط لكثير من من أحداثها ، لهذا تجردت طائفة من علماء العرب ، لجمع أمثالهم في مؤلفات ،

ليعم النفع بها ، أمثال ابن عبيدة ، وابن عبيد ، والأصمعي ، وابن زييد ،
والمفضل بن محمد ، والمفضل بن سامة ، وحمزة بن الحسين ، وعبيد بن شربة ،
وعطارد بن مصعب ، والشَّرقى بن القَسطاميّ .

ولا ننسى « جمهرة الأنساب » لابن هلال العسكري المتوفى سنة ٥٣٩٥ هـ
(١٠٠٥ م) ، وجمع الأمثال للبيداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ (١١١٤ م) .

وإن أعجب فعجب أن هؤلاء العلماء ، مع كثرة ما بحثوا وسجلوا ، لم يتعرض
واحد منهم لأقدمية كل مثل ، ودلالته على قدم الأدب العربي ، وكل ما فعلوه
في هذا المجال ، أنهم عمدوا إلى بعض هذه الأمثال ، فنسبوها إلى قائلها ،
دون أن يحددوا زمانها بأكثر من هذا ، وما كانوا إلا صورة لرغبات زمانهم
وطبيعة ظروفهم .

لهذا يسرني أن أقرر هنا أن الأمثال العربية أصدق الدلائل على أقدمية
الأدب العربي ، من كل ماعداها من المقطوعات ، ومن القصائد ، ومن
الخطب ، ومن الوصايا ، ومن سجع الكهان .

وأن أبرهن في ذات الوقت على زمان كل مثل من الأمثال التي اخترتها ،
مقررا أن الأدب العربي بالأسلوب المعروف لنا الآن ، واللهجة التي نزل بها
القرآن ، كان معروفا قبل الهجرة بمئات السنين ، بل قبل الميلاد المسيحي

لم كانت أصغر الدلائل ؟

وكانت أصدق الدلائل على أقدمية الأدب العربي ، من كل ماعداها الأمور :
(أولا) لأنها أبسط من المقطوعات وما إليها ، والبسيط أسبق من
المركب ، وأقدم منه عهدا .

(ثانيا) لأن العلماء قرروا من قديم أن الأمثال لا تغير ، وبهذا القرار
ثبت أن هذا الامتياز مقصورا عليها ، لا يصح أن يحظى به أي نوع من
أنواع الأدب الأخرى ، إلا ما جرى مجراها ، ويخيل إلى أنه لم يوح إليهم

بهذا القرار الحكيم ، إلا أن احتفاظ الأمثال بصيغتها الأصلية ، أدل على تاريخ الأفراد والجماعات ، وما مر بها من مراحل في لغتها ، وفي تفكيرها ، وفي أحوالها المختلفة ، فوق إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، ودقة التشبيه ، ونبيل الكناية .

وبكل هذه كان لها سمحها ، وبلاغتها ، ونفاستها ، واعتزاز العرب بها ، ولا يشبه حرصهم على صورها وأشكالها ، إلا حرص الأمم المتحضرة الآن على آثارها ، وتماثيل عظمائها

في الأمثال المنسوبة لتاريخها

ولكن الأمثال المبثوثة في ثنايا الكتب ، ليست سواء في القيمة ، لأنها ليست سواء في الدلالة ، فالمثل المنسوب لقائله ، يدل وحده على أخلاقه ، وبعض ظروفه ، بل تاريخه ، ومبلغ قدمه .

أما الأمثال التي جهل قائلها ، فلا تفيد شيئا من هذا ، ففائدتها لا تدل على تاريخ الأدب ، بل على غيره ، فالأولى أرحب جامعا ، وأبعد مدى ، وأكثر دلالة ، وأنفس قيمة .

لهذا سأجعل الأمثال المنسوبة ، نقطة ارتكازي ، ومركز بحثي ، ودليلي على أن الآثار الأدبية ، التي تركها عرب الجاهلية بين أيدينا ، ليست وليدة قرن ونصف قبل الهجرة ، كما زعم الزاعمون ، بل هي أقدم من أضعاف هذه المدة ! وحسبك أن منها ما هو أقدم من الميلاد المسيحي ، أي أقدم من البعثة المحمدية بأكثر من ٧٠٠ سنة

وإذا تمكنت من إثبات الأقدمية ، سهل على الأدباء والباحثين أن يصدقوا ، أن من المقطوعات الشعرية ما يقرب من هذا التاريخ ، ولولم أبرهن على هذا . القدام .

وإذا صدق المنكرون من قبل أقدمية الأمثال ، والمقطوعات التي سأذكرها ، انفتحت مغاليق الموضوع بين أيديهم ، واتسعت الآفاق أمامهم ، فأصبحوا لا يجدون غضاضة في قول من يقول : إن بعض القصائد العربية

التي بين أيدينا ، ترجع أقدميتها ، إلى القرن الرابع قبل الهجرة ، ولولم أبرهن عليها بالسجلات الملكية أو السلاسل النسبية ، أو الأرقام الحسابية .

نماذج من البرهنة على أقدمية النشأان المفهومة

(١) «إن العصا من العُصية» يضرب لبيان العلاقة بين الفرع والأصل ، أو الكبير والصغير ؛ وقد نقل الميداني عن المفضل ، أن أول من قاله «الأفعى الجرهمي» وكان يعاصر «نزار بن معد بن عدنان» ، وجرهم ، أحوال سيدنا إسماعيل ، أشرفوا على إدارة السكعبة أحقابا طوالا ، ثم تلتهم «خزاعة» نحو ٣٩٠ سنة ، قبل قريش .

وتعذر العثور على نسب الأفعى الجرهمي ، تحتم علينا أن نلجأ إلى قاعدة أخرى من القواعد الخمس ، التي تقوم عليها نظرتي ، وهذه القاعدة هي «دليل المعاصرة» ،

وقد تقدم أن «نزارا» كان يعاصر «الأفعى» فكيف نسير في البرهنة؟ من نزار إلى عدنان ثلاثة أجيال ، فمن نزار إلى عصر النبوة ، اعتمادا على متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ، ١٨,٥ جيلا مدتها $١٨,٥ \times ٤٠ = ٧٤٠$ سنة قبل الهجرة .

واعتمادا على الأجيال من سيدنا محمد نفسه إلى نزار ، نجد عددها ٢٠ جيلا . مدتها $٢٠ \times ٤٠ = ٨٠٠$ سنة .

وبناء عليه نجد أن هذا المثل ، كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٠ سنة على الأول و ٨٠٠ سنة على الثاني ، وعلى كلا الأمرين ، كان هذا المثل في القرن الثامن قبل الهجرة ، والقرن الثاني قبل الميلاد المسيحي .

ونظرة أخرى إلى هذا المثل لفظا وأسلوبا ومغزى ، نجده متين الصلة بلهجة الأدباء الآن ، وباللهجة التي نزل بها القرآن قبل الآن بنحو ١٤ قرنا . أي قبل المدة التي حددوها لأقدم الآثار الأدبية العربية ، التي بين أيدينا بنحو ٦٥٠ سنة قلم هذا التجنى ! والاحتطاب في جبل الغربيين ، الذين

لا يتورعون أن ينسكروا آدابنا وتاريخنا وآثارنا ، وكل ما يرفع رأسنا !
كانهم وحدهم شعب الله المختار ! .

(٢) من الأمثال القديمة : « السليم لا ينام ولا ينجس » . يضرب لبيان أن
الضرر لا يقتصر على متبعه وحده ، بل يتعداه إلى غيره .

وقد اخترت هذا المثل بعد مثل الأفعى الجرهمي ؛ لأن السابقين نسبوه
إلى « إلياس بن مضر » ولا يجرؤ على إثبات أقدمية هذا المثل ، أو تعيين
مركز « إلياس بن مضر » من دورة الفلك إلا نظريتي التي ابتكرتها لتعيين
أى زمن فى الجاهلية .

وقد لجأت إليها لتعيين زمن إلياس ، وهو الجد السادس عشر لصفوة
الرسول ﷺ فدلتنى على ما يأتى :

من إلياس إلى عدنان ٤ أجيال ، ومتوسط عدد الأجيال من عدنان إلى
عصر النبوة ٢٢,٦٥ جيلا ، فمتوسط الأجيال من إلياس إلى عصر النبوة =
٢٢,٦٥ - ٤ = ١٨,٦٥ جيلا .

مدتها ١٨,٦٥ × ٤٠ = ٧٤٦ سنة .

أى إن إلياس بن مضر كان قبل الهجرة بنحو ٧٤٦ سنة ، وقبل الميلاد
المسيحى بنحو ١٢٤ سنة ، ولو لم نعبأ بمتوسط الأجيال فى شجرة العدنانين ،
واعتمدنا على سلسلة النسب الطاهر لسيدنا رسول الله ﷺ منه إلى عدنان ،
لبلغ عدد الأجيال ٢٢ جيلا .

(٣) مدتها ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، وبحذف الأجيال الأربعة بعد مضر
إلى عدنان يكون الباقي من إلياس إلى سيدنا محمد ﷺ ٢٢ - ٤ = ١٨ جيلا .

مدتها ١٨ × ٤٠ = ٧٢٠ سنة أى إن إلياس على هذا كان قبل الهجرة
بنحو ٧٢٠ سنة ، وقبل الميلاد المسيحى بنحو ٩٨ سنة وهى قريبة جدا من النتيجة
الاولى ، وبناء عليه نجد أن عمر هذا المثل أكثر من سبعة قرون ، وأن إلياس

قاله في القرن الثامن قبل الهجرة فأين ٧٤٦ سنة أو ١٢٠ سنة من ١٥٠ سنة التي اعتبروها حداً أقصى للآثار الأدبية، في اللغة العربية ! أليس من الظلم أن يقتضبوا من تاريخ الأدب ، بل تاريخ العرب نحو سنة قرون !

(٣) ومن الأمثال التي ساقها الرواة ، فتحدثت إلينا من أغوار الجاهلية الأولى ، خلال ستمائة قرون ، قول ضبة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، تلك الأمثال الثلاثة الآتية :

« الحديث ذو شجون » وهـ أم سعد أم سحبد ، وهـ سبق السيف العدل ،

ونظرة إلى ضبة هذا ، نجده أحدث من جده إلياس بثلاثة أجيال ، مدتها $3 \times 40 = 120$ سنة فيكأن ضبة أحدث من إلياس بنحو ١٢٠ سنة .

وعلى هذا يسكون قبل الهجرة ، على متوسط الأجيال في شجرة عدنان - بنحو ٦٢٦ سنة ، ونحو ٤ سنوات ق.م ، وعلى عدد الأجيال من سيدنا محمد ﷺ بنحو ٦٠٠ سنة قبل الهجرة ، وسنة ٢٢ بعد الميلاد المسيحي ، وهذا الزمن يبين لنا أن هذه الأمثال الثلاثة ، قيلت في القرن السابع قبل الهجرة أو في القرن الأول قبل الميلاد ، أي قبل « قصي » أول ملوك قريش بنحو أربعة قرون .

(٤) ومن قديم الأمثال قولهم : « رميتي بدأها وانسلت » يضرب للبريئة تقذف من المعيبة قالت له رهم بنت الخزرج « زوج سعد بن زيد مناة بن تميم » . والنظر في أقدمية هذا المثل من جهتين : جهة قحطانية يمثلها « رهم » ، ووجهة عدنانية يمثلها « سعد بن زيد مناة بن تميم » .

١ — ومتوسط الأجيال من رهم إلى دليل الصحابة ١٢٠٥ جيلا مدتها $1205 \times 40 = 500$ سنة .

ب — ومتوسط الأجيال من سعد إلى دليل الصحابة $105 \times 46 = 483$ ، وهي قريبة من النتيجة الأولى ، ومتوسط النتيجةتين $492,5$ سنة .

ودلالة هذا أن ذلك المثل ولد قبل الهجرة بنحو ٥٠٠ سنة (١٢٢م) أى قبل قصة أول ملوك قريش بنحو ٣٠٠ سنة .

(٥) وعلى ذكر سعد بن زيد مناة بن تميم، اذكر ثلاثة عشر نصا جرت في محادثة بين ثلاثة من بني تميم . « سعد بن زيد مناة ، هذا و » جندب بن العنبر ابن عمرو بن تميم ، — ابن أخى سعد . — وجارية لبني تميم ؛ وقد جعلت عنوان هذه المحادثة : « نموذج للغة المحادثة . . . » وسنأتى بعد صفحتين

(٦) ومن الأمثال القديمة قول حكيم العرب « عامر بن الظرب » :

« رب زارع لنفسه ، حاصد لسواه »

وقد برهنت فيما سياتى من الكتاب على أن عامر بن الظرب، ولد حوالى ٤٠٠ ق م (٢٣٤م) فلو لم يصدر منه هذا المثل إلا وهو فى سن الأربعين ، لا يمكننا أن نقرر، أن ميلاد مثله كان فى القرن الرابع قبل الهجرة ، والقرن الثالث الميلادى أى قبل أن يتولى قصة أول ملوك قريش بنحو قرنين ، وقبل أن تظهر نتائج إصلاحه بنحو ٢٥٠ سنة .

(٧) ومن المعاصرين لحكيم العرب، ذلك الملك اللخمى وجذيمة الواضح، فهو وإن كان من أرومة قحطانية، إلا أن هجرته إلى العراق ، واستيطانه تلك الجهة التى تعج بالقبائل العدنانية، وتلهج ألسنتها باللهجة العدنانية ، وتقديره لتلك اللهجة التى كانت لسانا عاما لأدباء العرب، عدنانية وقحطانية ، كل هذه الدواعى كان لها أثرها ، فادخرت كتب الأدب والتاريخ كثيرا من الآثار الأدبية لهذا العاهل الأديب الشاعر .

ومنها : « شب عمرو عن الطوق ، و « ويل أمه حزما على متن العصا ، و « دعوا دما ضيعه أهله » إلى آخر ما يعرفه الأدباء من الأمثال الكثيرة التى وردت على الألسنة فى « مصرع الزباء » كعمرو بن عدى اللخمى، الذى تولى الحكم بعد جذيمة ، والزباء التى كان مصرعها على يد عمرو هذا عند العرب.

ونظرة إلى سجلات اللخمين ، قرينا أن « جذيمة الأبرش » هذا ، تولى الحكم من ٢٦٨ م - ٣٨٨ م ولهذا فستطيع - في يسر - أن نحكم أن كل الآثار الأدبية ، التي صحت نسبتها ، إليه إنما قيلت سنة ٣٨٨ م (٣٤٥ ق م) وما قبلها ، أى قبل قصى ، أول ملوك قریش ، بنحو قرنين من الزمان .

وسأذكر فيما سيأتى ثلاثة أمثال ضربت فى العهد القریشى :

(٨) المثل الأول قولهم : « ما يوم حليلة بسر » بضرب الأمر المشهور . وحليلة هذه بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، وهى التى ضرب بها المثل الآخر :

« أعز من حليلة » وهذا اليوم هو الذى قُتل فيه المنذر ابن ماء السماء ، ملك المناذرة ، وكان ذلك سنة ٥٦٣ م (٦١ ق هـ) .

ونسب إلى حليلة ، لأنها ، مبالغة فى تحريض الغساسنة ضد المناذرة ، خرجت إلى جنود أبيها - وكانت من أجمل النساء - فجعلت تمنح كل واحد بسمتها ، وجزءا من طيب كان معها ، فهاهى إلا ساعات حتى جاءها البشير بمصرع المنذر ، فنسب إليها ، لأن صنعها كان من أكبر عوامل النصر .

(٩) والمثل الثانى : « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » أول من قاله « شقة بن ضميره التميمى » للملك المنذر ابن ماء السماء ، وقد تقدم أن مصرع المنذر كان سنة ٥٦٣ م (٦١ ق هـ) فهذا المثل يرجع تاريخه إلى هذه السنة ، والسنين الخمسين التى سبقتها ، وهى التى تولى الحكم فيها المنذر .

(١٠) والمثل الثالث : « الصيف ضيعت اللبن » قاله : « عمرو بن عمرو ابن عدس التميمى » لإحدى مطلقاته ، ومن عمرو إلى عدنان ٢١ جيلا ، ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ٢٢,٧١ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٧١ من الأجيال ، مدتها ٢,٧١ × ٤٠ = ١٠٨ سنة فكان هذا المثل يرجع تاريخه إلى نحو قرن قبل الهجرة (٥١٤ م) .

نموذج للغة المحادثة

قبل الهجرة بنحو خمسة قرون

ومن الآثار الأدبية القديمة التي تناقلها العلماء جيلا عن جيل ، وتلقفها الرواة راوية بعد راوية ، تلك النصوص التي سجلها الميداني (١) لدى ذكره المثل .

انصر أخاك ظالما أو مظلوما

(١) وقد نفل عن (المفضل) أن أول من قال ذلك (جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم)

وكان رجلا دميما فاحشا ، إلا أنه مشهور بالشجاعة ، جلس هو و (سعد ابن زيد مناة بن تميم) - عمه - يشربان ، فلما أخذ الشراب منهما قال جندب لسعد وهو يمازحه - وفي هذا ما يدل على تقاربهما في السن - :

(٢) «ياسعد ، لشرب ابن اللقاح ، وطول النكاح ، وحسن المزاح ، أحب إليك من الكفاح ، ودعس الرماح ، وركض الوقاح ،
(٣) فقال سعد : «كذبت والله ! إنى لأعمل العامل ، وأنحر البازل ، وأسكت القائل ،

(٤) فقال جندب : إنك لو فزعت دعوتى عجلا ، وما ابتغيتنى بدلا فرأيتنى بطلا ، أركب العزيمة ، وأمنع الكريمة ، وأحمى الخريمة ،
فغضب سعد وأنشأ يقول - من بحر الخفيف -

هل يسود الفتى إذا قبح الوج ، وأمسى قراه غير عتيد
وإذا الناس في الندى رأوه ناطقا قال قول غير سديد

(٦) فأجابه جندب من البحر نفسه :

ليس زين الفتى الجمال ولكن زينه الضرب بالحسام التليد
إن ينلك الغنى فزين وإلا ربما ضن باليسير العتيد

(٧) فقال سعد - وكان عالما بالعيافة (٤) - « أما والذي أحلف به لتأسر نك
 ظعينة ، بين العريضة والذهينة ، ولقد أخبرني طيرى ، أنه لا يفكك غيرى » :
 (٨) فقال جندب : « كلا ، إنك لجبان ، تذكره الطعان ، وتحب القيان ،
 فتفرقا على ذلك حيناً ، ثم إن جندبا خرج على فرس له يطلب القنص ،
 فر بأمة لبني تميم .

(٩) فقال لها : لمكنينى مسرورة ، أو تقهرين مجبورة .
 (١٠) فقالت : مهلا ، فإن المرء من نوكة ، يشرب من سقاء لم يوكه ،
 ثم قبضت على يديه وما زالت تعصرهما ، حتى صار لا يستطيع حراكا ، ثم
 كتفت بهنات فرسه ، وراحت مع غنمها وهى تحذو به وتقول :

(١١) لا تأمن بعدها الولائدات فسوف تلقى بأسلا موارد
 وحية تضجى لحي راصدا

فرأى فى أثناء رجوعه سعدا فى إبله ، فاستغاثه ، فقال له :

(١٢) « إن الجلبان لا يغيث »

(١٣) فقال جندب :

يا أيها المرء الكريم المشكوم انصر أخاك ظالما أو مظلوم
 فأقبل إليه سعد فأطلقه .

قدم هذه الحادثة .

قدم هذه الحادثة مرتبطة بقديم من جرت بينهم ؛ والاهتمام إلى زمانهم
 سهل ، لأن سعدا وجندبا من شجرة بنى تميم .

١ - ونظرة إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان ترينا

أنه ٢٢,٧١ جيلا .

٣٥ - ومن سمد و ابن أخيه جندب إلى عدنان ١١,٥ جيلا، فكان متوسطا
أجيا لهما إلى عصر النبوة ١٢ جيلا مدتها $١٢ \times ٤٠ = ٤٨٠$ سنة .
وبذا يتبين أن هذه المحادثة جرت في نهاية القرن الخامس قبل الهجرة ،
ومنتصف القرن الثاني الميلادي (١٤٧ م) وهذا التاريخ كان قبل ظهور
المجد القرشي بنحو ثلاثة قرون .

إنظار قريش هذه الأسماء

أثبت فيما سلف أن من الأمثال ما قالته العرب من زمن مديد ، يرجع
إلى القرن الأول قبل الميلاد المسيحي ، والقرن الثامن قبل الهجرة . وهي مع
هذا بنفس تلك الالهجة الحبيبة إلى نفوسنا ؛ الشجيرة في أسماعنا ، المعهودة
جملة وتفصيلا لنا ، بل إن أكثرها بلغ من الرقة والوضوح والدقة ، ما يخيل
إلى سامعه أنه من ثمرات الثقافة العباسية لا الآثار الجاهلية البعيدة ! وقد
يمعنون في الإنكار قائلين :

إن وجود لغة من القرن الأول قبل الميلاد ، إلى القرن السابع بعده ،
أى في مدة . . . سنة دون أن يعترضها قبيل لا يتعذر معه فهمها أمر بعيد
فاللغة التي كان يستعملها العرب في القرن الأول قبل الميلاد ، يتعذر
على الأدباء استعمالها بعد ذلك بثمانية قرون ، لإمتاع الآخرين ، بل أن
يجأ كوها لتسجيل خواطرهم .

رداعى

وعندى أنه ليس هناك ما يحول دون خلود تلك الالهجة ، وتنقلها على
أسلات الألسنة ، وصفحات القلوب والأفهام ، وأسنة الأقلام ، جيلا
بعد جيل ، أضاعف هذه الحيقب ولى شاهدان على هذا :

الشاهد الأول

في اللغة اللاتينية ، ويمثله أصدق تمثيل الخطيب الروماني المشهور « شيشرون » .

فقد دوت شهرته في النصف الأول ، من القرن الأول قبل الميلاد المسيحي ، ككاتب وخطيب ، وقد ظل السكتاب ينسجون على منواله ، مدة ١٦ قرناً ^(١) إلى القرن الخامس الميلادي ، والسابع الهجري - ولم يكن سبب شهرته ، وخلود آثاره ، أنه كان إلى جانب ذلك سياسياً ، ومؤرخاً ، وفيلسوفاً ، وناقداً ، ومحامياً ، بل كان مما خلد ذكره في عالم الأدب ، استمساك أولئك السكتاب بلغه اللاتين ، لغة العلم والأدب والروايات والأغاني - قبل عصر النهضة ^(٢) ، وتقديسهم إياها وحرصهم على الاحتفاظ بآثار عظمائها وتقليدهم ما راقهم من خطبائها ، في ميادين البيان ، والسياسة ، والحرب ، فكل هذه الظروف ، مما ضمن لهذه اللغة البقاء ، تلك المدة الطويلة ، على الرغم من اختلاطهم بكثير من الشعوب والأمم الأخرى ، في سلمهم وحربهم .

الشاهد الثاني

أما الشاهد الثاني فاللهجة العربية التي ينطق بها أدباء العرب الآن ، في مصر ، وفلسطين ، وسوريا ، ولبنان وجزيرة العرب ، والعراق أليست هي التي كان ينطق بها العرب في صدر الإسلام ! بل قبله بالمائة والخمسين سنة ، التي حددتها الأدباء في العصر الحديث ، جرياً وراء حُدس الغربيين ، الذين يلذمتعصبيهم أن ينسكروا كل فضل للعرب ، قبل هذا الحِقبة ! أليست هذه المدة ١٥٠ قبل الهجرة + ١٣٦٩ - من الهجرة إلى سنة طبع هذا السكتاب = ١٥١٩ سنة !

(١) قصة الادب في العالم ج ٩ : ٣٠٦

(٢) تاريخ أوروبا الحديثة ج ١ : ١٥

أليست هذه الفترة قريبة من التي ظلت فيها خطب شيشرون وآثاره البيانية ، نموذجاً لسكتاب أوربة إلى القرن الخامس عشر بعد المسيح ، والقرن التاسع الهجرى ، يقتبسون منها جملة وتفصيلاً ، ويحاكونها ، للتأثير فى السامعين مثلها كان يؤثر « شيشرون » فى أهل زمانه .

إذا كانت بلاغة « شيشرون » من العوامل التي ساعدت على تخليد لغة اللاتينيين ، بين أهل أوربة قبل النهضة - وأكثرهم ليسوا لاتينيين - فلا بدع أن تحتفظ العراق ، ولبنان ، وسورية ، وفلسطين ، والمملكة السعودية ، واليمن ، وبقية سكان شبه الجزيرة العربية ومصر - وأكثرهم عرب - باللغة العربية ، وآثار خطبائها وحكمائها وشعرائها ، وقضااتها ، من ١٥٠ قبل الهجرة إلى ١١٦٩ وما بعدها ، احتفاظ أهل أوربة - قبل عصر النهضة - بلغة اللاتينيين تلك المدة الطويلة ،

بل لا بدع أن تحتفظ العرب المحصورون فى شبه جزيرتهم ، فى جاهليتهم بلغة آبائهم وأجدادهم ، أضعاف تلك المدة الطويلة التى استقطبتها ، بل العرب أولى . لأن تلك اللغة لغتهم لا لغة المستعمرين الأول ، ولأنها لغة آبائهم وأجدادهم ، لا لغة جنس آخر ، ولأنها فى جملتها كانت لغة الجميع ، ولا يطعن فى هذا ، ذلك الاختلاف الثقافى فى لهجات القبائل ، فى داخليتها ، فأكثر العرب كانوا يستعملون لهجتين للمحادثة : اللهجة الداخلية القبلية إذا كانوا يتجادلون بين قبيلتهم ، واللهجة العامة إذا كانوا يتجادلون غيرهم من القبائل الأخرى .

ويقرب إلى أذهاننا هذا ، أن للمتعلمين منا لهجتين للمحادثة : لهجة لمحادثة المثقفين إذا كنا فى القاهرة أو إحدى الحواضر الإسلامية ، والمدن الكبرى ، ولهجة لمحادثة أقاربنا فى الصعيد ، أو أسفل الأرض - الوجه البحرى - ولا ينكر واحد أن لهجة الوجه البحرى فى مصر ، غير لهجة الوجه القبلى ، واللهجتان غير لهجة أهل القاهرة مثلاً .

كما لا ينكر في الوقت ذاته أن أهل الصعيد يفهمون لهجة الوجه البحرى ،
وأهل الوجه البحرى يفهمون لهجة الصعيد ، وأن نسبة ما يفهمونه من ألفاظ
تلك المحادثة نحو ٩٩ ٪ .

هكذا شأن العرب في شبه جزيرتهم ، في جاهليتهم الأولى والثانية .
فكيف إذا راعينا أن سكان شبه الجزيرة العربية ، لم يكونوا متصلين
بالفرس والروم والهند والحبش والمصريين : فراغت وأقباطا ، اتصال
الشعوب الأوربية بعضها ببعض ، وهذا مما جعلهم بعيدين عن التأثير بحضارات
تلك الأمم المجاورة ، لحفظ ذلك لغتهم من لوثات تلك الأمم الأعجمية ، ولم تجد
الأمم الأجنبية المجاورة - وهى ذات حضارة وثروة - ما يشجعها على
الاختلاط بالعرب . لركة حالها ، وتراعى صحاريها ، وصعوبة الاستيلاء
عليها ، وانغماسها فى البداوة ، وخشونة طباعها .

ولا يحتاج بالقبائل العربية التى كانت تجاور تلك الأمم ، فإنها قلة
لا يعتد بها ، ومع هذا كانت أكثر القبائل - وهى محافظة - تنظر إلى القبائل
التي لها علاقة بتلك الأمم نظرة ازدراء حتى فى الجاهلية .

أما فى العصر العباسى الأول عند تدوين اللغة ، فلم يرض العلماء أن يجمعوا
لغتهم من هذه القبائل :

وفيها إلى أشهر تلك اللامحات المنبوذة التي
سرت لوثة الأعجام فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل فرات

القبائل التي نبذت لهجتها	سبب نبذها
(لخم وجذام وعاملة) من يمن الشمال (قضاة وغسان وإياد) وعرب » (ثعلب وبعض قبائل اليمن الشمالية) (بكر) ومن احتطبوا في حبلمهم (عبد قيس وأزد عمان) ومن انتشر حوطهما بالبحرين أهل اليمن المشرفون على المحيط الهندي والبحر الأحمر بنو حبيفة وسكان اليمامة والطائف حاضرة الحجاز في صدر الإسلام	محاورتهم مضر القبطية مصاقتهم أهل الشام قربهم من يونان دنوهم من القبط غربا والفرس شرقا اختلاطهم بالهند جنوبا والفرس شمالا مخالطتهم الهند شرقا والحبشة غربا امتزاجهم بنجار اليمن ازدحامها بكثير من تجار العرب والعجم

الشعر العربي

تمهيد

بينت قبلا أن أقدم الشعر الذي وصل إلينا، كان قبل الهجرة بنحو
١٥٠ سنة، كما يظن كثير من الأدباء قديما وحديثا، أو قبلها بنحو ٤٠٠ سنة
كما نقله ثعلب عن الأصمعي، أو قبلها بأكثر من ٦٠٠ سنة، كما تفيد أجيال
الأنساب، وسجلات الرواة، وانتقال هذه الآثار إلينا، بل نحددها من أغوار
الجاهلية على هذا النمط البديع، والاكتمال العجيب، وبحورها الستة عشر،
وأعاريضها الستة والثلاثين، وأضربها السبعة والثلاثين، وأوزانها المركزية
السبعين... كل هذه أمور تثير العجب، وتدل على أنه لم يصل إلى هذه

الدرجة من (النضج) إلا بعد أن مر في مرحلة (الطفولة) ، ثم قطع مرحلة أخرى من (مراحل الشباب) ، في خلالها عرف الشعراء كيف يوائمون بين عواطفهم وأفكارهم ، ليتم لهم التنسيق بينهما وبين وحدة القافية ، والاهجة ، ودقة الأسلوب ، وتنويع الوزن ، وبراعة التصوير ، وأنهم (قبل ذلك) لا بد أن يكونوا قد مروا (بالبحور ذوات النغمة الواحدة) أولاً ، كالرجز ، ثم الكامل ، ثم المتدارك ، والمتقارب ، وأنهم قبل القصائد ، كانوا ينظمون (المقطعات) متدرجين فيها من الشطر إلى البيت ، ومن البيت إلى البيتين .. وقبلها عثروا (بالأمثال والحكم المفردة ، ثم (المزدوجة المرسلة) ، ثم (المزدوجة الموزونة) ، وقبلها بدءوا يضعون (أسس السجع الفني) ، وإن لم يكن من الضروري أن تسير الحقيقة في هذا التدرج ، ولا سيما في البحور ١٠٠ ٪ ؛ فإن اللغات وغيرها كثيراً ما نشذ عن المنطق ، وتستعصى على القوانين .

تلك سبع مراحل ، كل مرحلة منها تحتاج إلى عشرات السنين ، قبل نضجها واكتمالها ، ثم الانتقال إلى ما بعدها ، متدرجة من البسيط إلى المركب ، ومن السهل إلى الصعب غالباً .

فهل الـ ١٥٠ سنة التي زعموها ، تكفي لمثل تلك الأمور الفنية المعقدة ، بين قبائل بدوية أمية فقيرة !

مبدوء

رأى أن ميلاد الشعر العربي سبق «انفجار سيل العرم» ، وقد قدمت أن السيل كان قبل الميلاد بنحو قرن ، اعتماداً على نظريتي ، وبنحو ١١٥٠ ق م بناء على استنباطها العلامة الألماني جلزر : (Glaser) وعلى كلا القولين ، يمتد عمر الشعر الجاهلي أكثر من سبعة قرون قبل الإسلام ، وهي كافية لكل ما قدمت من مراحل ، أوضحها مرحلة شبابه التي أدركها الإسلام ،

تشق طريقها إلى ذروة مجدها ، واكتمال سموها في العصر العباسي الأول
لفظا وأسلوبا ومعنى وفكرة وخيالا وأناقاة .

البنزرة الأولى لأمير

وإنه ليسرني بعد هذا أن أرى تقاربا عجيبا بين تحديدي هذا ، وما قاله
علماء العرب قديما :

فقد حكى (الزبير بن بكار) في حديث رفعه . « أن رسول الله ﷺ
قال لقرين من غنار ، حين سمع حاديهم بطريق مكة ليلا : « إن أباكم مضر
خرج إلى بعض رعائه ، فوجد إليه قد تفرقت ، فأخذ عصا فضرب بها آف
غلامه ، فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح : « وايداه » ! « وايداه » !
فسمعت الإبل ذاك ، فعطفت عليه ، فقال مضر : « لو اشتق مثل هذا لانتفعت
به الإبل واجتمعت » فاشتق الحداء .

وقد روى هذا الخبر بأسلوب آخر وإن كان الأساس واحدا ، هو أن
مضر هذا سقط عن جملة ، فانكسرت يده ؛ فأخذ يقول : « وايداه »
« وايداه » ! وكان أحسن خلق الله صوتا ، فأصغت إليه الإبل وجدت في
السبر ، فجعلت العرب مثالا له « هايدا هايدا » يحدون به في الإبل (١)

تأنيق المطر من مضر

الأجيال من مضر إلى العصر الإسلامي - في المتوسط -
١٧,٥ جيلا ، مدتها ١٧,٥ × ٤٠ = ٧٠٠ سنة ، أي قبل الميلاد بنحو ٧٨ سنة . وقد
قدمت أن « العلامة الألماني جلازر » حدد سبل العرم بسنة ١١٥ ق م ، وبضعها
إلى ٦٢٢ م التي بدأت بها الهجرة نجد العددين ٧٣٧ سنة .

فالفرق بين تقديري لأيام مضر ، وتقدير جلازر لانفجار سبل العرم

٢٧ سنة فهذه المدة هي مدة الحضانة للشعر العربي على رأى هذه الرواية ، بعدها بدأ الشعراء يتنقلون بالشعر في حقول تجاربه ، من البسيط إلى المركب ، ومن الشطر إلى الشطرين ، ومن البيت إلى البيتين ، ومن المقطوعة الناقصة إلى الكاملة ، ومن هذه إلى القصيدة في أضيق حدودها ، ثم تدرجوا إلى القصيدة المتوسطة فالطويلة .

أقدم القصائد الطوال

وأقدم ما وصلنا من القصائد الطوال قصيدة « لقيط الإيادى » ينذر بها قومه ، وقد زحف إليهم « سابور ذو الأكتاف » وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتاً ومطلعها :

يادار عبلة من محتلمها الجرعا هاجت لى الهم والأحزان والوجعا
وسأبرهن الآن على أن هذه القصيدة قيلت في سنة ٣٢٦م (٣٠٦ ق هـ) .

لقيط الإيادى وسابور ذو الأكتاف

وقد سجل المسعودى ^(١) أنه في أيام (سابور بن هرمز) وهو سابور ذو الأكتاف ، غلبت العرب على سواد العراق ، وكانت جمهرة العرب من غالب على العراق ، وُلد (إياد بن نزار) وكان يقال لها (طبق) لإطباقها على البلاد ، وملسكها يومئذ (الحارث بن الأغر الإيادى) ، فلما بلغ (سابور) من السن ١٦ سنة نهض للإيقاع بهم ، وكان في محبسه رجل منهم يقال له (لقيط) فكتب إلى إياد شعراً ينذرهم به وهو :

سلام في الصحيفة من لقيط على من بالجزيرة من إياد
بأن الليث يأتىكم دلافا فلا يحبسكم سوق النقاد (٢)
أناكم منهم سبعون ألفا

(١) مروج الذهب - ج ١ ص ١٥٨

(٢) النقاد بكسر النون جمع نقد بالتخريك وهي صغار الغنم

فلم يقدرُوا نصيحته - وسرايا كسرى تزحف نحو العراق - فلما تجهز
القوم نحوهم كتب إليهم :

يادار عيلة من محتلمها الجرعا
فعمهم القتل ، فما أفلت منهم إلا نفر قليل . لحقوا بعدها بأرض الروم ،
وكان يخلع من الأسرى أكتافهم ، فسمى من ذلك اليوم دسابور ذا الأكتاف .

تحفيس

تصفحت تاريخ الفرس ، فوجدت أن دسابور الثاني : ذا الأكتاف ،
انتخب ملكاً في نفس السنة التي ولد فيها ، أي سنة ٣٠٩ م (٣٢٢ ق هـ) ،
ولم يزحف على الإياديين لطردهم عما احتلوه من مملكته ، إلا بعد أن بلغ
١٦ سنة ، أي سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ ق هـ) فهاتان القصيدتان قيلتا سنينئذ .

دلالة القصيدة العينية للفيط

وفوق ما دلت عليه القصيدة العينية ، من أنها أقدم القصائد المطولات
التي وصلتنا ، لما دلالة أخرى أعمق من الأولى ، هي أنها في لفظها وأسلوبها
ووضوحها وجزالتها ، صورة رائعة لا غاب الآثار العربية الجاهلية ، التي تركها
العرب بين أيدينا كالعلاقات ، وأنها لا تنافر بينها وبين أسلوب القرآن
وصياغته وألفاظه ، وهي مع هذا ليست من لهجة قریش ، إذ هي أقدم من
زمن قصي بأن مجد قریش بنحو قرن ، بل هي من لهجة العدنانيين ، فنسبه اللهجة
القرآنية وما يشابهها إلى قریش فيه مبالغة خطيرة .

أقدم دواوين الشعر :

ومن يتتبع آثار العرب في جاهليتهم كما تتبع ، يجد أن أقدم دواوين
الشعر إنما هو ديوان لقيط الأيادي ، ومن عجب أنه مخطوط إلى الآن
وفي متناول أيدينا ، وفي مكان واحد في مصر ، هو دار الكتب المصرية ؛

وليس مستقلا ! بل « ضمن مجموعة مخطوطة رقم ٤١١٣٨ — أدب »^(١) ؛ وكل ما بذله المشرفون على هذه المكتبة في التقديم ، أنهم بعد اقتنائه أدرجوه مع عدة قصائد مخطوطة ، لعمر بن قتيبة ، والعجاج ، وعلقمة ، وأوس بن حجر الخ ، ثم منوا على الرجل ، بل منوا على الجندی المجهول ، بتعريف متواضع لراوى قصيدته العينية ، والدالية لا للشاعر ولا لمنزله الأدبية ، وهذا الراوى هو العلامة اللغوى النسابة أبو المنذر بن هشام المعروف بابن النكبي ، وبها مشه ، وبين سطره ، تقييدات كالشرح عليه

ولولا أن واحدا من أدبائنا طبع مختارات ابن الشجرى ، وفي طليعتها هذان الاثران لشاعرنا الخالد « لقيط الأيادى » ، فعمدت دار الكتب المصرية إلى شراء بعض النسخ المطبوعة ، وجعلتها بين نفائسها تحت رقم ١٨٤٥ (أدب) ، لولا هذه العناية المتواضعة لسكان الأسف كبيراً .

وكيف لا نأسف وأقدم الدواوين العربية لا يلقى من أدبائنا ، ورجالنا الرسميين عناية كافية ! وكيف لا تضيق صدورنا حرجا ، وفيه تلك القصيدة العينية التى تعتبر أقدم قصيدة عربية فى الدنيا ، وأصدق دليل على بطلان ما نواطأ عليه المشتغلون بالأدب قديما وحديثا من وضعهم حدا - بالأسمنت المسلح - وسدا - ولا سد يأجوج ومأجوج - لا قدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، وحرموا بهذا أن يكون للعرب آثار أدبية قبل الهجرة إلا بنحو ١٥٠ سنة ١ - منساقين بحسن نية ورام أعدائنا ، وأعداء ترائنا ! مع أن ديوان لقيط هذا يحلجل صورته مدويا بشكذبيهم ، وتؤيده السجلات المسكية وتاريخ الفرس ، والتاريخ العام والخاص ، وكلها تجمع على أن تاريخ هذين الاثرين مرتبط بتاريخ السنة التى بلغ فيها « سابور ذو الاكتاف » ١٦ سنة ، وأنه سنةذاك ، زحف على الإياديين لاجلاشهم عن الحى المستباح ، الذى أسسه آباؤه وأجداده ، فعاث فيه الإياديون فسادا ، يقتلون ويأسرون وينهبون ، وأن ذلك الزحف كان سنة ٣٠٥ م أى قبل الهجرة الإسلامية بثلاثة قرون

(١) هذا التعبير لدار الكتب المصرية لالى .

وست سنوات بالتقويم القمري ! أى قبل ضعف المدة التى حددتها علماءنا
لتاريخ الأدب الجاهلى قديما ، بل أكثر من ضعفها !

عدد أبيات القصيدة النونية

وقد بلغت أبياتها ٥٥ بيتا ، يدل عددها فى الوقت نفسه على زيف قول
« ابن سلام » ومن احتطبوا فى حبله :

« إنما قصدت القصائد ، وطول الشعر على عهد ، عبد المطلب وهاشم بن
عبد مناف » !! إذ بين عصر النبوة ، وبين عبد المطلب نحو قرن على الأكثر ،
وزمن هاشم أقدم من زمن ابنه عبد المطلب بنحو ٤٠ سنة على الأكثر .
فلو أن هاشما كان قبل الهجرة بنحو ١٣٠ سنة مثلا ، لقارب ذلك سنة ٦٦٤ م
وقصيدة لقيط قيات سنة ٣٢٥ م ، فهى أقدم من الزمن الذى حدده ابن سلام
لتقصيد القصائد بنحو قرنين إلا قليلا ، وفى هذا ما يدل على أن أكثر
ما يقوله الرواة فى تحديد أزمان الجاهلية رجم بالغيب ، ورمى بالظنون ،
غير معتمد على قاعدة كالتى ابتكرتها ، وهذا بعض ما اخترته من قصيدة لقيط ،
التى تعتبر فوق ما تقدم أقدم أثر أدبى عربى يهدف ، إلى إثارة الشعب لدفع
ما يكره وتحقيق النفع العام :

يا دار عمرة من محتلمها الجرعاً هيجت لى الهم والأحزان والوجعاً^(١)
تامت فؤادى بذات الجزع خرعة مرت تريد بذات العذبة البيعاً^(٢)
بمقلتى خاذل أدماء طاع لها نبت الرياض تثرجى وسطه ذرعاً^(٣)
وبعد سبعة أبيات فى تلك المقدمة الغزلية التفت إلى رسوله الإيادى محذراً فقال :

(١) طبقات الشعراء ص ١٨٠

(٢) (تامت) : تبمت وجعلته متجماً ذليلاً ، و (ذات الجزع) : موضع ، و (الخرعة) :
الشابة الحسناء القوام و (ذات العذبة) موضع .

(٣) الخاذل : النفور ، والأدماء : البيضاء ، طاع لها نبت الرياض : تشبه الظبية التى
لاتجد صعوبة فى تناولها نبت الرياض ، وتزجى : تسوق رفق ، والذرع : ابن البقرة الوحشية .

بل أيها الراكب المزجي مطيته إلى الجزيرة مرتادا ومنتجعا (١)
أبلغ إيابا وخال في سرائهم أنى أرى الرأى إن لم أعص قد نفعا (٢)
وبعد ٢٤ بيتا قالها يحرض قومه أن يتحدوا، ويحذروهم أن يتفرقوا،
ويصف لهم استعداد فارس وقومهم؛ ليثير حميتهم، ويخوفهم الجلاء قال
ينصحبهم باختيار زعيم رحب الذراع، خبير بفنون الحرب، ليس له مال
ولا ولد....

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا (٣)
لا مترفا إن رخاء العيش ساعده ولا إذا عنت مكروه به خشعا (٤)
لا يطعم النوم إلا ريث يبعشه هم يكاد سناه يقصم الضلعا (٥)
مسهد النوم تغنيه أموركم يروم منها إلى الأعداء مطالعا (٦)
ما انفك يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا ومتبعا (٧)
حتى استمرت على شذر مريرته مستحكم الرأى، لا قحما ولا ضرعا (٨)
وليس يشغله مال يشمره عنكم ولا ولد يبغى له الرفعا (٩)
ثم اختتمها بهذين البيتين :

لقد بذلت لكم نصحي بلا دخل فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا
هذا كتابي إليكم والذير لكم لمن رأى رأيه فيكم ومن سمعا

(١) المرتاد والمنتجع : طالب الرعى .

(٢) خلل في سرائهم أى امش خلال زعمائهم يحذروا ونذيرا .

(٣) لله دركم : عبارة يراد بها التعجب والمدح ، بأمر الحرب مضطلعا : خبيرا .

(٤) لا مترفا : من غير أرباب الترف فهؤلاء لا يصلحون لحشونة الحرب وقسوة الجهاد
وخشع : خضع أى لا يصح أن تختاروا من الزعماء من يدل إذا ما رأى مكروها .

(٥) الريث : الإبطاء، أى لا تباها إلا عند أقصى الضرورات .

(٦) مسهد النوم : مؤرق ، وتغنيه : نهمة ، يروم : يطلب ، ومطلعا : اطلاعا :

(٧) يحلب الدهر أشطره : يكون ذا تجارب قد خبر الأيام خبرها وشرها .

(٨) الشذر : فتلك الحبل مما يلي اليسار وذلك أشد لقلته، والمريرة من إمرار الحبل أى
شدة قلته أى زعما قويت شكيمته واستحكم أمره ، والضرع : الضعيف الدليل والفهم : الشيخ
الذى كبرت سنه جدا .

(٩) يشمره : يجعل له ثمرة وربحا ، ولا ولد يبغى له الرفعا : أى وليس له ولد ؛ لأن
الولد مجتهد مخلقة ؛ إذ شأن ذوى الأولاد أن يمشوا تندعهم يستقل أبناءهم ورفع شأنهم ،
وكل ما أعدها هين رخيص ومثل هؤلاء لا يصلحون للمعارات القومية .

(٢) القسم الثانى

سمرات المخطوطات فى الجاهلية

أزجيت بين يدى قرأتى — فى القسم الأول — صفحة ١٠١ من هذا الكتاب أن أقدم فنون الأدب العربى هى الأمثال المنسوبة ، وبرهنت على أن منها ما ترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة ، أو القرن الثانى قبل الميلاد المسيحى ، وهذا ما عثرت عليه إلى الآن ، والامل كبير أن أعثر على ما هو أقدم ، ونثرت بين أيدي الباحثين ، ورواد الحقيقة ، ما يجعلهم مطمئنين إلى صحة ما ذهبت إليه ، من تحديد الميلاد ، لكل مثل من الأمثال التى اخترتها فى أزمنة مختلفة ، ولا سيما أن للأمثال حصانة ، قررها العلماء قديما ، لم تحظ بمثلها فنون الأدب الأخرى ، من مقطوعات ، أو قصائد ، أو خطب ، أو وصايا ، أو أسجاع السكمان .

فالآن أقرر ، أنه لا يضير غير الأمثال من فنون الأدب ، أن لا تكون لها هذه الحصانة ، مادامت تروى فى أية صورة من صور الأمثال المنسوبة ، التى أزجيت نماذج منها ، تقطر من نبعثها العربية الصافية ، وتنهج نهجها فى البيان ، والأسلوب ، والألفاظ ، والأغراض ، وما إليها ، ومادامت تنسب إلى قائلها ، لانتها هذا الأسلوب ، وهذه اللهجة ، لا نجد حرجا فى أن يكون للعرب نوع منها ، فى القرن السادس قبل الهجرة مثلا ، وهذه النسبة ، نستطيع أن نحدد ميلادها ، وبهذين نقضى — فى سهولة ويسر — على أخطاء القائلين : إن أقدم الآثار الأدبية التى بين أيدينا ، لا تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ !

وفنون الأدب الأخرى مركبة إذا قيسست بالأمثال ، فالأمثال أقدم منها . لأن البسيط أقدم من المركب كما تقدم ، وقياسا على هذا ، نجد المقطوعات أقدم من القصائد ، لأنها تتراوح بين بيت ، وستة أبيات ، أما إذا زادت

على هذا العدد ، فتسمى قصيدة لا مقطوعة ، فما أقدم أنواع الشعر التي تحدثت إلينا ؟

أقدم المقطوعات

من أحفل المراجع لهذا النوع من الأدب ، كتاب المعمرين للسجستاني ، فقد جمع فيه مقطوعات ، لا أكثر من مائة من المعمرين ، عدنانيين ، وقحطانيين من كل القبائل العربية ، بينهم طائفة لا يستهان بها ، ممن سبقوا الهجرة بأكثر من قرنين ، أي قبل قصى أول ملوك قريش ، وهو الذي يرتد إليه الفخر ، في كل ماناها من شهرة في الجاهلية الثانية ، ولا مرية في أن هذه الطائفة ، استودعتنا آثارها الأدبية بلسان عربي مبين ، ولهجة عدنانية صافية ، وأسلوب إذا جردناه من نسبته إلى قائله ، ثم خلطناه بغيره من أساليب العصر العباسي الأول ، لا يكاد يظهر الحديث من القديم والجاهلي من الإسلامى ، وفي هذا ما يثبت من جديد ، أن اللهجة التي نزل بها القرآن ، لهجة عربية ، كانت لسان الخاصة من العرب ، ولساناً عاماً لأدبائهم .

وبعض هذه المقطوعات منشور في الكتب الأخرى ، مثل كتاب المزهري للسيوطي ، وكتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ، وكتاب الأمثال للبيداني ، وجمهرة أنساب العرب للعسكري ...

وقد ذيلت قسم الأمثال بنموذج من محادثة أدبية قديمة ، جرت بين ثلاثة من بني تميم : سعد بن زيد مناة بن تميم ، وابن أخيه جندب بن الغنبر ابن عمرو بن تميم ، وجارية لهم ، ويهمننا منه في هذا المقام عدة قطع وردت على ألسنتهم ، ومعرفة الزمن الذي قبلت فيه هذه المقطوعات سهل ، لا يكفنا عنه إلا بمقدار ما نستفيق فيه شجرة بني تميم .

وقد حققت في القسم الأول ، أن سعد بن زيد مناة بن تميم ، كان قبل الهجرة بنحو ٤٨٠ سنة ، وابن أخيه جندب كان يعاصره ، ولو أنه أصغر منه سناً ،

وقد أمعنت في البحث ، فوجدت من هو أقدم من سعد بن زيد مناة ، وابن أخيه جندب ، وكانت أطير سرورا حينما وجدت من عرب اليمن ، لأن في هذا دلالة على قدم الزمن ، الذي اندمج فيه أدباء العدنانيين بأدباء القحطانيين . وتحديد الفترة التي بدأت تذوب فيها لهجة القحطانيين في لهجة العدنانيين ، ومفتاح ذلك كله هو « طى بن أدد » من السكهلانيين وهذا بيان ما وصلت إليه من النتائج :

طى بن أدد

وقد جست خلال أنساب السكهلانيين ، فوجدت منه إلى جد هم قحطان ١١ جيلا ، لأنه طى بن أدد بن زيد بن يشجب الأصغر بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

ورجعت إلى صفحة ٤٦ من هذا الكتاب ، فوجدت متوسط الأجيال ، من عصر النبوة إلى قحطان ٣١ جيلا ، فن طى إلى عصر الإسلام ٢١ جيلا . مدتها $21 \times 40 = 840$ سنة .

ولكن يطعن في هذا التقدير أن « طيا » هذا كان يعاصر عدنان ، وأكبر الظن ، أن عدنان لم يكن ينطق بهذه اللمهجة التي نزل بها القرآن ، بل كانت تختلف عنها نوعا ، لما قدمت .

والسجستاني^(١) يقرر أن « طيا » كان من المعمرين ، وأنه عاش ٥٠٠ سنة !! وأن أشياخا من طى يذكرون ذلك ، ويتناقلونه جيلا بعد جيل ، وأنه في أصيل عمره حمل من جبله « ظريب » بالين إلى جبل آخر ، نسب إليه فيما بعد ، قسمى « جبل طى » فقتل رجلا ، من عاد ، كان هناك ، وحل محله ، فقال في ذلك — من بحر السريع — :

(١) كتاب المعمرين صفحة ٧٢ رقم ٧٤ .

إنا من الحى اليانينا إن كنت عن ذلك تسألينا
فقد ثوينسا بظريب حيناً ثم تفرقنا معا عضيئنا
أما إنه عاش ٥٠٠ سنة فهو مبالغ فيه ، فلو أنى قدرت لعمره منها
١٨٠ سنة ، وافترضت أن هذه الهجرة كانت فى أواخر أيامه ، لكانت دلالة أن
هذا الشعر قيل فى القرن السابع قبل الهجرة (٨٨٠ - ١٨٠ = ٧٠٠ سنة) ،
وبذا يكون قد قصر عن القرن التاسع : عصر عدنان ، نحو قرنين ، فيها
وصلت لهجة بنيهم ومعاصريهم إلى ما قرأناه لطفى هنا .

مبدأ نو باره النقطانية فى العبدانية

ولهذا الأثر الأدبى المنسوب إلى طى قيمة كبيرة ، لأنه فوق دلالة على
قدم المقطوعات العربية ، فيه دلالة أخرى على أن زعماء القحطانيين بدءوا
يلبسون حاجة العيش فى غير أرضهم ، ويفرون إلى الجهات الشمالية المعبرة
من حى العبدانيين ، وأن اصطناع لغة العبدانيين أصبح من المحتتمات ، حتى
يتم التفاهم ، وتنسجم العلاقات : وهو الأمر الذى سار على نهجه حوالى
هذا التاريخ عرب المناذرة ، والغساسنة وغيرهم ، من بعد سبل العرم ، وأن
« طبا » لم يقنع بتعلم اللغة العبدانية ، بل خطا خطوة أخرى ، فتعلم آدابها ،
وحاكامهم فى نظم الشعر بلهجتهم .

وبتصفح التاريخ النبى نجد « دولة سبأ » التى تأسست سنة ٨٠٥ ق . م .
كان قد مر عليها نحو سبعة قرون وهى مستقلة ، وأنها انهارت بانبيار سبل
العرم سنة ١١٥ ق . م . (٧٦٠ ق . هـ) فقامت على أنقاضها دولة حمير (١) ،

ودلالة هذا ، أن دولة سبأ كانت بوادر الانحلال تنخر فى صرحها ،
لا فى ميادين الاقتصاد . أو الاجتماع فحسب ، بل كذلك فى اللغة ، وكان
سبل العرم بمثابة القطرة التى تفيض بها الكأس : فلا عجب أن يبدأ
القحطانيون فى التقرب إلى العبدانيين ، وتعلم لغتهم ، ولا اعتراض إذا بدأت

(١) الانس للبتسكرة لداسة الادب الجاهلى ص ١٤ .

صلة جديدة تربط زعماء العرب القحطانيين ، بزعماء العرب العدنانيين وليس كالآداب وسيلة .

إذن من الممكن جدا ، أن تكون نسبة هذا الشعر إلى «طى» صحيحة ، ومن الممكن في الوقت نفسه ، أن تكون المقطوعات العربية العدنانية . أقدم من هذه المقطوعة القحطانية بلسان عدنان .

رأى علماء الرواية

فهل فيما نقله الرواة من بعد بتاريخ الشعر ، قبل المائة والخمسين سنة ، التي مازال بعض العصريين مصممين ، على أن تكون حدا لا تتجاوزها الآداب العربية ؟ نعم فقد نقل إلينا السيوطي أن « عمر بن شبة » في طبقات الشعراء قال : (١) « الشعر والشعراء أول لا يوقف عليه » .

« وزعم بعضهم أن « الآفوه الأودي » أقدم من « عبيد بن الأبرص » عند بني أسد ، و « عمرو بن قميئة » و « المرقئ الأكبر » عند بكر و « أبي دؤاد » عند إيراد .

ونقل ثعلب في أماليه : أن أول شعراء القصائد « ذؤيب بن كعب » النخعي ثم « ضمرة السكتاني » و « الأضبط بن قريع » المزروعى ، وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

بل أعجب من هذا ما نقلته في هذا الكتاب عند حديثي عن « الآفود » ورأى بعض الرواة أنه أدرك المسيح ! أى القرن السابع قبل الهجرة !

الحمد لله

فقد وجدت من يناصرونى من رواد الآب العربى ، وتلاقت نظريتي وما نقله بعض روادنا المحققين ، وعلمائنا الأثبات فى الصدر الأول . وبين يدي الآن ، طبقات الشعراء لابن سلام الجهمي ، وبما جاء فيه :

(١) دُويد بن زيد القُضاعي

ميلاده : ١٥٦ ق هـ (٤٧١ م)

١ - (ا) من هذا الشاعر الحميري إلى جده الأكبر قحطان ١٩ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى هذا الجد في شجرة

حمير ٣٠ جيلا .

فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيلا . مدتها

$$١١ \times ٤٠ = ٤٤٠ \text{ سنة .}$$

٢ - (ا) وبالرجوع إلى (دليل العشيرة) بعد (دليل النسب) نجد من

عشيرته الأقربين دُعَلْبَةَ بن ثُعَيبِ ، و « و » خالِد بن عَرَفْطَةَ ،

و « و » جَمْرَةَ بن النعمان ، و « و » نُبَيْه بن يَزِيد ، و « و » زَمَل بن عمر ،

ومتوسط أجيال هؤلاء الخمسة من الصحابة إلى جدهم

قحطان ٢٨,٢ جيلا .

(ب) وسبق أن من « دويد » إلى قحطان ١٩ جيلا .

(ج) فالفرق بين متوسط أجيال العشيرة ، وأجيال دويد (١٠,٢ أجيال .

ومجموع الفرق الأول والفرق الثاني ٢١,٢ جيلا .

ومتوسط الفرق ١٠,٦ أجيال . مدتها $١٠,٦ \times ٤٠ = ٤٢٤,٠$ سنة .

وبناء على هذه الأرقام، نجد أن « دويد بن زيد » لما كان في سن الأربعين،

كان هذا في سنة ٤٢٤ قبل الهجرة .

ولسكننا بالاطلاع على القاموس المحيط ، نجد أن « دويدا » عاش ٤٥٠

سنة !! وأنه أدرك الإسلام !! وأنه ارتجز محتضرا : اليوم يبنى لدويد ...

فأعاضنا الآن قضيتان : (الأولى) أنه عاش ٤٥٠ سنة
(والثانية) أنه أدرك الإسلام

فكيف نحدد حكمنا فيها معتمدين على شجرة الأنساب !!

تقدم أن هذا الشاعر كان في سن الأربعين سنة ٤٢٤ قبل الهجرة ،
فكان ميلاده كان سنة ٤٦٤ قبلها ، فلو جازينا من حددوا له هذا العمر ،
لكانت وفاته حوالى سنة ١٤ قبل الهجرة أى حوالى ظهور الإسلام ؛ لأن
النبي ﷺ مكث بعد ظهور الإسلام نحو ١٣ سنة في مكة ، ثم هاجر منها إلى
المدينة ، فمن العجب أن يتفق هذا العمر الطويل مع (دليل النسب) !!

وبذا يثبت أيضا أنه أدرك الإسلام ! لكن هذا العمر ليس
معتقولا مطلقا ! فكيف مع هذا تواطأ (دليل النسب) مع تحديد الرواة !!
بالإطلاع على معجم البكرى رأيت أنه يقول : زعموا أنه عاش ٤٠٠ سنة ^(١) !
وبالرجوع إلى السجستانى ^(٢) وجدته يقول إن « دويدا » عاش ٤٥٦ سنة !!
والذى أرجحه أن عمره لم يصل إلى أكثر من ١٥٦ سنة ، وأنه في
ذات الوقت أدرك الإسلام وهذا لا يسوغ إلا إذا مهدنا له بأمرين :

المصدر الأول

أن أربعة من أجداده ، أو ثلاثة على الأقل ، كانوا من المعمرين ، وأن القرون
الثلاثة التى اقتضيتها من العمر المنسوب إليه ، توزع على هذا العدد من أجداده ،
فوق السن المتوسطة وهى الستون ، وهذا ليس بغريب لأن طول العمر
مما يورث .

المصدر الثانى

أن أجداده الثلاثة أو الأربعة ، الذين اشترطنا أن يكونوا من المعمرين ،
يلزم أن يكون كل واحد منهم قد أنجب من بعده بعد المائة ، والطب لا يمنع

(١) معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٤

(٢) كتاب المعمرين ص ٢٠ رقم ١٢

هذا والعرف والواقع يؤيدانه ، بل قد ينشأ من وفرة النشاط الجندى قبيل المائة ، أن لا يقتصر الزوج عل إنجاب طفل واحد ، بل ينبغي توهمين والمجلات العلمية ، والشركات البرقية ، كثيرا ما تنشر مثل هذا ، وأحدثها ما أذاعته إحدى هذه الشركات ، فنشرته الجرائد في ١٠ / ١١ / ١٩٤٩ خاصا بزوج مجرى ، في الثامنة والسبعين أنجب توهمين . .

ونتيجة لهذا

أن الشاعر ولد في سنة ١٥٦ قبل الإسلام ، وتوفي سنة ١٣ قبل الهجرة وكان في سن الأربعين في سنة ١١٦ قبل الإسلام .

شعره

ساق إلينا السجستانى نموذجين من شعره ، ونموذجا من نثره .

النموذج الأول

أنه لما حضرته الوفاة قال :

ألقي على الدهر رجلا ويدا والدهر ما أصلح يوما أفسدا
يفسد ما أصلحه اليوم غدا

ويروى :

ويسعد الموت إذا الموت عدا

وهذا المعنى كثير الورد على السنة الشعراء في كل عصر ، أما قديما فسكقول الأفوه الأودى :

والمرء ما يصلح له ليله بالسعد تفسده ليالى الفحوس
ومعنى الأفوه أدق ؛ إذ هو يفيد نسبة السعد إلى النحس في هذه الحياة ، وخلا معنى دويد منها ، وما يغفر له ، إفادته سرعة حدوث الشر بعد الخير ، على الرواية الأولى ، وليس عند الأفوه إشارة لهذه السرعة ، وأما في القرن الرابع فقد قال المتنبي في وصف الدهر والشكوى منه

ربما تحسن الصنيع لياليه ولكن تسكدر الإحسانا

وفي عهد إسماعيل قال شاعره :

فلا تشق يومئذ من يرقه فهو خائب

والقصود الثاني

يارب نهب صالح حويته ورب غيل حسن لويته
اليوم يبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلى أبليته
أو كان قرنى واحدا كفيته

القصود الثالث نرى

وجمع بنيه عند موته فقال :

أوصيكم بالناس شرا . . . والحق أن هذه الوصاة لجده نهد كما يفيد هذا
مجمع البكري .

نهر بهم نهر الفضائي

وعلى ذكر نهد جد دويد ، يحسن بي أن أذكر هنا مكانه بين القدماء ،
وآثاره الأدبية ، لارتباطها بما نريد البرهنة عليه ، وهو أن اللمجة التي نزل
بها القرآن ليست لمجة قریش ، بل هي أقدم منها ، وليست لمجة قبيلة بعينها
بل هي اللغة العامة لأدباء القبائل ، وهذا بيان قدمه وآثاره :

١ - (١) تقدم أن من حفيده (دويد بن زيد بن نهد) إلى قحطان
١٩ جيلا ، فمن نهد إلى قحطان ١٧ جيلا .

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة في حمير إلى قحطان ٣٠ جيلا
(ج) والمتوسط النهائي من الحفيد إلى عصر النبوة ٤٢٤ سنة ، ولكن
العصر الخيالي الذي حدده الأدباء لدويد لم يرقى ، فاقترضته إلى ١٥٦ سنة
انتهت بظهور الإسلام ، فلو أنى لم اعتمد إلا (دليل النسب) لكان عمر
(نهد) أربعين سنة في عام ٥٠٤ قبل الهجرة أي قبل الزمن الذي حققته
حفيده دويد معتمدا على شجرة الأنساب بنحو ٨٠ سنة وعندي ما يؤيده
من (دليل المعاصرة) وهو القاعدة الثالثة من نظريتي .

دليل المعاصرة

وقد أرسيت هذا الدليل على طائفة من عدة قبائل ، كانوا يعاصرون (نهد بن زيد هذا) أخبرنا بأمرهم البكرى في معجزة فقال . « وكان نهد منيعا كثير التبغ والولد ، وعمر عمرا طويلا ، وهو أكثر قومه ولدا لصابه وهم أربعة عشر ذكرا منهم (من برة بنت مر بن أد) — وهى أم (أسد بن خزيمه) وأم (النضر بن كنانة) مالك و . . . » وفي هذا النص دلالة على أن (برة) تزوجت خزيمه ، وبعده تزوجت ابنه كنانة ، وكان ذلك جائزا في الجاهلية ، (١) وقد اكتفيت من هؤلاء المعاصرين بثلاثة هم الذين جعلتهم بين أقواس .

(١) فمن برة بنت مر أخت تميم إلى عدنان ٩ أجيال

ومتوسط الأجيال في تميم من عصر النبوة إلى عدنان ٢٠ جيلا

(فالقرن الأول) من عصر النبوة إلى (برة) ١١ جيلا

ومدة هذه الأجيال نحو $11 \times 40 = 440$ سنة قبل الهجرة

(٢) ومن (ابنها النضر بن كنانة) إلى عدنان ٨ أجيال

فمنه إلى عدنان في قبيلة كنانة ٨ و ١٠ أجيال

مدتها $10,8 \times 40 = 432$ سنة قبل الهجرة

(٣) ومن (ابنها أسد بن خزيمه) إلى عدنان ٧ أجيال

ومتوسط الأجيال من قبيلة أسد إلى عدنان ٢٠ جيلا

فالفرق بين هذين العددين $= 13$ جيلا

مدتها $13 \times 40 = 520$ سنة قبل الهجرة

وهذه المدد الثلاث قبل الهجرة هؤلاء المعاصرين الثلاثة $= 440 +$

(١) وكان يسمى نسكاح المات ، ويسمى الولد منه مقى وقد أ بطل الاسلام ذلك تنفيذاً لأمر الله : (ولا تنكحوا ما نكح آبائكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتضا وساء سبيلا)

٤٢٢ + ٥٢٠ = ١٣٩٢ سنة متوسطها ١٣٩٢ ÷ ٢ = ٥٤٤ سنة قبل الهجرة .

وقد تقدم أن (نهـ) كان ابن ٤٠ سنة في سنة ٥٠٤ ق هـ
وبضم مدته قبل الهجرة إلى متوسط مدد الثلاثة المعاصرين قبائما وهو
٤٦٤ + ٥٠٤ = ٨٦٨ سنة متوسطهما ٨٦٨ ÷ ٢ = ٤٣٤ سنة هي التي
كان فيها (نهـ) قبل الهجرة وعمره أربعون سنة ،

١٧- مع المعمرين

ولكن البكرى وكثيرا غيره يقولون إنه من المعمرين ، فلو أنه عاش
١٥٦ سنة التي افترضتها لحفيده (دويد) لدل هذا على أن ميلاده كان قبل
الهجرة بنحو ٤٣٤ سنة ، ووفاته قبلها بنحو ٢٧٨ قبلها ، والموغ الأربعين من
عمره كان سنة ٣٩٤ ق هـ (٢٤٠)

نهـ الشاعر الأديب

(١) ويحدثنا البكرى أيضا فيقول . « أقامت جهينة ، ونهـ ، وسعد
في نجد زمانا ، فكثرُوا ، وتلاحق أولاد أولادهم حتى وثب (حزيمة بن
نهـ) — وكان مشغوما فأتكا جريثا — على الحارث وعرابة ابني سعد بن
زيد فقتلهما ، فقال في ذلك نهـ أبوه :

وهل نجأت من دعوى عرابة أن صارت محلة بيتي السفح والجملا
وحاجة مثل حر النار داخله سليتها بكناز^(١) ذمرت بجملاء ..
(ب) وأوصى بنيه حين حضرته الوفاة — أي سنة ١٧٨ ق هـ — فقال .

« أوصيكم بالناس شرا ، ضربا أزا ، وطعنا وخزا ، كلموهم نزا ،
وانظروهم شذرا ، واطعنوهم دسرا ، اقصروا الأعتة ، وطرروا الأستة ،
وارعوا الخيث حيث كان^(٢) »

(١) ناقة كنار كن كتاب كثيرة الاعم صلبة و (ذمرت) قدرت وحسبت مثل الجمل
في فونها .

(٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٣٢

سأبني في هذين الأثرين

برهنت فيما سبق أن (نهد بن زيد القضاعي) ولد حوالي سنة ٢٢٤ هـ قبل الهجرة، فأخصب أيامه الشعرية كانت وهو في سن الأربعين، أي حوالي سنة ٢٩٤ أي أواخر القرن الرابع قبل الهجرة. لكن الأثرين الأدبيين اللذين تركهما، وسجلناهما هنا، ليسا من آثاره الأدبية في تلك السن (وأقدمها عبدا هو الأثر الشعري)، فهو فيه يبعث مرغما بما يقاسيه من نزق ابنه حورية وقصر نظره، وإثارة الفتن بين قومه وجيرانهم وما يحره عليهم من السكوارث، وهو بهذه الآيات الثلاثة التي سجلها له البكري، يدلنا على أنه بما استغنى من كثرة تجاربه، لا ينظر إلى طيش ابنه إلا نظرة الرجل المشفق الحذر، لما يتوقعه من نتائج كحر النار بين جنبيه، فهو لا بد أن يسكون في نحو السنين من عمره على الأقل أي في نحو سنة ٢٦٤ قبل الهجرة. (٢٦٩ م)

الأثر النثري

(أما الأثر النثري) وهو وصاته لبنيه، فقد قالها لهم قبيل وفاته. أي حوالي ٢٦٤ قبل الهجرة ولا عجب أن يكون (نهد) في الأثر الأول مشدقا حذرا، وفي هذه الوصاة صريحا متشائما من الناس بل جريشا عليهم. فهو أولا كان في موقف المتهم، بعد أن لوث ابنه يديه بدم قتيلين آخرين فهذه الزفرات التي صعدتها في صورة شعر، إنما هي الحكمة بعينها، وأكبر ظني أنها حققت ما كان يهدف إليه بها، من إطفاء نيران الشارات لدى أولياء القتيلين.

(أما الأثر الثاني) فلم يكن في موقف المتهم كما كان أولا، وفضلا عن هذا فهي وصاة الوداع، والدستور الذي يجب أن يسير عليه بنوه بين ذؤبان القبائل، ووحوش العرب، في تلك الأيام التي لم يكن لهم فيها حاكم زاجر. أو عقل رادع، أو حكمة تصد الأقوياء عن الضعفاء،

لم يبعد (نهد) بهذه الوصاة عن جادة الصواب كثيرا، فالعرب من قديم يقولون : « إن الحديد بالحديد يفلح » وبعض المصلحين في القرن العشرين ما برحوا يقولون : « لا يمنع الحرب كالا استعداد للحرب » .

(دلالة الأثرين) وأجدى من كل ما تقدم ، أن هذين الأثرين قبلا في القرن الرابع قبل الهجرة ، وأول ملوك قريش وهو قصي كان في القرن الثاني قبلها ، فهما أقدم من المملكة القرشية بنحو قرنين من الزمان ، كما أنهما ليسا من لهجة قريش ، إذن هما من طهجة غير لهجتهما ، مع أنهما بنفس الألفاظ والأساليب والوضوح ، وكلها نراها في القرآن وأشعار المعلقات مثلا .

فليس بصحيح ما زعمه كثير من المثقفين قديما ، وجاراهم فيه مثقفونا في هذه الأيام ، من أن القرآن نزل بلهجة قريش ، وأن قريشا كانت لها لهجة تغاير اللهجة العربية العامة !!

(٢) الشاعر القيسى أعصر بن سعد بن قيس عيلان

ميلاده سنة ٥٦٠ ق هـ (٧٩ م)

من الشعراء القدامى الذين سجلهم ابن سلام الجهمي ، (١) شاعر قيس :
أعصر بن سعد بن قيس عيلان ولإثبات أقدميته ومبلغ تقدمها في الجاهلية اتبعت ما يأتي :

- ١ - (أ) عددت الأجيال منه إلى عدنان فوجدتها ١٧ أجيال
- (ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان في « قبيلة قيس »

٢٠ جيلا

(فالفرق الأول) بين هذين العددين ١٣ جيلا

(٢) ثم اخترت خمسة من دليل الغشيرة هم :

مرثد بن مرثد وأجياله ٢١ جيلا) و (الصدى بن عجلان وأجياله ١٨ جيلا) و (عتيبة بن وهب وأجياله ١٩ جيلا) و (سمرة بن جندب وأجياله ٢٤ جيلا) و (وعيينة بن حصن وأجياله ٢١ جيلا) وهو الذى سماه النبي ﷺ «الأحقق المطاع»

ومجموع أجيالهم هذه ١٠٠ جيل ، ومتوسطها $100 \div 5 = 20$ جيلا

(٣) وتقدم أن منه إلى عدنان ٧ أجيال

(فالفرق الثانى) بين أجياله إلى عدنان ، وأجيال خمسة من عشيرته

١٣ جيلا .

ومجموع الفرقين ٢٦ ، ومتوسطهما ١٣ جيلا . مدتها $13 \times 40 = 520$ سنة ،

فنتيجة هذه الموازنات أن «أعصر» عندما كان فى سن الأربعين ، كان

ذلك فى سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، وهذه توازى سنة ١١٧ م .

شعره :

لم يصل إلينا من شعره غير ما رواه لنا «ابن سلام» فى بيتين هما :

قالت عميرة : ما لرأسك بعدما نفد الرمان أتى بلون منكرا !

أعمير إن أباك شيب رأسه كز اللبالي واختلاف الأعصر

وهذا الشعر لا يمكن أن يكون فى السن التى حددتها له آنفا ، إذ هذا

التحديد كان وهو ابن أربعين سنة ، فى عنفوان شبابه ، والشعر يدل معناه على

أنه قيل فى مغرب عمره بعد أن علاه المشيب ، لكز اللبالي واختلاف الأعصر

وذهاب الشباب .

فلو أنه قال هذين البيتين وهو فى سن الستين لوافق ذلك سنة ٤٩٩ أى آخر

القرن الخامس قبل الهجرة (١٣٨ م) .

ولو وازنا هذا الأثر الأدبى بالآثار الأدبية فى عهد قريش ، أو العهد

الأموى ، أو الإسلامى ، لكان الجميع من نبعة واحدة ، ولحسبنا أنه من بحر الكامل

أحد بحور الشعر المتداولة ، وأنه لا تنافر بينه وبين الشعر العربى ، على اختلاف

العصور ، مع أنه قيل قبل الهجرة بهذه المدة المديدة ، وقبل اللهجة القرشية بأكثر من ثلاثة قرون .

فلا مَعْدَى لنا أن نعتبر هذا الأثر من اللغة الأدبية للعرب ، أو اللغة العامة لأدبائهم ، وفي هذا دليل آخر ، على أن في نسبة هذه اللهجة إلى قریش ، ونفيها عما عداها ، نوعاً من المبالغة على أقل تقدير .

(٣) شاعر المزارعة في القرن الثاني قبل الهجرة

ولد قبل الهجرة بنحو ١٢٠ سنة (٥٠٦ م)

هو المستوغر: عمر بن ربيعة بن (كعب - وهو مزروع الأكبر -) ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

١ — وليبيان أقدميته نذكر أن منه إلى عدنان ١٤ جيلاً ، فنه إلى عصر النبوة ٦,٢٥ أجيال .

لأن متوسط أجيال النسب في تميم ، من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلاً
٢ — وبالإطلاع على (دليل العشيرة) نجد من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلاً .

إذن بينه وبين الهجرة ٦,٢٥ أجيال ، مدتها $٦,٢٥ \times ٤٠ = ٢٥٠$ سنة
أي إنه عندما كان ابن ٤٠ سنة كان بينه وبين الإسلام ٢٥٠ سنة
هل هو من المعمرين ؟ يرى المؤلفون في الأدب كالمزباني^(١) إنه كان منهم ، وإنه عاش ٣٣٠ سنة !

ولأن المبالغة واضحة في هذا العمر ، رغبت في رأي السجستاني^(٢) فأخبرني أنه عاش ٣٣٣ سنة ! فتركتهما إلى ابن قتيبة^(٣) فرأيت أنه يقول : إنه عاش ٣٣٠ سنة وأنه قديم من المعمرين .

فاكتفيت في أمر السن بهؤلاء ، لأنى خشيت أن أستزيدهم إيضاحا
فيزيدوه عمرا ! وقياسا على ماضى من الأعمار التى بولغ فى بعضها ، سأعتبر
أن بعض آبائه كانوا من المعمرين مثله ، وأن أباه رزقه فى مغرب حياته ،
وأن جده كذلك ، فيسقط نحو جيلين من الأجيال التى بعده إلى الإسلام ،
فيكون الباقي منها $3 \times 40 = 120$ سنة ، يضم إليها متسددار سنه وهو
فى الأربعين ، فيكون العددان $120 + 40 = 160$ سنة بينه وبين الإسلام ،
وبناء على هذا نجد أدرك عصر النبوة . بل عصر معاوية أى بعد الأربعين
من الهجرة (١) ، فهل فى أخباره ما يدل على ذلك ؟

نعم روى ابن الكلبي فى كتاب الأصنام ، ونقله عنه البغدادى (٢) عند
الكلام على (رضا) :

« وقد كانت العرب تسمى بأسماء يعبدونها ، لا أدرى أعبدوها للأصنام
أم لا ، منها «عبدرضاء» كان بيتا لبني ربيعة بن (كعب وهو مزروع الأكبر)
ابن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وهدمه المستوغر فى الإسلام وقال :
ولقد شددت على (رضاء) شدة فتركها تلا تنازع أسحما

تعبيره كان مشهورا عند العرب

والذى يؤكد أنه كان يتمتع بصحة جيدة ، فساعده هذا على أن يطول
عمره ، ويشتهر بين الناس ، ما قصه علينا ابن قتيبة ، أنه مر بسوق عكاظ يقود
ابن ابنه خرفا ، فقال له رجل :

يا عبد الله ، أحسن إليه فطالما أحسن إليك ! فسأله المستوغر : أو
تعرفه ؟ قال : هو أبوك أو جدك ، قال : هو والله ابن ابني !! قال الرجل :
ما رأيت كاليوم قط ! ولا المستوغر ! قال : فأنا المستوغر ! .

فإذا كان المستوغر يحمل حفيده الهرم تارة، ويقوده تارة أخرى ، فلا غرابة أن يبلغ من العمر ١٦٠ سنة أو أكثر .

سُمره : في المراجع السابقة ثلاثة أبيات، يحدد فيها عمره بأكثر من ٣٠٠ سنة ، مما يدل على أنها اعتمدت على شعره في تحديد عمره ! وليس من الدقة اتخاذ الشعر قضية مسلبة في تحديد الأعمار ، لأن الشعر لم يخلق لهذا أما الأشعار فهي :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمسرت من عدد السنين مئينا
مائة أتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
ويظهر أنهم كذلك اعتمدوا على قوله وقد ضجر من طول عمره، وإصابته بالصمم ، وملا عيته حقدته :

إذا ما المرء صمم فلم ينج وأودى سمعه إلا ندابا
ولاعب بالعشى بنى بنييه كفعل الهرم يحترش العظايا
فذاك الهم ليس له دواء سوى الموت المنطق بالمنايا (١)
وروى (ابن عبد ربه) (٢)

أن المستوغر دخل على (معاوية) في خلافته وهو ابن ٣٠٠ سنة فسأله :
كيف تجدك يا مستوغر ؟ فقال :

أجدنى يا أمير المؤمنين قد لان منى ما كنت أحب أن يشتد !
واشتد منى ما كنت أحب أن يلين !
وابيض منى ما كنت أحب أن يسود !
واسود منى ما كنت أحب أن يبيض ! ثم أنشأ :

سلنى أنبتك بآيات الكبر نوم العشاء ، وسعال بالسحر !

وقلة النوم إذا الليل اعتسكروا وقلة الطعام^(١) إذا الزاد حضروا
وسرعة الطرق وتجميع النظر وتركك الحسنة في قبل الطهر
والناس يبلون كما يبلى الشجر

أما أنا فأشك في هذه الرواية التي تجعل المستوغر قد عاش إلى أيام ابن أبي
سفيان، ويؤكد شكى أن هذا الحديث ورد في (عيون الأخبار^(٢)) منسوباً إلى
(العريان بن الهيثم) أمام عبد الملك بن مروان .
وعلى كل فأننا لا أتمسك بهذه الآثار الأدبية للمستوغر ، لأنه عاش
ما عاش من العمر في دولة القرشيين ، وقد يعترض بأن هذه اللهجة صورة
من صور اللهجة القرشية « المزعومة »

(٤) الأمير الشاعر زهير بن جناب الكلبي

ميلاده (٢٩٦ ق هـ) (٤٢٢ م) من شعراء القصائد

إذا كانت دولة الشعر نعمت طويلاً بالملك الشاعر : جزيمة الوضاح ، في
القرن الرابع قبل الهجرة ، فقد تألق نجمها ، وازدهرت رياضها مرة أخرى ،
بالأمير الشاعر . زهير بن جناب الكلبي في أغلب القرن الثاني قبل الهجرة ،
ومنتصف القرن الثالث قبله .

ومن عجب أنهما من أورمه قحطانية ، كأنهما لم يقنعا بأبهة الملك ،
وجاه المنصب ، فأثرا أن يغزوا العدنانيين في ميدان الأدب العدناني ، بعد
أن زحروهم في ميادين العروش وظلال التيجان ، مع أنهما من الدخلاء على
العدنانيين ، وليبيان أن زهيراً كان حقاً من قدماء الشعراء في دولة الأدب
طبقت نظريتي بالأسلوب الآتي :

(١) في بعض الروايات الزاد (٢) التجميع : تضيق العين لتمكن من النظر

(٣) عيون الأخبار ، ٢ : ٣٢١

مركز الدائرة التي سأختار الجولان فيها هو « بكر بن عوف » في شجرة بني كلب ، وجعلته مركز الدائرة ؛ لأنه الجذ الذي يلتقي عنده الحفدة الأربعة : « زهير بن حناب » و « دحية الكلبي » و « ميسون بنت بحدل » زوج معاوية و « أسامة بن زيد » .

ولكن زهيراً نجعل حفدته إلى عصر النبوة ؛ في الوقت الذي نجد الثلاثة الذين اخترتهم بعده وكانوا يعاصرون النبي ﷺ ؛ فأجيالهم معروفة منهم إلى مركز الدائرة . « بكر بن عوف » .

١ - فمن « دحية » إلى « بكر » والغاية داخله - ١٢ جيل

٢ - ومن « ميسون » إليه » ١٢ »

٣ - ومن « أسامة » » ١٢ »

فأجيالهم متساوية ؛ ولكن من « زهير » إلى « بكر » هذا - والغاية داخله - ١٢ أجيال .

فيجب إسقاطها من « دليل العشيرة » وهي ١٢ فيكون الباقي من زهير إلى عصر النبوة ٦ أجيال ، مدتها ٦ × ٤٠ = ٢٤٠ سنة قمرية أي أن « زهيراً » في سن الأربعين كان في سنة ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠ م) .

فلو أنه عاش ١٥٠ سنة التي رآها الأصفهاني لكانت وفاته سنة ٥٠٠ م ولكن لا ننسى أن جده هبل كان من المعمرين أيضاً ، فلو لم يعيش إلا ١١٢ سنة ، لكان من الواجب أن يزيد على متوسط العمر العادي له ٧٢ سنة وأن نفترض أن ابنه جناباً أباً زهير رزقه في أواخر عمره ، وبذا تتأخر وفاة زهير من ٥٠٠ سنة إلى حوالي ٥٧١ م (٥٠١ ق هـ) ويصير ميلاده حوالي ٤٢٢ م (٢٠٢ ق هـ) ويكون عمره عند احتلال الأحباش اليمن (سنة ٥٢٥ م) نحو ١٠٣ سنوات .

وقد اختارته اليمن أميراً على بكر وتغلب قبل ذلك التاريخ ببضع سنوات

عند ما شعر ملوك حمير بظروفهم السيئة في الداخل والخارج ، أرادوا أن يتخذوه ردها لهم ، اذا ما اكفهر وجهه الحادثات ، ولكن هوجنها كانت أقوى من أن تعترضها السدود بعد أن بلغ الحزام الطيبين :

وبعد أن اشتد نصارى نجران في نشر النصرانية ، فاشند (ذر نواس آخر ملوك حمير) قبل احتلال الحبشة في تحريفهم بالأخدود : النار ذات الوقود ، فضج النصارى بالشكوى ، فانقضت الحبشة المتربصة على البين الغافلة ، فاندك صرح استقلالها ، واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا لترتيبها (ففسقوا فيها) ، فحق عليهم القول ، فدمرناها تدميرا .

سهره الادب لوبسى سنجو

فليس بصحيح أن زهيرا توفى سنة ٥٦٠^(١) م لما روى ابن قتيبة^(٢) أنه لما قدمت الحبشة تريد هدم السكبة ، بعثهم ملكهم الى أرض العراق ، ليدعو من هناك الى طاعته ، ومعلوم أن قدوم الحبشة لهدم السكبة كان سنة ٥٧١ م وهى السنة التى ولد فيها سيدنا رسول الله ﷺ أى بعد موت زهير على رأى صاحب شعراء النصرانية بنحو عشر سنوات ؛ فكيف يوفد بعد موته ١١ الله وحده هو المنزه عن السهو .

آثاره الادبية وشعره

حسب زهير دليلا على مكانته فى الجاهلية أن تتنازعه طوائفها ، ليكون كوكب سماءها فى ميادين فخارها ، (قال شعراء) يعدونه منهم بل زعيمهم ، (والأبطال) من قضاة كلها ، بل من قحطان جميعها يحرسون على أن يكون قائدهم وصاحب مراءعهم (وملوك البين وأقياها) لا يجدون من بين أمراءهم من يصاح أن يكون مليكا لبكر وتغلب ، أكبر قبائل ربيعة غيره ،

(١) شعر النصرانية ج ١ ص ٢٠٥ .

(٢) الشعر والشعراء ص ١٤٢ .

(والأطباء) على مكانتهم في الجاهلية لندرتهم يقفرون أن يكون منهم ،
و (السكان) ...

قصيدة العنبر

ولذا قالوا : كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن في غيره من أهل زمانه :
كان سيد قومه ، وشريفهم ، وخطيبهم ، وشاعرهم ، وأوفدهم إلى
الملوك وطبيبهم .
- والطب في ذلك الزمان شرف - وحارى قومه وفارس قبيلته ،
وله البيت فيهم والعدد منهم .

آثاره الأدبية

كثير من شعره وبعض من نثره منشور في كتب الأدب والتاريخ القديم
شعره : يغلب على شعره الوقار والترفع شأن الملوك والأمراء ، والقصد
في التعبير شأن النبلاء ، وانتقاء الألفاظ الشريفة والمعاني الواضحة شأن
الزعماء ، أما فراسسته وصادق نصائحه فحسب أنه كان يلقب بالساكن لبعده
نظره ، وصادق فراسسته ، ويمتاز شعره الحرش بالجزالة .
١ - ولعل أطول قصائده هي التي سجلها له السجستاني في النصيحة ،
ومطلعها :

أبني إن أهلك فقد أورثنكم مجدا بنية
وتركتكم أولاد سا دات زنادكم وريه

وهي في ١٥ بيتا ، فهو من شعراء القصائد ، وقد قالها بعد أن فارق المائة
فهو من المعمرين ولذا يقول في آخرها :

فالموت خير للفني فليهلكن وبه بقية

٢ - (طول عمره) ويظهر أن عمره طال إلى درجة كره معها الحياة ،
وأكثر من تمنى الموت في كثير من أشعاره ، وما روي له قوله :

ليت شهري والدهر ذو حدثان أي حين منيتي تلتقاني . . .

٣ - ورووا أنه قال وقد أتت عليه مائتا سنة :

لقد عمرت حتى ما أبالي أحتفي في صباحي أو مساءي
و حق لمن أتت مائتان عاما عليه أن يمل من الثواء

وعلى البيت الثاني اعتمد من يقولون إنه عاش ٢٠٠ سنة ، فما حجة من
جعلوا عمره ٣٠٠ سنة؟ والقائلين ببلوغه ٢٥٠ سنة ، ١١ بل ٤٠٠ سنة ١١ بل
٤٢٠ سنة !! أما رأى نظرتي فسيأتني .

٤ - ولما تنمرت بكر وتغلب ، وثاروا ضد أميرهم زهير ، اجتمعوا
بقيادة (ربيعة بن الحارث بن مرة بن كليب) فالتقوا بمذحج ، وعليهم
زهير في « السلان » بأرض تهامة ، مما يلي اليمن ، انتصر عليهم أولا فقال :

أين أين الفرار من كحدر الموت إذ يتقون بالأسـسـلاب
إذ أسرنا مهلهلا ، ود أخاه ، ود ابن عمرو ، في القيد ود ابن شهاب ،
وسيدنا من تغلب كل بيضا كمنوز الضحى ، برود الرضاب

وهي عشرة أبيات رواها ابن الأثير .

ولزهير نصائح نثرية رائعة لاداعي إليها ؛ إذ لا جدوى منها لأنها قيلت

في العهد القرشي

٥ - وما يذكر فوق ما تقدم ، للدلالة على أن من شعر الجاهليين ما فيه رقة ،
وعليه طلاوة ، وله من الروعة والوضوح ما يبرز كثيرا من الشعر الإسلامي
والعباسي ، قوله وقد مر بدار من أحب :

وذى دار سلمى قد عرفت رسومها فعبجت (١) إليها والدموع تترقرق
وكادت تبين القول لما سألتها وتخبرنى ! لو كانت الدار تنطق !
فيا دار سلمى هجت للعين عبرة فناء الهوى يرفض أو يترقرق !

ذو الرمة بسطو على شعره

وقد راع هذا المعنى « ذا الرمة » فجعله مطلع قصيدة طويلة أبياتها
٥٧ بيتا أولها :

(أ) أدارا بحزوى هجت للعين عبرة فناء الهوى يرفض أو يترقرق (٢)
(ب) وقفنا فسلطنا وكادت بمسرف لعرفان صموتى دمنة الدار تنطق !

نموذج من شعره

ولزهير بن جنب ثر، لو نسب إلى أبلغ أدباء العصر العباسى ما أنكره
منكر؛ بما يدل على مبالغة من يزعمون أن العصر الجاهلى كان عاطلا من مثل
تلك الآثار الأدبية السلسلة المنطقية، من ذلك أنه جمع بنيه فى أواخر عمره
للتصبيحة فقال لهم :

« يا بنى . إني قد كبرت سنى ، وبلغت حراً سا (٣) من دهرى ؛ فاحكتنى
التجارب - والأمور تجربة واختبار - فاحفظوا عني ما أقول ، وعوه :

أيامكم والخور (٤) عند المصائب ، والتواكل (٥) عند النوائب ، فإن ذلك
داعية للغم ، وشئامة للعدو ، وسوء ظن بالرب ، وإياكم أن تسكونوا بالآحداث
مغترين ، ولها آمنين ، ومنها ساخرين ؛ فإنه ما سخر قوم قط إلا ابتلوا ،

(١) عبجت رجعت

(٢) المراد بماء الهوى دموع الحب ، وارفضاخ الدموع ترشدها (حزوى) كقعرى
موضع ومثله « مسرف » فى بيت ذى الرمة

(٣) قال الزبيدى : الحرس بالفتح الدمر ، والمراد شظرا كبيرا من دهرى

(٤) الخور : الجبن والضعف

(٥) والتواكل : أن يكل الفرد أو الجماعة أموره إلى غيرهم وهو من الأمراض الاجتماعية

ولكن ترفعوها ، فإن الإنسان في الدنيا غرض تعاوره الرماة : (١) فتقصر
دونه ، ومجاوز لموضعه ، وواقع عن يمينه وشماله ، ثم لا بد أن يصيبه . (٢)

(٥) الملك الشاعر : جذيمة الوضاح (٣)

حكم من ٢٥١ م (٣٨٢ ق هـ) وتوفي ٢٦٨ م (٣٦٥ ق هـ)

أجمع العلماء والمؤرخون قديما على أنه من قدامى الشعراء ، فما مبلغ قدمه ؟
وماذا وصل إلينا من شعره ؟ وهل تلك الآثار التي تنسب إليه مما اعقدها
نقطة الأدب ؟ وكيف استدللنا بهذه الآثار على نفي اللهجة التي نسبت إلى
قريش زلفي إليها ؟ .

١ - في الإمكان أن نختصر البحث . فنستدل بدليل ، والسجلات الملكية ،
مباشرة على قدمه ، وبالتالي على قدم آثاره الأدبية . . ولكن برا د دليل
النسب ، ونشرا لنظريتي ، وتدعيما لقاعدة الأجيال النسبية ، آثرت أن أنسأ
دليل السجلات الملكية ، وأقدم دليل النسب هكذا :

١ - جذيمة الوضاح ابن مالك بن فهم في « شجرة السكهلانيين » ، منه إلى
قحطان ٣٤ جيلا ،

٢ - ودليل الصحابة في « قبيلة كهلان » يدل على أن متوسط الأجيال
من عصر النبوة إلى قحطان ٣٢ جيلا ، فن جذيمة إلى عصر النبوة ٩ أجيال ،
مدتها ٩ × ٤٠ = ٣٦٠ سنة قريية قبل الهجرة ، وهذا ما حددته دليل النسب ،
عندما كان جذيمة ابن ٤٠ سنة ، فيلاده كان حوالي سنة ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)
٢ - دليل السجلات الملكية .

(١) الغرض الهدف ، وتعاوره الرماة : تداولوه راميا بعد رام

(٢) بلوغ العرب ٣ : ١٥٩

(٣) أكثر من مؤرخي العرب يقولون حكم ٦٠ سنة ولكن المؤرخين المصريين لا يعترفون

إلا بنحو ١٧ سنة منها .

وأما دليل السجلات الملكية فيدل على أن هذا الملك العربي ، توفي سنة ٢٦٨ م « ٥ ق ٢٦٨ هـ » .

صوانة بين البرليمان :

برهنت بدليل النسب على أن قدم جذيمة يرجع إلى سنة ٣٦٠ قبل الهجرة .
وهذه بالسنين الشمسية توافق سنة ٣٥٥ سنة شمسية قبل الهجرة و « ٢٦٧ م »
فالفرق بين الدليلين بالسنين الشمسية سنة على أكثر تقدير ، أو شهر في الحقيقة .
وبذا أجمع الدليان على أن هذا الملك الشاعر ، الخالد لشعره أولا ، ومملكه
ثانياً ، كان يملأ القرن الثالث الميلادي ، والقرن الرابع قبل الهجرة روعة
وأبهة ، وبهذا نكون قد انتهينا من الإجابة عن السؤال الأول .

آثاره الشعرية :

أما ماذا وصل إلينا من شعره ؟ « وهو السؤال الثاني » فهذا جوابه :
روى المسعودي وغيره (١) أنه قال يوما لندمائه : لقد ذكر لي غلام
من إباد ، له ظرف وأدب ، فلو بعثت إليه فوليته كأمي ، والقيام على رأسي
ليكن الرأي ، قالوا : الرأي مارأى الملك ، فلما حضر بين يديه ولاه مجلسه ،
فعمشقه « رقاش » أخت جذيمة ، فأشارت عليه إذا سقى الحاشية أن يمزج
لهم . ويجعلها صرفا للملك ، فإذا أخذت منه الخمر فاخطبني منه ، فإنه يزوجك ،
فإن فعل فأشهد القوم ، فلما تم لهما ما يريدان ، وأصبح الأيادي متضمنما
بالطبيب علم حيلتهما ، فأحس زوجها الإيادي بالخطر ، فأسرع بالحرب ،
وطالبه جذيمة فلم يجده ، فسكتب إلى أخته « رقاش » من بحر الخفيف :

حدثيني رقاش لا تكذبيني أبحر زيت أم بهجين !
أم بعبد فأنت أهل لعبد أم بدون فأنت أهل لدون !

(١) روح الذهب ج ١ ص ٢٨٨ وبلوغ الأرب ج ٢ ص ١٧٨ ، والاعاني ج ١٤ : ٦٢
وسرر العيون ص ٤٨ .

فأجابته رقاش من نفس البحر :

أنت زوجتى وما كنت أدرى وأنا أن النساء للترين !

ذاك من شربك المدامة صرفا وتماميك في الصبها والمجون !

فنقلها إليه جديمة وحضمتها في قصره ، فولدت بعد مدة غلاما فسمته «عمر» .

وما زالت أرصاد جديمة حتى قبضت على عدى بن نصر الذى زوج برقاش

في سكرة الملك ، فلم يكن جزاءه إلا القتل .

(٢) وروى له ابن سلام قوله :

ربما أوفيت في علم ترفعن عني شمالات

(٣) وسجل له ابن نباتة في مختاراته أن له أشعارا حسنة منها :

أضحى جديمة في (يهرين) منزله قد حاز ما جمعت من قبلها عاد

مستعمل الخير ، لا تفن زيادته في كل يوم وأهل الخير تزاد

وأما السؤال الثالث وهو : هل تلك الآثار التى تنسب إليه ، مما اعتمدها

نقد الأدب ؟ فجوابه أن هؤلاء النقاد لم يعترضوا على نسبة تلك الآثار التى

ذكرتها ، وفي هذا موافقة منهم ، بل إن من آثاره ما استشهد به علماء النحو

أو علماء العروض .

كقوله السابق :

ربما أوفيت في علم ترفعن عني شمالات

وأما كيف استدللنا بهذه الآثار على نفي الالهيّة التى نسبت لقريش ، زلنى

إلى خلفائها فأمره سهل ، إذ أن هذه الآثار ، ثبت أنها قبل المملكة القرشية

بنحو قرنين من الزمان ، وثبت أنها لجديمة بإجماع الرواة ، وثبت من قبل أن

العصر الرابع قبل الهجرة كان العرب عامة ، والأدباء خاصة ، يتحدثون

(١) شرح العيون في رسالة ابن زيدون ص ٥١

(٢) الأغاني ٤ : ٧٤

ويتفاهمون ويتفخرون ويوصون ، ويشيرون الحمية بهذه اللهجة نفسها فكيف
نفتي عنه ما ثبت لأمثاله ؟ إن في ذلك رجيحا بلا مرجح وهو ليس من شيم
الإنصاف ، ولا من الأدلة المنطقية التي هي أساس كل بحث أدبي

كان جذيمة من أفضل الملوك رأيا ، وأبعدهم مفاراء ، وأشدهم نكاية ،
وهو أول من استجمع له الملك بأرض العراق . وكانت منازلهم بين الأنبار
وبقة وهيت وعين التمر وأطراف البر والقطقطانة والحيرة فقصد في جموعه
(عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر) العامل من عامله
العمالق ، فجمع عمرو جموعه ولقيه فقتله (جذيمة) وفض جموعه ، فملكوا
عليهم (ابنته الزباء) وكانت من أحزم الناس ، خافت أن تغزوهم ملوك العرب
- وغيرهم - فتخذت لنفسها نفقا في حصن كان لها على شاطئ الفرات ، وبنت
أرجاء من الأجر والكلس ، متصلا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر في
البرية ، متصلا بمدينة لأختها ، ثم أجرت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدوا
تحصنت فيه .

(٦) الشاعر لجيم بن صعيب

ميلاده سنة ٣٦٠ ق هـ (٢٧٣ م)

لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل من قدامى الشعراء حقا ، وعلى وجه
الدقة من شعراء القرن الرابع قبل الهجرة ، فهو من أقدم شعراء ربيعة أخت مضر .

١ - (أ) لأن منه إلى عدنان جدها الأكبر ١٥ جيلا (١)

(ب) ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان في ربيعة ٢٥ جيلا

٢ - فالفرق الأول ، بين هذين العددين ١٠ أجيال

وهذه نتيجة دلائل النسب ،

(١) لأنه لجيم بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

٢ - أما « دليل العشيرة » فقد أرسيت قواعده على خمسة من حفدته ، منهم أربعة من الصحابة وهم :

« خدّاش الراوية » و « الأغلب الراجز » و « ثمامة بن أثال » و « طلق ابن علي » ثم « مسيلة السكذاب »

(١) و مجموع أجيال هؤلاء الخمسة إلى عدنان ١١٥ جيلا ، متوسطها لكل ٢٣ جيلا .

(ب) وقد سبق أن من « لجيم » إلى عدنان ١٥ جيلا

« فالفرق الثاني » بين هذين العددين ٨ أجيال .

و مجموع الفرقين $٨ + ١٠ = ١٨$ جيلا ، ومتوسطها ٩ أجيال

ومتوسط عمر الجيل في قبيلة ربيعة ٣٦ سنة ، فدة الأجيال التسعة

$٩ \times ٣٦ = ٣٢٤$ سنة فـسكان « لجيم » عندما كان في سن ٣٦ سنة كان ذلك

قبل الهجرة بنحو ٣٢٤ سنة (٣٠٨) فهو « بدليل النسب » و « دليل العشيرة »

من رجال القرن الرابع قبل الهجرة .

هفدته من الخالدين :

فليس عجبا أن يكون من حفدته أعلام دوت شهرتهم وقتما ، في سماء

الجزيرة العربية ، مثل الصحابة الأربعة السابقين في دليل العشيرة ، أو قواد

عظام مثل « ثعلبة بن حنظلة » صاحب القبة يوم ذي قار (١) ، و « السيفند

الزهماني » قائد كتيبة بني حنيفة التي أرسلت لنجدة بكر علي تغلب ، في حرب

البسوس (٢) ، أو أباة يغسلون العار بالدم مثل « عمرو بن عبد الله » قاتل

المنذر بن ماء السماء (سنة ٥٨٥ م) ، وزعماء مثل « نافع بن الأزرق »

مؤسس الأزارقة .

وليس غريبا أن يكون من نسله شعراء مثل « أبي النجم العجلي »

(١) جهرة أنساب العرب لابن حزم الاندلسي ص ٢٩٢

(٢) ديوان الحماسة ج ١ ص ٥ ، ٢٠٨

و «الأغلب» الراجز بن عمرو بن عبيدة و «والعباس بن الأحنف» و
«طفيل ابن علي» و «الفند الزماني» (١)

شعره :

أ - لم يذكر له السيوطي (٢) إلا قوله :

من كل ما نال الفتي قد نلته إلى التحية

ب - وروى له أبو عبيدة ، البيت المشهور :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وحذام هي امرأته وينسب في بعض الروايات إلى «ديسم بن طارق»
ونقله السيوطي في المزهرة منسوباً إلى زهير بن جناب الكلبي ، كما أن البيت
الأول : من كل ما نال الفتي ... نسبة ابن قتيبة (٣) لزهير بن جناب في ترجمته
مع بيتين سابقين له

والرواة معذورون إذا اشتد بينهم الخلاف ، ويشفع لهم هذا
قدم العهد .

دلالة شعره

وسواء أصبح للجيم هذا الشعر أم صح غيره ، فإن مما لا شك فيه ، أنه كان له
شعر بهذه اللهجة العربية التي نفهمها الآن ، وقد أصبح من المؤكد أن كل
الشعر المنسوب إليه وإلى غيره من معاصريه ، كان قبل المماليكة القريشية ، فهو
حتماً ليس من آثار اللهجة التي زعمها بعض الرواة لقريش ، وأنه من
قديم الشعراء .

(١) جهرة بن حزم ٢٩٢

(٢) المزهرة ج ٢ ص ٢٩٥

(٣) الشعر والشعراء ص ١٤٢

(٧) الشاعر التميمي : العنبر بن عمرو بن تميم

ميلاده حوال ٣٩٨ ق ٥ ٢٢٦ م ،

هذا الشاعر قديم العهد ، ولإثبات أقدميته اتبعت الخطوات الآتية :

١ — (أ) منه إلى عدنان ١١ جيلا

(ب) ومتوسط الأجيال في تميم من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٢٥ جيلا

فالفرق الأول بين العددين ٨,٢٥ أجيال

مدتها $٨,٢٥ \times ٤٦ = ٣٧٩,٥$ سنة

٢ — واخترت ستة من الصحابة من عشيرته القريب وهم :

ورد بن مخرم ، وربيع بن ربيع ، ورفيع بن سمرة ، ومالك بن

الحشمخاش ، وعبيد بن الحشمخاش ،

(أ) فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١١٠ من الأجيال ، ومتوسطها

١٨,٣ جيلا .

(ب) وقد تقدم أن من العنبر إلى عدنان ١١ جيلا

فالفرق الثاني بين أجياله المباشرة وأجيال حفدته من الصحابة

٧,٣ أجيال

مدتها $٧,٣ \times ٤٦ = ٣٦٣$ سنة .

٣ — وبمجموع الفرقين $٣٧٩,٥ + ٣٦٦ = ٧٤٥,٥$ ومتوسط الفرقين

$\frac{٧٤٥,٥}{٢} = ٣٥٨$ سنة قبل الهجرة ، أي إن العنبر كان في سن الأربعين في نحو

٣٥٨ ق ٥ [٢٧٥ م]

(وفاته) فلو أنه عاش ٦٠ سنة فقط لكانت وفاته بعد التاريخ السابق

بنحو عشرين سنة أي ٣٢٨ ق ٥ [٣٠١ م]

(ميموده) وكان ميلاده حوال ٣٩٨ ق ٥ [٢٣٦ م]

دليل المصنفات التاريخية

وقد تقدم في شعر لقيط الإيادي أن العاهل الفارسي « ذا الأكتاف » زحف على تميم في البحرين بعد أن بلغ من العمر ١٦ سنة ، وأن هذا كان سنة ٣٢٥ م (٣٠٦ ق هـ)

وما قرره المسعودي (١) عن الزحف أن « سابور ذا الأكتاف » بعد زحفه ، أمعن في قتل بني تميم ففروا ، وشيخهم يومئذ عمرو بن تميم ، وله ثلثمائة سنة ، فأرادوا حمله معهم ، فأبى إلا أن يتركوه وقال : « أنا هالك اليوم أو غدا !! وماذا بقي لي من فسحة العمر !! ولعل الله ينجيكم من صولة هذا الملك المسلط على العرب » فخلوا عنه ، فصبحت خيل سابور الديار ، فنظروا إلى أهلها وقد ارتجلوا ، وسمع عمرو وصهيل الخيل ، ووقع أقدامها ، وهممة الرجال ، فأقبل يصيح بصوت ضعيف ، فأخذوه وجاءوا به إلى سابور ، فقال له :

من أنت أيها الشيخ الفاني ؟ قال « أنا عمرو بن تميم ، وقد بلغت من العمر مائتي سنة ، وقد هرب الناس منك لإسرافك في القتل ، وشدة عقوبتك إياهم ! وآثرت الفناء على يدك لتبقى من مضي قومي ! ، ولعل الله ملك السموات والأرض يجرى على يدك فرجهم ! ويصرفك عما أنت بسبيله من قتلهم » فنادى سابور بالأمان ، ورفع السيف .

ويقال إن (عمرا) بقي في هذا العالم بعد هذا الوقت ٨٠ سنة ، وقيل أقل .

نتائج :

السنة التي زحف فيها ذو الأكتاف على البحرين وفيها بنو تميم ، ودلى العراق وفيها إباد كانت سنة ٣٢٥ م ، فعمرو بن عمرو كان في هذه السنة ٥٩ سنة ، وعمر أبيه عمرو ٩٩ سنة فليس بصحيح زعم المؤرخين أنه كان عند الزحف ابن ٣٠٠ سنة .

فلو أنه عاش بعده نحو خمسين سنة لكان عمره إلى حين وفاته نحو ١٥٠ سنة وهو عمر معقول فقولهم أنه عاش بعد الزحف ٨٠ سنة فيه مبالغة ، فوق مبالغتهم في مبلغ عمره .

شعر العنبر

فأى شعر منسوب إلى العنبر بن عمرو بن تميم يكون أكثره قبل قبل الزحف الفارسي أي قبل ٣٢٥ م لأن أكثر مواسم الشعر تكون والشباب غض ، والخيال في أقصى مراميه ، والأحلام لئذا ، ولم أعثر على شعر للعنبر أقدم مما رواه لنا ابن سلام الجمحي (١) وقد قال في هذا :
« من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان مجاورا في بهراء :

قد رايت من دلوى اضطرابها والنأي في بهراء واغترابها
إن لا تجيء ملائى يحى قرابها

وقبيلة بهراء التي ارتحل إليها كانت في الحجاز (٢) وكان أبوه عمرو وقومه بنو تميم يخيمون في البحرين (٣) وذلك قبل زحف الفرس .
فإذا كنت قد أثبت أن شعر « لقيط الإيادي » عندما حذر قومه الإياديين كسرى وما جمع ، كانت سنة ٣٢٥ م (٢٠٦ ق هـ) فإن أثبت هنا أن الاشطر الثلاثة التي تقدمت للعنبر كانت قبل شعر لقيط بأكثر من ٢٥ سنة على الأقل ، أي في أواخر القرن الثالث الميلادي (وأواخر القرن الرابع قبل الهجرة) .

فهذا الشعر مع توغله في الجاهلية ، غير منكور اللفظ ، أو المعنى ، أو الأسلوب ، مع سبقه أول ملوك قريش - وهو قصي - بنحو قرنين ، فكيف يدعى مدح أنه من طبعها ، وكيف يجرؤ غيره على إنكاره بعد هذا ، وبعد أن قرر ابن سلام أنه من قديم الشعر الصحيح ! وحسبك يا ابن سلام ثقة حتى عند الدكتور طه

(٢) معجم ما استعجم ج ١ ص ٥١

(١) طبقات الشعراء ص ١٨

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ١٤٩

ابن خذام

ميلاده حوالي ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)

تعجب الأدباء كثيرا للعثور على « ابن خذام » الذي أشار إليه
امرؤ القيس في قوله :

عوجا على الطال المحيل ^(١) لعلنا نبيكي الديار كما بيكي « ابن خذام »

ولعل لما حير الباحثين من أمره ، كثرة ما أطلق عليه من أسماء :

فعند الزبيدي أنه « امرؤ القيس بن الحمام » .

وعند صاحب القاموس المحيط « ابن خذام كككتاب » وبالدال المهملة .

وعند الآمدي « ابن خذام » بمعجمتين .

وعند ابن رشيق في العمدة « ابن خذام » بذال ،جمة وحاء مهملة .

وكأنه أخذ هذا الضبط أي « ابن خذام » عن الجاحظ .

وفي المؤلف والمختلف للآمدي ^(٢) أنه امرؤ القيس بن حمام « بن مالك »

ابن عبيدة بن هبل بن عبد الله بن كنانة .

و « السجستان » ^(٣) يسرد هذا التسبب محذوفا منه « مالك » لذا جعلتها

بين شولات .

وابن حزم الأندلسي ^(٤) في جمهرة أنساب العرب يقول : هو امرؤ القيس

بن « الحمد » بن مالك .

وابن قتيبة ^(٥) يقرر أنه امرؤ القيس بن « حارثة » بن الحمام « بن معاوية »

وضبطه بعضهم « ابن حمام » بحاء مهملة مضمومة .

هذا فيما يختص باسمه .

(١) المحيل الذي أتى عليه الحول

(٢) المؤلف والمختلف ص ١٠ ، ٩٢ .

(٣) كتاب المعربين ص ٥٦ رقم ٥٠ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ص ٤٢٦ .

(٥) الشعر والشعراء ص ٧٦ .

أما ما يختص بنسبه فقد تنازعته القبائل ، ولكن قبائل اليمن ولا سيما
قبيلة كلب تمسكت به ، وصممت على نسبته إليها ، وتحدروا من أصلها ،
وتربته بينهم ، فسلم كثير من العرب بقولها ، وأنكروا ما قد عيه (بكر بن وائل)
من هذه النسبة بدليلين :

الاول : أن كتب الأنساب التي سبقت هنا وغيرها أكثر منها ، تتصاعد
بنسبه إلى هبل بن عبد الله ، فيلتقى بالأمير الشاعر (زهير بن جناب) في
هبل الجد الأول لزهير ، ولا يشك واحد من علماء النسب في أن زهيراً من
بنى كلب القضاعيين القحطانيين .

الريل الثاني : على أن (ابن خدام) من أسرة زهير ، أن كتب الأدب
والتاريخ القديم تذكر معاصرتهم ، واشتراكهما ضد كليب ومهمل في ميادين
القتال ، ودفاعهما عن عرب اليمن ضد عرب معد ، وذودهما عن حياض بنى
كلب القضاعيين ، ولم يذكر واحد منهما أنه قاتل في صفوف (بكر)
العدنانيين ، ويزيد النسبة إيضاحاً قول (العسكري) في كتاب التهذيب : إنه
ابن أخى زهير بن جناب .

إشارة امرئ القيس إليه

ولم يقتصر الاختلاف على اسمه ، أو نسبته فحسب بل لقد تعداها إلى
الآيات التي هاجت بلا بل « امرئ القيس السكندی » فبكى فيها الديار كما
بكاهها (امرؤ القيس بن خدام السكاني) : فأعراب بنى كلب إذا سئلوا
عنها أنشدوا خمسة أبيات متصلة من أول (قفا نيك) التي جعلها
امرؤ القيس بن حجر مطامح معلقته ، وهذه هي :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فوعل

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجته من جنوب وشمأل (١)
 ترى بحر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل (٢)
 كائن غداة البين يوم تحملوا لدى سممرات الحى ناقف حنظل (٣)
 وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون : لانتلك أسى وتجمل
 وهؤلاء الأعراب يقولون : بقية المعلقة من شعر امرئ القيس ، وإذا
 صح ذلك يكون اقتباساً لاسرقة : لأن الشعراء يعمدون إلى السرقة فيما قل ،
 ثم يغيرون معالم ما سرقوا غالباً ، واقتباس نصوص الشعر عادة يكون من
 الخاملين أو الضعفاء الصغراء ، وهذه النقط الثلاث لا تنطبق على امرئ القيس ،
 ولا على هذا العدد من شعره ، ولا يقال إنه اقتبسها في فجر حياته الشعرية ؛
 لأن أسلوبها ، ودقة التعبير في البيت الأول وروعة التشبيه في البيت الرابع ،
 وما في البيت الخامس من لوعة وروعة ، وحشرها بين معلقته التي أراد بها
 مزاحمة شعراء العرب قاطبة ؛ كل أولئك ينفي هذه الدعوى ، والذي دعاه إلى
 الاقتباس من « ابن خنزام » دون غيره ؛ وإلى كثرة ما اقتبس ، ومجاهرته
 بهذا الاقتباس ، لا بد أن يكون قد قرأ له كثيراً ، فأعجب به ، فسجل ولامه
 له وإعجابه به في شعره مرتين ، مرة بذكر اسمه ، ومرة بما اقتبس منه ، فزعم
 النجاة أو الأدباء أن « امرأ القيس » ذكر « ابن خنزام » ليدل على قدمه ،
 أو على أنه أول من بكى الديار ، إنما هو زعم باطل ، وفكرة هتيقة بدليابين
 سأذكرهما بعد إيضاح زمنه .

« وغير بني كلب » يقولون : إن « ابن خنزام » بكى الديار في قوله :

لآل هند بجني نفنف دار لم يمح جدتها ريح وأمطار

(١) سقط اللوى والدخول وحومل وتوضح والمقراة أسماء مذكنة .

(٢) الآرام مفردتها ونم كبير وهو الظي الخالص البياض والمرصات الامكنة بين الدو ، ليس فيها بناء ، والقيعان جمع قامة : فناء البيت :

(٣) ناقف حنظل المراد : تنهرو عيونى لمرارة ما أجدم من لوعة الفراق .

إما ترى بحسب البيت مضطجعا لا يطبيني لدى الحين إبتكار
فرب بيت يضم القوم رحبته أفاته . إن بعض القوم عوار

لم أدهاه بنو كلب ؟

ولعل السبب في دعوى « بكر » نسبة « ابن خذام » إليها ، أنه اشتهر
بين العرب بالهجنة ، والهجين كما في كتب اللغة من أبوه عربي وأمه أمة ،
ويخيل إلى أن أصلها من بكر ، أصيبت بالسبأ في إحدى الوقعات بين بني
كلب القحطانيين ، وبني بكر العدنانيين ، - وكان مثل هذا يحدث كثيرا في
العرب - ، فنشأ ابنها كما ينشأ الهجناء ، شاعرا بما يشعرون به ، وأقله شهرته
بين الناس بالهجين مرة ، وتلقبهم إياه بعدل الأصرة مرة أخرى ، ولم يريدوا
بالأصرة هنا الرحم أو القرابة ، وما إليها من معاني هذه الكلمة ، بل أرادوا
بهذا اللقب تحقيره ، الذي شاءوه بإطلاق « الهجين » عليه تارة ، و « الشريد »
تارة أخرى ، إذا لأصل في الأصرة ، الحبل الصغيرة يشد به أسفل الخباء
وإلى هذه الذلة التي جرّها على « ابن خذام » سبأ أمه ، يشير مهمل في
قوله الآتي :

لما توغر في الكراع « هجينهم » هلمت أثار « جارا » أو « صنبلا »

فالكراع ، وعدل الأصرة والهجين ، والشريد - في بعض روايات
البيت ، تشير إلى قصة سبأ أمه ، وتربطها ببني وائل أخواله ، ويظهر أن
الظروف بعدها لم تلبت أن ابتسمت لهذا الهجين ، الذي لا ذنب له في لقبه ،
أو سبأ أمه ، أو تنكر العرب وتقاليدها له دهرًا ، ويؤيد هذا ملازمته لعمه
الأمير « زهير بن جناب » ومشاطرة بني كلب - أعمامه - بأساء الحياة ولينها ،
وحررها وسملها ، وانقضاضة في كثير من الأحوال ، على بني ربيعة أسرة
« مهمل » ، تحت لواء ، عمه الأمير القائد الشاعر الطبيب .

وشرعت الأيام بعد ذلك تبرز من مواهبه ، تارة في ميدان الإغارات ،
وأخرى في ميدان الأدب والشعر ، ثم تكفل له « امرؤ القيس » بعد وفاته
بالخلود ، والاقتراس من شعره ، والتغنى بوفائه .

نظمه : أجمع علماء الأدب على أن « ابن خدام » شاعر قديم ، دثر شعره ،
لأنه لم يكن للعرب كتاب ، وما بقى من أشعارها إنما هو شعر من أدرك
روايته الإسلام (١) .

ولإيضاح ما له من قدم بنظريتي أذكر ما يأتي :

الرواية التي اعتمدت عليها في شجرة نسبه ، هي رواية السجستاني ، وقد
بين فيها أنه امرؤ القيس بن حمام بن عبيدة بن هبل . فهذه أربعة أجيال ،
وقد قدمت أن من عشيرته (زهير بن جناب) .

(فابن خزام) أحدث من (زهير) بجيل ، وقد تقدم أن دليل العشيرة
المنتزع من دحية الكلبي وميسون بنت بحدل ، وأسامة بن زيد ، يدل على أنهم
أحدث عهدا من زهير بخمسة أجيال ، فهم أحدث عهدا من ابن خدام
بأربعة أجيال ، مدتها ٤٠ × ١٦٠ سنة أى أن ابن خدام في سن الأربعين
كان قبل الهجرة بنحو ١٦٠ سنة ٤٦٧ م فيلاده حوالى سنة ٢٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)
ولا يهمننا بعد ذلك أكان من المعمرين أم لم يكن .

صرو هذا التحميم : والذي يدل على صدق هذا التحديد أنه بعد هذا
التاريخ بنحو ٢٠ سنة كانه يوم السلان ، وفيه اجتمع بنو بكر وبنو تغلب
بقيادة ربيعة بن الحارث - أبى كليب ومهلل - فالتفوا بمذحج وعليهم
زهير بن جناب ، في هذا اليوم والأيام التي قبله ، والتي بعده ، وفي إحدى هذه
الوقعات ، كان مع زهير الرجل الناصح الشاعر الفارس ابن خدام فاكتفيا
بالإغارة الخاطفة ثم انسحبا - بعد أن قتلا من بنى تغلب رجلين هما جابر

« صنبل » لما وجدا (كلييا) و (ومهللا) وآل ربعة متيقظين فقال
(مهمل) مفتخراً :

لما توعر في الكراع (هجينهم) هلملت أنار جابرا أو صنبللا
ويقصد بهجنتهم (امرأ القيس بن خدام) (١) وكان يسمى أيضا (عدل الأصرة)
فيرى من هذا أن (ابن خدام) لم يكن متعمقا في القدم إلى الدرجة
السيحية كما يتوهم الناس ، بل كان قبل الهجرة بنحو قرن كامل ، لو أنه عاش
٩٥ سنة ، ويكون موته قبل ميلاد (امرئ القيس السكندى) بنحو
٢٧ سنة ، فليست المدة عميقة في الجاهلية كما نرى فهو إذن ليس أول من بكى
الديار ، بل سبقه كثيرون من الشعراء بنحو أربعة قرون أو خمسة ، ويرى هذا
واضحا في هذا الكتاب

(الثاني) أن ممن سبقوه في بكاء الديار (زهير بن جناب) في أبياته الثلاثة
التي تقدمت في ترجمته ، وهي التي سرق منها ذو الرمة ،

أول من بكى الديار :

فإن حزم ليس أول من بكى الديار ، بل هو سارق لأسابق ،
ويرجع الفضل في ضبطه ملتبسا بجريمته إلى نظائري ، لأنها فيما حقيقته من
الآزمة ، أوضحت أنه أحدث عهدا من (زهير بن جناب) : فهذا الشاعر قد
بكى الديار في أبياته الثلاثة التي سطا عليها (ذو الرمة) مرتين ، كما سطا عليها
(ابن خدام) من قبله ؛ وزهير كذلك ليس أول من بكى الديار ، فقد سبقه
« لقيط الإيادي » بنحو ١٥٠ سنة في قصيدته : التي مرت في زمن لقيط ومطالعها :

يادار عبلة من محملها الجرجا هيجت لي الهم والأحزان والوجعا

(١) جهرة ابن حزم ص ٤٢٦

(٢) المؤلف والمختاف ص ١٠ ، ٩٢

جدول ترتيب شعراء المقطعات بحسب أزماهم

ملاحظات	ميلاده		الشاعر	أعداد
	بعد الميلاد	قبل لهجرة		
	٧٩	٥٦٠	أعصر بن سعد القيسي العدناني	١
	١٩٦	٤٤٠	الملك جزيمة الوضاح القحطاني	٢
	٢٣٦	٣٩٨	العنبر بن عمرو بن تميم العدناني	٣
	٢٧٣	٣٦٠	الجيم بن صعب الرابي العدناني	٤
	٤٢٢	٢٩٦	الأمير زمير بن جناب السكلي القحطاني	٥
	٤٠٠	٢٢٩	الملك بهرام جور الفارسي	٦
	٤٢٨	٢٠٠	ابن خذام السكلي القحطاني	٧
	٤١١	١٥٦	دويد بن زيد القضاعي	٨
	٥٠٦	١٢٠	المستوغر المزروعى العدناني	٩

تعقيب

يرى فيما تقدم مبلغ ما في تقارير الباحثين قديما من الجرأة ، ومن الخلط ، لا اعتمادا على قاعدة معروفة لديهم ، وإلا لاتحدت نتائجهم ، أو تقاربت ، ولكن المهم لديهم كان حشد المعلومات للطريقة ، وإمتاع قرائهم ، أو طلابهم ، أو ذوي نعمتهم مما قد ينقض آخره أوله .

وآيه ذلك هؤلاء الشعراء الذين لقبوهم بالقدماء ، وجعلوهم من شعراء المقطوعات لا القصائد .

وما لامرية فيه أن سردهم بهذا الترتيب إنما قصدوا به بيان أن قدمهم في الجاهلية هكذا ، ولكن بحسب نظريتي يختلف ترتيبهم الزماني اختلافا بينا عن ترتيب السابقين .

وحسبى مكافأة على هذا العمل المصنى أن بهذه النظرية وصلت إلى أمور ثلاثة :

(الأول) أن رقت شعراء المقطوعات ، ثم شعراء القصائد ترتيبا زمنيا منسجما يستوى الجميع أمامها ، فلا حيف ولا محاباة ، وهكذا القوانين الصالحة يجب أن يكون جميع الناس أمامها سواء .

(الثانى) أنى قرنت كل واحد من هؤلاء الشعراء بتاريخ ، وبيان قدمه ، منسوباً إلى التاريخ الهجرى ، والتاريخ الميلادى ، لأول مرة فى عالم الأدب ، من أقدم عصوره إلى الآن .

(الثالث) أنى نسفت ذلك السور الجديدى ، الذى ضرب به السابقون واللاحقون لعمر الأدب الجاهلى ، لزعمهم أن أقدم ما بين أيدينا من الآثار الأدبية للغتنا لا يتجاوز الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة ، وهذا إجمال ما فصلت من شعراء المقطوعات فى زعم السابقين ، مراعىا ترتيبهم بحسب ميلادهم .

« بهرام جور » ملك الفرس

من شعراء المقطوعات العربية

إذا كان عجيباً أن يجد الباحثون ، عشرات الأدلة لى ، على أن من الآداب العربية ما ترجع أقدميته إلى القرن الثامن قبل الهجرة ،

أو أن يقرءوا ما قررته ، من أن من المقطوعات العربية ما سبق الهجرة بنحو ستة قرون .

أو أن أقدم ديوان شعرى للعرب كان ديوان لقيط بن يعمر الإيادى ،

أو أن أطول قصيدة عربية فى الجاهلية هى التى تضمنها ذلك الديوان الخالد ،

أو أن أقدم ما عثرت عليه من المقطوعات فى هذه الطبعة ، كان لشاعر قحطانى

لأعدائنا، وذلك حوالى القرن الأول قبل الميلاد (القرن الثامن قبل الهجرة) ،
فأعجب من كل أولئك ، أن نجد للآداب العربية من يقدرها من الأجانب
حق قدرها فى جاهلية العرب ، قبل الهجرة بأكثر من قرنين .
وأن يكون ممن استهوتهم بلاغتها ، وأساليبيها ، وروعيتها ، ملوك من
ملوك الفرس :

أما الملك الأول فهو « يزدجرد الأول » الذى تولى حكم الفرس من
٢٩٩م (٢٢٣ ق هـ) ، ومظهر عنايته باللغة العربية وآدابها ، وبالعرب وتربيتهم ،
وشجعهم ، وشجاعتهم ، أنه وكل تربية ولى عهده إلى « النعمان بن امرئ القيس
العربى ملك الحيرة (١) ، وهو الذى قبض على صولجان الملك سنة ٤٠٣ م
(٢٢٥ ق هـ) فسكث بينهم عشرين سنة حتى تشرب طباعهم ، وتخلق بأخلاقهم ،
وتعلم لغتهم ، وأتقن آدابهم

وأما الملك الثانى فهو ابنه الملك « بهرام جور » ملك الفرس من ٤٢٠م
(٢٠٩ ق هـ) ويقول حمزة الأصفهاني فى (٢) .

إن « المنذر » تولى تربية بهرام ، دفعه إليه أبوه « يزدجرد الأثيم »
ليربيه منذ أن كان رضيعا ، وهذا منهج تربيته ودراسته :

منهج تربيته :

(١) من السنة الأولى إلى الثالثة أحضر له صفوة المروضات من ذوات
الخلق والصحة : عربيتين ، وفارسية (٣) .

(٢) ومن ٣ - ٥ أشرفن على حضائته وتلقينه مبادئ العربية والفارسية

(٣) ومن ٥ - ١٢ أحضر له « المنذر » مدرسين ، فعلموه الكتابة والرمى

(١) مروج الذهب - ١٦٢ . ١ (٢) تاريخ سنى ملوك الأرض

(٣) تاريخ ابن الأثير - ١ ص ١٦٠

والفقه - بطلب من بهرام - وأحضر له حكيمًا من حكماء الفرس ، فوعى كل ما عليه ، وفي نهاية تلك المدة ، فاق منجليه فحضر فهم المنذر .

(٤) ومن ١٢ - ٢٠ أحضر صفوة ممتازة من فرسان العرب ، وخير طها ، فتعلم ركوبها ، والسباق بها ، والرمي والصيد ، وما أشبه ذلك ، فوق أمرار اللغات وأدائها ومات أبوه وهو عند المنذر .

وبالاطلاع على السنة التي توفي فيها المنذر في كتابي هذا (١) نجد أنها سنة ٤٢٠ م (٢٠٩ ق هـ) .

صهر الملك بهرام مهور

ويقرر المسعودي (٢) أن هذا الملك الأديب كان يقول الشعر بالعربية ، ويتكلم بلسان اللغات ، وما حفظ من شعره . وقد ظفر بخاقان - ملك الترك - وقتله :

أقول له لما فضضت جموعه كأنك لم اسمع بصولات بهرام ،
فإن حامي ملك فارس كلها وماخير ملك لا يكون له حامي !!
وقال أيضا :

لقد علم الأنام بكل أرض بأنهم قد اضمحوا لى عبيدا
ملكك ماوكمهم وقهرت منهم عزيزهم المسود والمسودا
فتلك أسودهم تقعى حذارى وترهب من مخافى الورودا
وكننت إذا تشاوس ملك أرض عبأت له السكتائب والجنودا
فيعطينى المقادة أو أوافى به يشكو السلاسل والقيودا

ويكرر المسعودي أن له أشعارا كثيرة بالعربية والفارسية ، أعرض عنها طالبا للإيجاز .

(١) الانس المبكرة صفحة ٢٠

(٢) روج الذهب ج ١ : ١٦٣

هذه هي الصورة

وأكبر ظني أن النظرة الأولى لهذين الأثرين ستدعو المتشككين إلى إنكارهما ، وإنكار نسبتهما ، أما إنكارهما فلتلك السلاسة ، وهذه الصياغة التي تنظمهما جملة وتفصيلا ، لأن ما عهدوه من الآثار الأدبية الجاهلية للعرب أنفسهم ما هي إلا صورة من خشونة الحياة البدوية ، ونماذج صادقة من جبالها الوعرة ، وطبيعتها المتنافرة ، فكيف بالأعاجم وليست اللغة لغتهم وليس السبك سبكهم ١١

ولقد كدت أنسرك كما أنسكروا ، وأتذكر لهذين الأثرين كما تنكروا ! لولا أن أسعفى الأستاذان الكبيران : أحمد بك أمين ، ونجيب محمود (١) فقد نقلنا عن « محمد عوفى » في كتاب لباب اللباب - وهو أول كتاب في تاريخ الأدب الفارسي - أن « بهرام جور » تعلم الشعر من العرب ، إذ نشأ بينهم ، ووقف على دقائق لغتهم ، وأن له شعرا عربيا بليغا ، وأن هذا المؤلف رأى ديوانه في خزانة كتب بخارى (٢) وطالعه ، وكتب أشعارا منه وحفظ ، ومنها أبيات نظمها حينما رجع إلى فارس ، واستقر على سرير الملك بسبب انتصار العرب له . . . ويذكر عوفى بيتا فارسيا ارتجله بهرام في وقت طرده .

وكذلك يذكر كتاب « المعجم » ، في معايير أشعار المعجم (٣) ، تربية « بهرام جور » في الحيرة وتأديبه بأداب العرب .

ومن أعجب ما نقله أن العلماء في عصر بهرام لم ينكروا شيئا من أخلاقه وأحواله إلا قول الشعر !! فلما تملك ، تقدم إليه أحد حكامهم ونصحه قائلا :

(١) قصة الأدب في العالم ج ١ : ٤٤٨

(٢) وبنده در کتاب خانة سربل بازارجة بخارا ديوان اودیده است ودر مطالعة آورده است واز انجا اشعار نوشته وباد کرفته - آزان جمله اين است الخ لباب اللباب ج ١ ص ١٩ ط براون

(٣) قصة الأدب في العالم ج ١ : ٤٥٠

أيها الملك ، إن قول الشعر من كبار معائب الملوك ، لأن أساسه الكذب والزور ، والمبالغة الفاحشة ، لهذا أعرض عنه عظماء فلاسفة الأديان . . . فارغوى « بهرام » ولم يقل شعرا بعدها ، ونهى عنه أولاده وأقاربه .

أفيسوغ المنكر بعد هذا أن يرفع عقيرته بإنكار هذا الشعر ، ونكران نسبته ، بعد إجماع علماء العرب والفرس على صحته ! وإذا ثبت أن هاتين المقطوعتين قبلنا بعيد سنة ٢٠٤م أى قبل الهجرة بأكثر من قرنين ، أفيظال المنكرون متمسكين برقم ١٥٠ سنة التى لا ظل لها من الحقيقة !

حسبى إلى هنا ذلك المشوار ، الذى قطعته إلى تلك المقطوعات الشعرية وتلك الإلمامة التى كشفت بها عن أمور كانت ولا تزال خفية .

وكانت « قواعد التنسيق » تقضى أن أقدم مقطوعتى ملك الفرس العظيم « بهرام جور » ، وأواخر حديثى فى ديوان لقيط أقدم دواوين الشعر عند العرب ، وقصيدته الخالدة الرائعة ، ليأنس النظير بنظيره فى الأمرين . لأنى سأتكلم بعدئذ فى شعراء القصائد .

ولكن اعتزأى بشعر بهرام الشاعر ، ورغبتى فى أن أختم به شعر المقطوعات ، ليكون مسك الختام . هذان وغيرهما مما جعلنى أوثر ذلك الترتيب فلا على بعد ما تقدم أن أحلق مع الباحثين فى سماء القصائد وشعرائها ، بعد ما اعتزكت فيها الروايات ، واشتجرت فى ميدانها الآراء قديما وحديثا ، ثم أزن كل ماورد بميزان نظريتى ، التى نساها الله لتظهر على يدى ، والحكم للباحثين بعد ذلك .

(٣) القسم الثالث

شعراء القصائد فى الجاهلية

بعد أن بدأت البرهنة على أن الأمثال العربية المنسوبة أقدم الآثار الأدبية عند العرب ، ثم ثبتت بالمقطوعات ، مستدلا على أنها أحدث من الأمثال وأقدم من القصيد ، اعتمادا على أن البسيط أقدم من المركب ، لم يبق بد

من الإفاضة في القسم الثالث من الآثار الأدبية ، وهو شعراء القصائد ، وأقدميتهم ، وأقدم آثارهم ، مبتدئاً باصناف الروايات التي تداولتها السنة الرواة ، معقبا بما استنبطته من منطق نظريتي ، التي مارأيتها خاتمتي - على كثرة ما مر بي - تاركا أمر الفصل لأدباء اليوم والغد ، فإن هذه القضية التي أبسط وجهات النظر فيها ، ليست لجيل دون جيل ، ولا لعصر دون عصر ، وحقائق الأشياء ثابتة ، ولكنها مرهونة بظروفها .
« فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض »

أول موج قصص القصائد

ندر أن تتصفح كتابا في الأدب الجاهلي ، في القديم أو الحديث ، عند المشاركة أو المستشرقين ، إلا رأيت أن أول من قصد القصائد ، وذكر الوقائع « مهمل بن ربيعة التغلبي » في قتل أخيه « كليب » ، وتتصفح أمالي ثعلب ، فتجده ينقل عن الأصمعي :

« أول من تروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر « مهمل » ثم « ذؤيب التيمي » ثم « ضمرة الكناني » و « الأضبط بن قريع » وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة .

وبترديد النظر في هذا التقرير نجد ثلاثة أمور :

الأول - أن أول من قصد القصائد « مهمل » ،

الثاني - أن « ذؤيب التيمي » و « ضمرة الكناني » والأضبط القريني المزروع ، أحدث عهدا من « مهمل »

الثالث - أن هؤلاء الأربعة قبل الإسلام بأربعة قرون !

تحقيق :

١ - بالرجوع إلى ماحققته في تاريخ مهمل نجد أقدميته كانت قبل الهجرة .

بنحو ١٨٠ سنة .

٢ - وبالإطلاع على شجرة أنساب بني تميم ، نجد من ذؤيب التيمي إلى عدنان ١٢ جيلا ، لأن أباه كعب بن عمرو بن تميم ، بن مر بن أد بن طابخة ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال في شجرة تميم من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٥ جيلا ، فمنه إلى الهجرة نحو ٨,٢٥ من الأجيال .

مدتها ٨,٢٥ × ٤٦ = ٣٧٩ سنة قبل الهجرة (٢٤٣ م) .

فيلاده قبل هذا التاريخ بنحو ٤٦ سنة أي سنة ٤٢٥ ق هـ (٢١٠ م) . وبالمبحث في شجرة « كنانة » نجد من ضمرة الكنان إلى عدنان ١١ جيلا لأنه ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان و (دليل الصحابة) يفيد أن متوسط الأجيال في شجرة قبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٩,٨ أجيال .

مدتها ٩,٨ × ٤٦ = ٤٥١ سنة .

إذن ضمرة كان يعيش حوالى سنة ٤٥١ قبل الهجرة في سن الأربعين . فيلاده كان حوالى سنة ٤٨٢ ق هـ (١٤٠ م) .

آثاره الأدبية :

لم تزد المراجع المختلفة على ذكر اسمه ، ونظمه في سلك أول من تروى لهم كلمة تبلغ ثلاثين بيتا ، ومثله في هذا مثل « ذؤيب بن كعب بن عمرو ابن تميم » و « الأضبط بن قريع » .

نتائج :

فينتج مما تقدم :

١ - أن هؤلاء الشعراء الأربعة لم يكونوا معاصرين ، بل كان ترتيبهم

في الأقدمية هكذا :

أقدمهم : ضمرة ، ثم ذؤيب ، والأضبط ، ومهلل .

٢ - والنتيجة الثانية أن مهلهلا ليس أول شعراء القصائد ، بل سبقه كثير منهم مثل الشاعر ضمرة السكناني ، وكان أقدم من مهلهل بنحو ٣٠٢ سنة .
« ذؤيب التيمي » وكان أقدم من مهلهل بنحو ١٩٩ سنة .
« والأضبط المزروعى » « » « » « » ١٦٥ سنة .

٣ - والنتيجة الثالثة أن هؤلاء الشعراء الأربعة ، لم يكن بينهم وبين الإسلام ٤٠٠ سنة كما نقل تغلب عن الأصمعى ، بل كانت مدتهم تتراوح بين ٤٨٢ ، و ١٨٠ سنة ، فأقربهم إلى الـ ٤٠٠ سنة التى رواها الأصمعى هو ضمرة

استثناسى :

وإمعانا فى الاستثناس ، ورغبة فى العثور على قد ما يكون هناك من المعسكرات الأخرى التى تنقض رأى هذا المعسكر ، تابعت البحث ، فعثرت على معسكرين آخرين .

(١) أحدهما يقول : (١) « للشعر أول لا يوقف عليه ، وقد اختلف فى ذلك العلماء ، وادعت كل قبيلة لشاعرها أنه الأول : فادعت اليمانية لامرئ القيس ، وادعت بنو أسد لعبيد بن الأبرص ، وادعت تغلب لمهلل ، وبكر لعمر بن قيس ، وإياد لآبى داود . »

(ب) والمعسكر الثانى يقرر أن بعضهم زعموا « الأفوه الأودى » أقدم من هؤلاء ، وأنه أشهر شعراء القصيدة ، وهؤلاء النفر المدعى لهم التقدم فى الشعر متقاربون ، ولعل أقدمهم لا يسبق الهجرة بمائة سنة أو نحوها .

تجميع :

ولعل خير ما أعقب به على هذه المعسكرات الثلاثة ، أن أجمل الإشارة

إليها فيما يأتي :

أما المعسكر الأول فقد قضيت على نظريته بالبراهين الحسابية ،
والأدلة الانسية ، ولمعرفة وجه الحق في نظرية المعسكرين الباقيين ، لابد أن
ننظر أولاً إلى عدد القضايا التي تضمنتها هذه الأحكام ، ثم نزنها بميزان هذه
النظرية ، التي كان لي شرف ابتكارها ، وتدعيمها ، وتطبيقها .

تضمن كلام عمر بن شبة « ما يأتي :

أولاً - أن المهمل وعمر بن قتيبة ، والمرقش الأكبر ، وأبادؤاد
وامراً القيس ، لا يسبق أقدمهم الهجرة بنحو مائة سنة .

ثانياً - أن هؤلاء متقاربون زمنياً ، لأن الزمن هو أساس الخلاف .

الثالث - أن عمر بن شبة لا يصدق من قرروا أن الأفود أقدم من هؤلاء
كما لا يسلم بأنه أول من قصد القصيد .

وسأبدأ بتحقيق زمن « مهمل » لأن الإجماع كاد ينعقد على أنه أول
من قصد القصيد ، وإلى كل باحث أسوق الحديث :

(١) مهمل بن ربيعة

ميلاده حوالي ١٨٠ قه (٤٤٨ م)

كاد الرواة بجمعون على أن « امرأ القيس بن ربيعة بن مرة » الملقب
بمهمل أول من قصد القصائد^(١) ، وقال الغزل ، وقد سرى ذلك إلى الشعراء
فقال الفرزدق .

ومهمل الشعراء ذاك الأول

وفي طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي : إنما سمي « مهمل » ، لمله

(١) الأغاني ج ٥ ص ٥٧ ، والشعر والشعراء ص ٩٩ والاشتقاق ٢٠٤ ، والفرزباني
٢٤٨ ، والآتي

شعره كهلالة الثوب وهو اضطرابه واختلافه ، وفي الصحاح : سمي «مهلهل» ،
لأنه أول من هلهل الشعر أى أرقه ، ولا يهمننا إلا (الأمر الأول) وهو
أنه أول من قصد القصيد ، (والأمر الأخير) وهو أنه أرق الشعر فما
حفظ الأمرين من الصدق ؟

تحقيق :

١ - (ا) بالرجوع إلى « شجرة ربيعة » يظهر لنا أن من « مهلهل » إلى
جده الأكبر « عدنان » ^(١) ٢١ جيلا .

(ب) ومتوسط الاجيال فى هذه القبيلة من عصر النبوة إلى
« عدنان » ٢٥ جيلا .

(فالفرق الأول) ٤ أجيال .

٢ - وبالرجوع إلى (دليل العشيرة) القربى لانجد لمهلهل نسلا إلا من
قبل « ابنته : ليلي » أم « عمرو بن كلثوم التغلبي » ، فلا يحصى أن نتقل منه
إلى سلالة أخيه « كليب » ، وكليب ليس له عقب إلا « هجرس بن كليب » ،
وبالرجوع إلى أخويهما الباقيين : « عدى » و « سلمة » لانجد لهما خلفا ! ^(٢)
فلم تبق لنا حيلة إلا أن نترك حفدتهم ، للعشور على طائفة من الصحابة
التغلبيين ، وهؤلاء لم أوفق إليهم ، فلا علينا بعدها أن نقيم شطر القبيلة
الأخرى : قبيلة بكر التى شقت عصا الطاعة على تغلب ، وثارت لحريتها ،
بل كرامتها بمصرع كليب أخى « مهلهل » ولكل جان مصرع !

فاخترت من بكر ثلاثة من عاصروا النبي ، ولو أنهم من « العشيرة البعدى »

(١) لأنه مهلهل بن ربيعة بن الحارث بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم
ابن تغلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن دغى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد
ابن عدنان

(٢) جمهرة بن حزم ٢٨٧

لمهل ، اكتشف بأن هاتين القبيلتين مجتمعهما أبوهما وائل أولا ، وأمهما
الكبرى ربيعة بعد ذلك ، وهؤلاء الثلاثة هم :

(١) (ثمامه بن أثال) وترتيبه في كتاب الإصابة (٩٦١) ومنه إلى وائل
أبي بكر وتغلب ١٣ جيلا .

(٢) من (شراحيل بن معبد) ومنه إلى وائل أبي بكر وتغلب ١٤ جيلا

(٣) من (خالد بن المعمر) وترتيبه في كتاب الإصابة (١٣٢١) ومنه
إلى وائل أبي بكر وتغلب ١٥ جيلا .

(١) فمجموع الأجيال لهؤلاء الصحابة الثلاثة ٤٢ جيلا متوسطها
١٤ جيلا .

(ب) وبالعودة إلى (مهل) نجد منه إلى وائل أيضا ١٠ أجيال .

(فالفرق الثاني) بين العديدين الآخرين - وهو الذي فات فيه هؤلاء
الصحابة مهلا - ٤ أجيال .

وقد سبق أن (الفرق الأول) بين مهمل وعدنان ، وبين متوسط أجيال
الصحابة إلى عدنان ٤ أجيال .

فتوسط العديدين الآخرين ٤ أجيال .

مدتها $4 \times 36 = 144$ سنة ، لأن متوسط عمر الجيل في ربيعة ٣٦ سنة

أي إن عمر مهمل وهو ابن ٣٦ سنة كان سنة ١٤٤ قبل الهجرة (٤٨٣م)
وميلاده حوالي ١٨٠ ق هـ (٤٤٨م) .

بين مهمل ونهشمر بن هباب :

وقد كانت المدة من عمر مهمل بين الثلاثين والأربعين حافلة بشتى
الغارات بين كليب ومهل وأبيهما ربيعة ، ومن ورائهم بكر وتغلب من
ناحية ، وزهير بن جناب ومذحج وكثير من قبائل البين من ناحية أخرى ،

وأشهرها بالترتيب الزمني ١ - غارة (زهير بن جناب) ومعه (ابن خذام) على مهلهل وقومه لسكرتهما وجدا في مهلهل وأخيه وأبيه وقومه يقظة ، فاكثفهما من التخميمة بالإياب ، وذلك قبل حكم زهير ، فطاردهما مهلهل ، وقال مشيرا إلى « ابن خذام » ، ملقبا إياه بالهجين .

لما توقع في السكراع « هجينهم » هلملت أثار « جايرا » أو « صنبل » ، وقد نقل الميوطي^(١) عن « ابن دريد » أن طائفة من الشعراء غلبت عليهم ألقابهم بشعرهم حتى صاروا لا يعرفون إلا بها ، ثم ساق منهم « مهلهل » وقد سمي به لهذا البيت ، فيحسن أن يضم هذا التعليل إلى التعليل الثلاثة السابقة في صدر هذا البحث .

٢ - واشتباك الفريقين بعد موت (ربيعة) وقد انجلى عن أسر (كليب) « ومهلهل » وكثير غيرهما وقد قال في هذا « ابن جناب » :

أين أين الفرار من حذر الموت إذ يتقون بالأسلاب
فهم منا « مهلهل » و « أخاه » « وابن عمرو » في القيد و « ابن شهاب »
وسيدنا من تغلب كل بيضا « كنور الضحى » ، برود الرضاب

٣ - يوم خزانة :

وبعد هذا الاشتباك سجل التاريخ يوما خالدا من أيام العرب ، وهو (يوم خزانة) فهو أعظم أيامهم بعد يوم ذي قار إذا كان الأول أول يوم انتصف فيه العدنانيون من اليمنيين ، فقد كانت الين قاهرة لها في كل يوم اتقوا فيه حتى كان هذا اليوم ، فانتصرت فيه معد ، ولم تزل لها المنفعة إلى أن جاء الاسلام ، كما كان (يوم ذي قار) بعده أول يوم انتصفت فيه العرب عامة ، من دولة أجنبية هي الفرس .

ويقول ابن الأثير (١) : « إن ملكا من ملوك اليمن كان في يديه أسرى من ربيعة ومضر وقضاعة ، وأنا أقرر أن هذا الملك هو (زهير بن جناب الكلابي) الذي كان ملك حمير أقاموه ملكا على بكر وتغلب الربيعين . فلما سمعت عشائر الأسرى أنه يقول : ايتوني برؤساء قومكم لأخذ عليهم الموائيق بالطاعة لي ، وإلا قتل أصحابكم ، ثارت ثارتهم ، كما هيبت آساد غضابا ، فاجتمعت معه على « كليب » فجعل على مقدمته « السفاح التغلبي » وأمرهم أن يوقدوا نارا على جبل خزازي (٢) ، ليهتدي بها من يريد الانضمام إليهم ، فإن غشيهم العدو فليوقدوا نارين ، فلم يكد كليب يراها حتى زحف بالعدنانيين ، فصبح مذحجا ومن معهم من قبائل اليمن ، فخم القتال ، وزلزل الزلزال ، فلم يلبث اليمنيون أن ولوا منهزمين ، بقيادة زهير بن جناب أما تغلب وبكر : الخيان الشقيقتان ، أكبر بن ربيعة ، فوجدوا أن أحسن ما يكافأ به كليب لهذا النصر المؤزر ، أن يختاروه ملكا ، وبهذا خرج بنو وائل من ربيعة الاستعباد الخارجى إلى ظلال الحرية والكرامة ، فسار على ذلك زمنا حتى نفخ للشيطان فى أوداجه ، فاستولى عليه الغرور ، فكان كالباحث عن حشفة بظلمه ، فلقى مصرعه ! وسنه حوالى ٥٥ سنة لأكثر ، ويدل عليها قول أخيه مهمل فى إحدى مرثياته :
إن تحت الأحجار حرما وعزما وقتيلا من الأراقم (كملا)
والسكمل من جاوز الرابعة والثلاثين إلى فوق الخمسين .

مرب البهموسى ٤٩٧ م

وليس يهمننا من هذه الحرب أنها أطول وأقدم ما سجله المؤرخون من الحروب بين العرب كافة ، أو أنها كانت مسرحا كشف عن بطولة مهمل ، فهو لم يكن بالبطل المغوار ، ولا المحارب الفذ ، ولا السياسى المحنك مما أتاح الفرصة لغرمائه البكريين أن يتجمعوا ، وأن يعود إلى صفوفهم الرجل

(١) تاريخ ابن الأثير ج ١

(٢) خزازى أو خزاز هو كما يقول الهمداني جبل بالعالية من حمى ضريبة بين البصرة ومكة

الحكيم « الحارث بن عباد » وكان قد اعتزلهم بعد قتل كليب ، مستعظما أن يقتل كليب في ناقة !! ، وأن ينتهي أمره بالفشل بل بالأسر .

إنما يهمنا منها أنها كانت فرصة ذهبية للشعر العربي في الجاهلية ، فتفجرت مواهب كثير من الشعراء بأصدق الشعر وأروع ، فأضافوا إلى الآداب العربية ثروة ، ليس لها نظير فيما كثر من أيامهم ومواقعهم ، وقل أن نجد قصيدة قبلها بلغت الثلاثين أو جاوزتها ، إلا ما كان من قصيدة لقيط الياذى (١)

وما لاشك فيه أن مهلهلا في هذا الميدان كان أروعهم ؛ لأنه كان أجفهم ، لهذا نجد في شعره ما لا نجده في شعر السابقين ، وهل كان للعرب « كليب » قبل ملك ربيعة ! أو لمعد « ملك » قبل أخى مهلهل !

(١) مما يدل على أنه أول من رقق الشعر حقاً وهلهله قوله - من يحزن الكامل - وقد رأى الاميرات والعدارى يخرجن من بيت الملك صارخات ناديات :

كنا نغار على العواتق أن ترى بالأمس خارجة عن (الأوطان)
(٢) وبعد دفن أخيه قام على قبره يرثيه بقصيدة في ٣١ بيتاً - من الوافر - مطلعها :

أهاج قصيدة عيني الادكار هدى فالدروع لها انحدار!
(٣) ومن أروع قصائده تلك التي كان العرب يظلمون عليها الداهية ، وهي أولى المتنقيات السبع في ٣٧ بيتاً من السريع ، ومطلعها :

جارت (بنو بكر) ولم يعدلوا والمرء قد يعرف قصد الطريق
(٤) وفي حموة الفجيجة ، خشي أن يتذكر الناس تلقيب أخيه كليب إياه بزير النساء ، أو أنه سيغفل عن الثأر ، فجمع أطراف قومه ، وجزنا صيته ، وقصر ثوبه ، وآلى على نفسه ألا يشم طيباً ، ولا يشرب خمراً ، ثم خاض غمرات الحرب ، فكان من أعظم الوقعات (وقعة الذنائب) ؛ ثم (واردات) فانتصر

مهمل وفومه انتصارا دامتعا ، فقال مفتخرًا - من الوافر :-

أليمتنا بنى محسم أنيرى إذا أنت انقضيت فلا تحورى
ومنها فإن يك « بالذئائب » طال ليلى فقد أبكى من الليل القصير
وهي أكثر من ٣٠ بيتًا ، وغير هذه القصائد كثير أودع في ديوانه ،
وحسبه أنه من أقدم دواوين الشعراء . بمد ديوان لقيط الإيادى

الحصاد :

الآن وقد تم ما أردت فى أمر مهمل الشاعر ، يحسن بى أن أجهل نتائج
البحث فيما يأتى :

١ - كان « مهمل » فى الأربعين من عمره ، قبل الهجرة بنحو ١٤٠ سنة ،
فهو ليس بأقدم الشعراء ، ولا بأسبقهم قصيدا ، إذ قد سبقه كثير ، مما
تردد العلماء قديما فى حقيقة قدمهم ، مثل « ابن خدام » و « زهير بن جناب »
و « الأفوه الأودى » . ثم « لقيط الإيادى » صاحب أطول قصيدة قديمة

٢ - وتلقب مهمل بهذا اللقب لم يكن لأنه أول من قصد القصائد ،
بل لقب به إما بالبيت :

لما نعر فى الكراع « هجينهم » « هلمت » أنار جابرا أو صنبلا

كشأن كثير من الشعراء . الذين اشتهروا بألقاب انتزعت من أشعارهم ،
وإما لأنه أول من همل الشعر أى أرقه ، وقد برهنت على هذه الرقة
التي تضمنها كثير من شعره فيما اخترته منه ، فليس صحيحا ما نقله الجمحى
أنه سمي مهملا لهمله شعره ، أى اضطرابه واختلافه .

٣ - وحرب اليسوس اشتعلت نيرانها ومهمل قارب الخمسين من عمره ،
أى حوالى سنة ٤٩٧م

ثم انطفأت جمرتها بعد أربعين سنة ، ومهلل في نحو التسعين من عمره سنة ٥٢٧ م .

٤ - ويدل على دقة هذا التقدير ، أنه بعد أن تفانى الحيان : « تغلب » أسرة كليب ومهلل وه بكر ، أسرة جساس وهمام بن مرة ، رأى « الملك المنذر بن ماء السماء » أن يصلح بينهما ، فتم له ما أراد ، كما قرره ابن الكلبي ، والمنذر تولى حكم المخميين من سنة ٥١٤ - ٦٣ م .

فليس بصحيح ما رآه « أبو عمرو الشيباني » أن الذي تولى هذا الصالح « عمرو بن هند » الذي حكم من ٥٦١ م فالتقطه بعض المؤلفين دون تحر

٥ - وقد كانت وفاة « امرئ القيس سنة ٥٥٩ م بعد وفاة خاله « مهمل » « بنحو ٢٢ سنة » ، فكان مهمل لما مات ، كان شاعر كندة في نحو الثامنة من عمره ، وهذا من الأسباب التي جعلته لا يذكر حرب البسوس وضحاياها وأهوالها ، فوق أن آل كندة آثروا أن يلتزموا الحياد ، بين الحيين الشقيقتين ، لأنها مسألة داخلية ، ليس من السكياسة تأجيج نيرانها ، وتسعير جحيمها ، في الوقت الذي يجدون فيه النزاحم شديدا بينهم وبين المناذرة .

لهذا لا تجد في ديوانه دمعة مسكوبة ، أو زفرة مشبوبة ، أو بيت رثاء في أخواله .

(٢) عمرو بن قميئة (١)

ميلادة سنة ١٨٠ ق هـ ٤٤٨ م

(دليل النسب) يدل على أن منه إلى عدنان ٢٢ جيلا .

(١) هو عمرو بن قميئة كسفية ، وأخطأ الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية إذ حذف الياء ، وجده سعد بن مالك ، وفي بعض الروايات ابن ذريح بن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن علي بن بكر بن وائل .

و (دليل الصحابة) يدل على أن متوسط أجيال ربعة من عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا، فنه إلى عصر الصحابة ٤ أجيال؛ مدتها $4 \times 36 = 144$ سنة فابن قتيبة في سن السادسة والثلاثين كان قبل الهجرة بنحو ١٤٤ سنة، فيلاده كان قبلها بست وثلاثين سنة أى نحو ١٨٠ سنة (٤٤٨ م) .

فلو أنه عاش ٦٠ سنة لا غير لكانت وفاته حوالى سنة ١٢٠ ق هـ (٥٠٦ م) ولكن الرواة ومنهم السجستاني (١) قرروا أنه عاش ٩٠ سنة ، وانفقوا على أنه لا يعد من المعمرين إلا من بلغ ١٢٠ سنة أو جاوزها .

وقرروا من جهة أخرى أنه فى أواخر أيامه ، مر بقبيلته ربعة « امرؤ القيس الشاعر » بعد مصرع أبيه للاستنجد بهم . ولدى جلوسه بينهم أراد أن يسرى عن نفسه فسألهم :

هل فيكم من يقول الشعر ؟ فأجابوا : ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره ، فطلبه ، فأتوا به ، فاستنشده ، فأنشده ، فأعجب به ، وقال :

ألا تركب معى إلى الصيد ؟ فقال عمرو :

شكوت إليك أنى ذو جلالة وأنى كبير ذو عيال مجنب

فاكتفى بمجالسته (٢) ، ويقرر بعض الرواة أنه رحل معه أخيرا إلى « قيصر : جوسنيان » فمات فى الطريق ، فسمته العرب « عمرو الضائع » لموته فى غربة ، وفى غير أرب ولا مطلب .

وقد قررت فى إيضاحى مبلغ أقدمية « امرئ القيس » ، أنه توفى حوالى سنة ٥٤٩ م ، والبعد بين ميلاد ابن قتيبة الذى قدرته له هنا ، أى ٤٤٨ م وبين سنة ٥٥٩ م التى توفى فيها شاعر كندة يبلغ ١١١ سنة .

وعمر ومات قبل موت امرئ القيس ببضع سنوات ، فلنفرضها

(١) كتاب المعمرين ص ٨٩ رقم ١٠٩

(٢) الاغانى ج ١٦ : ١٦٦

سبعاً ، فيكون موت ابن قتيبة كان حوالي ٥٢ م . وبذا يتبين أنه جاوز المائة ، وبلغ من العمر نحو ١٠٤ من السنوات .

شعره :

- ١ - لم يختلف الرواة في أنه من شعراء القصائد .
- ٢ - وأن أكثر شعره عدا عليه الضياع .
- ٣ - ومن أروع شعره قوله وقد طال عمره ، وشعر بفداحة عبء الحياة :
رمت بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليد برام !!
- ٤ - وقد صرح في شعره أنه جاوز التسعين في قوله :
كأن وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى سدار الجامى
فليس بصحيح زعم من زعموا أنه عاش ٩٠ سنة ، بل جاوز المائة

(٣) أبو دؤاد الإيادي

مولده حوالي ٢٢٣ ق هـ (٤٠٦ م)

حاولت تطبيق (دليل النسب) لأهتدى إلى قدم أبي دؤاد ، فأعياني تطالبي ، ووجدت من المستحيل أن أعثر على نسبة كاملاً ، إذ كل ما ذكره الأمدى أن أبا دؤاد ، اسمه جويرية بن الحجاج ، من حى من إياد يقال له « يقدم » وهو الشاعر المشهور الذى يقول :

وكان « الطيالسى » أوجز تعريفاً ، ولدى « الأصمعى » أنه حنظلة بن الشرقى ومثله « ابن قتيبة » (١) ولم أجد من استوعب نسبة أكثر من غيره إلا أبا الفرج الأصفهاني (٢) ، فانه قال :

هو حائلة بن الحجاج : «حوران» بن بحر بن عصام بن منبه بن حذافة
ابن زهير بن إباد بن نزار بن معد بن عدنان ، وهو لم يذكر هنا من نسب
أبي دؤاد إلا ١١ جيلا ، وهي أقل من نصف العدد المتوسط من عدنان إلى
عصر النبوة ، لأن هذا المتوسط ٢٢,٦٥ جيلا .

فلا معدى إذن من تحقيق الموضوع بدليل السجلات الملكية ، ودليل
المعاصرة ، وقد اجتمع الدليان في ملوك أربعة هم بحسب الأقدمية :
« المنذر بن النعمان الأعور ملك المناذرة » وقد كان « أبو دؤاد ،
على خيله (١)

و « المنذر بن ماء السماء » وقد كان أبو دؤاد جاره (٢)

و « قباذ بن فيروز » و « حجر بن الحارث » أبو امرئ القيس شاعر
كندة ، فقد كان ابنه من رواة أبي دؤاد .

وكان دليل السجلات الملكية أدق في الدلالة على تعيين هؤلاء من
دورة الفلك الزمانية ، فقد أرشدتنا هذه السجلات في بلاط المناذرة إلى
أن « المنذر بن النعمان » حكم من ٤٣١ - ٤٧٣ م ، و « المنذر بن ماء السماء »
- وهي أمه - ابن امرئ القيس ذى القرنين - وهو أبوه - حكم من ٥١٤ م
وفي بلاط الأكاسرة أفادت سجلاتهم أن « قباذ » أبا كسرى أنوشروان ،
قبض على صولجان الملك من ٤٨٨ - ٥٣١ م ، وترى هذه التواريخ في جدول
الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ، وعند بحثك في صفحة ٣٠ منه كذلك ،
تجد ملوك كندة لقي مصرعه سنة ٥٥٠ م وبرجوعك إلى صفحة ٨٤ ، تجدني
أثبت أن ابنه : شاعر كندة ، توفي ٦٣ ق هـ (٥٥٩ م)

النتيجة :

بترديد النظر في هذه التواريخ تجد ما يأتي :

(١) الشعر والشراء ، ص ٦٩ ، والاغاني ، ١٥٠ ، ومجمع الامثال ج ١ عند ذكر
المثل « أنا المنذر المريان » (٢) المراجع المذكورة هنا

١ - أكثرها إيفالا في الجاهلية « المنذر بن النعمان » فقد بدأ حكمه سنة ٤٣١ م ، وأحدثها عهدا وفاة امرئ القيس ، فقد أثبت أنها كانت سنة ٥٥٩ م ، والمدة بين هذين الزمنين ١٢٨ سنة ، ولم أعثر على أن أبا ذؤاد من المعمرين حتى كان يصلح له هذا العمر ، فلو أنه عاش حوالى ٧٠ سنة ، وانطلقا مصباح حياته حوالى مصرع « حجر أبي امرئ القيس » أى فى نحو ٥٥٥ م لكان ميلاده حوالى سنة ٤٨٠ م « ١٤٧ ق هـ » ومعنى هذا أنه لم يعاصر المنذر بن النعمان ، ولكن المراجع دلتنا على أنه عاصره ، لأنه كان مذكورا على إدارة خيله ، وأنه أدرك خمس سنوات من حكم هذا العاهل أى اتصل به سنة ٤٢٦ م فلا مفر من مراعاة هذا ، ومراعاة أن امرأ القيس كان من رواته ، وهو فى سن العشرين أى سنة ٥٤٩ م وأنه عاش نحو ٢٠ سنة قبل أن يشرف على خيل المنذر بن النعمان .

ونتيجة لهذه الموازنات نجد ميلاد «أبي ذؤاد» حوالى ٤٠٦ م «٢٢٣ ق هـ» ووفاته حوالى ٥٤٩ م (٧٦ ق هـ) فيكون عمره بالسنين القمرية ١٤٧ سنة ، وبهذا يثبت أنه من المعمرين ؛ وليس من الضروري أن يذكره السجستاني منهم لأنه لم يستوعبهم .

صنعة الشعرية :

اتصال «أبي ذؤاد» بالأكسرة والمناذرة ، وانتظامه فى سلك الموظفين بالخاصة الملكية لدى ملوك الفرس ، وتنعمه بترف القصور ، ولين العيش فى ظلالهم ، لا بد أن يكون قد أضفى على شعره كثيرا من الرواء والرواق ، وأكسبه كثيرا من الرقة والصقل ؛ بجارة الحضارة البيثية إذ ذاك . ولا بد فوق هذا من أنه قد حدثته نفسه بالتجديد فى الشعر العربى ، وبند التقاليد البالية ، التى يقدها المحافظون فى كل زمان وكل أمة ، ونتيجة هذا أن يشور عليه زعماء المحافظين ، وينفروا منه ، ويرموا شعره بكل نقيصه ، أو يعملوا على إيماته ، فهل ورد فى تاريخ الأدب ما يثبت كل هذا ؟

نعم ، فقد قص علينا « أبو الفرج الأصفهاني » (١) أن الرواة كانوا لا يروون شعر « أبي دؤاد » ولا شعر « عدى بن زيد التميمي » ؛ لمخالفتهم مذهب الشعراء .

إذن كان « أبو دؤاد » من الشعراء المجددين ؛ وكان يخالف مذهب المحافظين من الشعراء فيما وجدوا عليه آباءهم ، جملة وتفصيلا ، وفي اللفظ وفي الأسلوب وفي المذهب ، وفي الفكرة .

الأغراض الشعرية التي نبغ فيها

وإذا رجعنا مرة أخرى إلى تاريخه الذي أشرت إليه هنا ، نجد في شبابه كان يشرف على إدارة الركائب الملكية (٢) في بلاط الأكرسة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالفروسية ، ومن الفرسان الممتازين ، بل من خبائهم ، وهذا - من غير شك - هو الذي جعله أهلا لهذه الثقة الملكية السامية الغالية ، وقلده هذا العمل الفنى الذى اشتهر به فرسان العرب ، فإذا راعينا مع هذا أنه كان شاعرا ، وأنه مرهف الحس ، وأنه من المجددين ، وأن الترف مما يفجر ينابيع النبوغ لبعض الأغراض ؛ كما أن البؤس يفتح آفاقا للشكوى من الزمان ، تبين لنا أن الأغراض التي نبغ فيها ، لا بد أن تمت إلى ما في بيئته بأقوى صلة ، فهل في آثاره الشعرية ما يؤكد استنباطي ؟

نعم . فقد أجمعت المصادر الأدبية والتاريخية أن أبا دؤاد كان آية في وصف الخيل ، ولهذا قرر « الأصمعي » أن ثلاثة كانوا يصفون الخيل ، لا يقاربهم أحد : « طفيل الغنوى » و « أبو دؤاد » و « النابغة الجعدي »

بل قال محمد بن العباس اليزيدي : لم يصف أحد قط الخيل ، إلا احتاج إلى « أبي دؤاد » .

(١) الاغانى > ١٥ : ٩٦

(٢) يشبه في هذا جد المرحوم أحمد حسنين باشا في عهد الخديوية

هناكهم :

ولم يفت « أبا ذؤاد » أن يكون حكيما في شعره ، وحسبك أن الخطيئة جعله أشعر الناس عندما سئل : من أشعر الناس ؟ فقال الذي يقول :
لا أعد الإقتار عندما ولكن فقد من قدر زئمه الاعدام (١) !

فأبهر شعره أوه ؟

ندر أن يزيد ما اختاره له المؤلفون القدامى على ستة أبيات ، فما السبب ؟
مع أنهم قد حكموا أنه من شعراء القصيد ! لا سبب إلا تعصب الرواة ، وحقد المحافظين ، وحسبك من شر سماعة ،

(٤) الأضبط بن قريع (٢)

ميلاده حوالى ٢٥٨ ق هـ (٣٧٢ م)

من مفاخر بني تميم أن يمثلهم في ركب الشعراء الجاهليين « الأضبط بن قريع المزروعى » بن شعراء القصائد ، و « المستوغر بن ربيعة » من شعراء المقطعات ، وقد تقدم الشارح في القسم الثانى وهو المختص بالمقطعات ، صفحة ١٣٨ من هذا الكتاب .

أما « الأضبط » فقد نظم الرواة بن شعراء القصيد ، الذين كانوا أول من زوى لهم كلمات تبلغ الواحدة منها ثلاثين بيتا من الشعر ، وهم : مهمل و ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، وضمرة بن بكر السكتاني ، والأضبط

(١) الشعر والشعراء ص ٦٩

(١) هو الأضبط بن قريع بن مزروع الأصغر : « مالك : عوف » بن مزروع الأكبر : « كعب : عوف » بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

هذا (١) ، ثم استأنف ثعلب كلامه فقال :

« وكان بين هؤلاء وبين الإسلام ٤٠٠ سنة ، وكان « امرؤ القيس »
بعد هؤلاء بكثير . »

كيف هفت أقرمينه ؟

برهن (دليل النسب) على أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا ،
ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى عدنان - وهو دليل الصحابة -
٢٥ / ١٩ جيلا ، فن الأضبط إلى دليل الصحابة ٢٥ ر٤ أجيال .

دليل العشرة :

وفي دليل العشرة الأقربين ، عمدت إلى « المزارعة » عشيرة الأضبط ،
وعشيرتي ، فاخترت منهم خمسة من صحابة النبي ﷺ ، وهم صمصمة بن معاوية
وجارية بن قدامة ، وربيع بن مالك ، وزباد بن هوذة ، والحريش بن دلال ،
فوجدت جملة أجيالهم إلى عدنان ١٠٠ جيل ، متوسطها ٢٠ جيلا ، لكل صحابي
منهم ، وقد تقدم أن من الأضبط إلى عدنان ١٥ جيلا فهم يفوتونه في
النسب إلى عصر النبوة بخمسة أجيال - بحسب الواقع - وكنت من قبل
جعلت منه إلى عصر النبوة ٢٥ ر٤ أجيال - نظريا - فجموع الفرقين ٢٥ ر٩
أجيال متوسطها ٦ ر٤ أجيال ، مدتها ٤٦ × ٤٦ = ٢١١٦ سنة ، أي
إن الأضبط في سن السادسة والأربعين كان قبل الهجرة بنحو ٢١٢ سنة ،
فميلاده كان سنة ٢٥٨ ق هـ ٢٧٢ م فلا يضيرنا بعد هذا أكان من المعمرين
أم من غيرهم ، وأن يقرر السجستاني أنه ، أت في آخر الزمان بعد عده من
المعمرين (٢)

(١) مجالس نعل ٤٧٩

(٢) كتاب المعمرين ص ٨ رقم ٨

أشعاره الأدبية :

إذا كان الرواة قد قرروا أنه ممن زوى لهم كلمة شعرية تبلغ ثلاثين بيتاً، وكان هذا في العصر العباسي ، فإن تطاول الأمد بيننا وبينهم قد ضل علينا أن تصلنا هذه الكلمة ، ولو وصلت إلينا لوجدنا فيها ما يسمح بالحكم لمنزلة الشعرية ، أو عليها ، وقد حاولت العثور على ديوان له في دار الكتب المصرية فلم أجد ، فلا مناص بعد هذا من أن أقدر أن « ابن قتيبة » (١) وغيره سجلوا أنه القائل :

أذ ود عن نفسه ويخذهني !! يا قوم من عاذري من الخدعة (٢)
وأن أول الشعر :

لكل ضيق من الأمور سعة والمسي والصبح لا فلاح معه
فصل حبال البعيد إن وصل الحب - ل وأقص القريب إن قطعه
إذن كان الأضبط من شعراء الحكم ، ولم أعثر على شاعر أقدم منه ، أو أمثله في كثرتها ، فأكثر الشعراء بعده عالة عليه في هذا الغرض ، ولن يستطيع أن يصدر هذا الحكم الجريء إلا نظريتي ، التي وفقني الله إليها .

(٥) امرؤ القيس

ولد حوالي ٩٦ ق هـ (٥٢٩ م)

أما « امرؤ القيس » فقد أثبت في صفحة ٤٢ من هذا الكتاب أن وفاته كانت ٥٥٩ م (٦٣ ق هـ) وديوانه المتداول بين أيدي الأدباء يدل على أنه من

(١) الشعر والشعراء ص ١٤٤

(٢) الخدعة ، كثير الخداع والنبس الامر على صاحب الاقائني في الجزء ١٦ فقرر أن الخدعة هنا قوم من بني تميم وليس بصحيح لأن الخدعة في البيت واحد دل عليه الضمير ، والخدعة من بني تميم جماعة هم عند الدقة أولاد كعب : « مزرع الاكرم » بن سعد بن زيد مناة ابن تميم ، وأنا أعرف الناس بعشيرة ورب الدار أعرف بمن فيها

شعراء القصائد ، بل أمير الشعراء الجاهليين ، فتصفحه إن شئت ، وحسبه أن يرجح الدكتور طه حسين أنه أقدم الشعراء الذين يروى لهم شعر كثير ، ويتحدث الرواة عنهم بأخبار كثيرة (١)

(٦) عبيد بن الأبرص (٢)

ولد حوالي ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م)

المنظرة الأولى إلى ما نسب إليه من شعر في مغرب حياته ، تدل على أنه عاش أكثر من ٢٢٠ سنة ، ويؤخذ هذا من قوله - من بحر الكامل - :
 مائتي زمان كاملين وبضعة عشرين عشت معمرًا محمودا
 أدركت أول ملك نصر ناشئا وبناء شدداد وكان أبدا
 وطالبت ذا القرنين حتى فاني ركضا وكدت بأن أرى داودا
 ما ينفي من بعد هذا عيشة إلا الخلود وهل تنال خلودا (٣)
 وقد أشار في هذه الأبيات إلى :

١ - أنه عندما قال هذا الشعر ، متبرها بالأيام لطول عمره كان ابن ٢٢٣ سنة على الأقل .

٢ - وأنه عندما كان غلاما ناشئا أدرك أول ملوك نصر اللخمين .

٣ - وكان يدرك ذا القرنين وداود عليه السلام .

فأما بلوغه من السن نحو ٢٢٣ سنة على أقل تقدير عندما قال هذا الشعر ، ففيه مبالغة ، تكاد تبلغ ضعف العمر الحقيقي ، لأكثر المعمرين ، لهذا سأتركه مؤقتا حتى ننتهي من الدعويين الباقيتين :

والدعوى الثانية أنه كان غلاما لما أدرك أول ملوك اللخمين .

وبتصفح جدول هؤلاء الملوك صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ، نجد أن أول ملوكهم عمرو بن عدى بن نصر اللخمى ، حكم من ٢٦٨ م ٣٦٥ ق هـ .

(١) في الأدب الجاهلي ص ٣٠٤

(٢) أخبرتنا جهرة ابن حزم أنه عبيد بن الأبرص بن شهم بن عامر بن هريرة بن مالك ابن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان ، ودانتى شجرة الاسباب التي جمعتها على أن دودان ابن أسد بن خزيمية بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

(٣) كتاب المعمرين صفحة ٦٠ رقم ٥٩ ، وبلغ الأرب ج ٢ : ٢٨١

فلو أنه كان ابن عشر سنين إذ ذاك ، لكان ميلاده حوالى ٢٥٨ م (٣١٥ ق) ، واعتادا على أنه عاش بعد مصرع 'حجر الكندي' ، بيد بنى أسد سنة ٥٥٠ م ، بل لقي حنفة أيام المنذر بن امرئ القيس ملك الحثم - أى بين ٥٥٠ (٥٦٣ م) أى حوالى سنة ٥٥٦ م ، نجد أن «عبيدا» عاش من ٢٥٨ - ٥٥٦ م أى نحو ٢٩٨ سنة ١١ .

وهذا بعيد لا يتصور العقل ؛ ويأباه العرف ، فوق أنه يزيد على ما قدره لعمره عند شكوى طوله بمراحل ؛ ولو أنه قريب من العمر الذى رواه له السجستانى ؛ إذ جعله ٢٢٠ سنة أو ٣٠٠ سنة ؛ بل أقل مما نقله ابن قتيبة (١) وهو ٣٠٠ سنة .

٣ - والدعوى الثالثة أنه كاد يدرك « ذا القرنين » و « داود » ولاداعى لبحث زمنهما لأنه لم يدركهما باعترافه ؛ فما حقيقة عمره ؟ . استفتيت « دليل النسب » و « دليل المعاصرة » ، وفيما يأتى ما أرشدا إليه :

دليل النسب

بالرجوع إلى شجرة أنساب بنى أسد ، رهط عبيد ، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلا . ومتوسط الأجيال لقبيلته من عصر النبوة إلى عدنان ١٩,٦ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة ٢,٦ من الأجيال ، مدتها ٢,٦ × ٤٦ = نحو ٢٢٠ ق هـ (٤٠٩ م) .

وهذا عندما كان فى السادسة والأربعين من عمره - لأن الجيل عند بنى أسد ٤٦ سنة - فيلاده كان قبل هذا الزمن بنحو ٤٦ سنة أى سنة ٢٦٦ ق هـ (٤٤٣ م)

ولمعرفة مقدار عمره ، لابد من معرفة سنة وفاته .
ولا سبيل إلى ذلك إلا باستفتاء (دليل المعاصرة) فإذا يرشد إليه
هذا الدليل ؟

دليل المعاصرة :

أفادنا هذا الدليل أن « عبيد بن الأبرص » كان يعاصر ملوكين مشهورين
وامرأ القيس الشاعر .

ا - الملك الأول هو « حجير الكندي » أبو « امرئ القيس » الشاعر ؛
وكان علي بن أسد قبيلة « عبيد » وهذا الملك لقى حتفه على يد هذه القبيلة
سنة ٥٥٠ م (٧٥ ق هـ)

ب - وملك الحيرة : « المنذر الثالث بن امرئ القيس » ، وهذا قد
غربت شمس حياته سنة ٥٧٨ م (٤٤ ق هـ)

ج - أما امرؤ القيس فقد أثبت أنه توفي سنة ٥٥٩ م .
وأجمعت المراجع المختلفة على أن عبيدا قتل قبل موت امرئ القيس
ببضع سنوات ، أى حوالى سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

ر . ب .

بعد هذا يسهل علينا أن نعرف عمر عبيد ، بعد أن أرشدنا دليل النسب
إلى أن ميلاده سنة ٢١٢ ق هـ (٤١٧ م) وهذا دليل المعاصرة إلى أن
مصرعه كان سنة ٥٥٢ م (٧٣ ق هـ)

فعمره = ٥٥٢ - ٤١٧ م أى نحو ١٣٥ سنة بالتقويم الشمسى ، ونحو
١٤٠ سنة بالتقويم القمرى .

المباذ في تقدير عمره :

فليس بصحيح ما تضمنه الشعر المنسوب إلى عبيد ، أنه عاش أكثر من

٢٠٠ سنة، وبضع وعشرين سنة!! ولا ما أخبرنا به « السجستاني » أنه عاش ٢٢٠ سنة ، أو ٣٠٠ سنة . ولا ما سجله « ابن قتيبة » أنه عاش أكثر من ٣٠٠ سنة ! إذ هذه الأقوال تنافض تمام المناقضة ، عمره الذي جمع طرفيه دليل النسب ودليل المعاصرة ، فوق أن هذا العمر الذي حدده الشعر ، والسجستاني وابن قتيبة ، وأضرابهم لا يقره عقل ، ولا يحيزه عرف ، ويأباه الطب الحديث والصحيح الذي يؤيده المنطق ، ويسنده دليل النسب . ودليل المعاصرة . ودليل السجلات الملكية ، ويزكيه الطب الحديث ، ويناصره العرف العام هو أن عبيد بن الأبرص عاش حوالي ١٤٠ سنة بالتقويم الهجري ، وكانت وفاته سنة ٣٠٠ ق هـ (٥٥٢ م) .

ديوانه شعره :

منه نسخة مطبوعة في ليدن سنة ١٩١٣ ، رقم ٣١٣١ أدب في دار الكتب المصرية ، والدكتور طه ينكره إلا قليلا (١)

شفا: عبيد بن قيس بن أسد :

وما يدل على أن « عبيدا » كان ذا منزلة ممتازة ، وأن الشعر في الجاهلية كان ينال من الأهداف ما تعجز عنه الأسنة والرماح ، ما قصته علينا المراجع التاريخية والأدبية ، من أن « حجرا أبا امرئ القيس » غضب على بني أسد — رعاياه — فقتل بعضهم بالعصا — فسموا عبيد العصا — وأسر من بينهم طائفة أخرى ، منهم « عبيد » ، فقام بين يديه ضارعا معذرا قائلا من قصيدة :

يا عين ها فابكي بني أسد هم أهل الندامة
أهل القباب الجروا له نعم المؤبل والمدامة

ومنها :

في كل بلاد بين يثـ رب والقصور إلى القيامة
تطريب عان أو صياح محرق وزقاء هامة
أنت المليك عليهم وهم العبيد إلى القيامة

فحفا عنهم ملك كندة ، رحمة بهم ، وتأثرا برائعة شاعرهم ، وردهم إلى بلادهم وفي أنفسهم ما فيها ، فلم يمض غير قليل حتى ركب بنو أسد كل صعب وذلول ، فما أشرق لهم الضحى ، حتى انتهوا إلى حجر ، فوجدوه نائما ، فذبحوه غيلة ! فثار الشر بينهم وبين بني كندة وعميدهم « امرئ القيس » وتوعدهم بقوله :

والله لا يذهب شيخى باطلا حتى أبيد (مالكا) و (كاهلا)

فرد عليه عبيد بقصيدة منها :

ياذا المخوفنا بقتـ ل أبيه إذلالا وحينما
أزعمت أنك قد قتلـ مت سرائنا !! كذبا ومينا (١)

وكأن الأقدار أثبت على عبيد إلا أن يشرب بالكأس التي جرعها
« حجرا » ! فلقى مصرعه على يد ملك الحيرة أو لكل جان مصرع !

على بر من طام منصرع عبيد ؟

لم تكتف المراجع المختلفة بذكر ما يعقل وما لا يعقل ، بالنسبة لاهول عمره ، إلى درجة أقرب إلى الخيال من الحقيقة ، بل اختلقوا كذلك في ذلك البلاء الذي نزل بذلك الشاعر الزعيم النابغة ، فعصف بجيانه ، وحرم بنى أسد شاعرها الغرير ، وزعيمها الصندي ، لا لذنوب جناه ، ولا لجرم اقترفه ، بل

(١) عند الدكتور طه أن قراءة هذه القصيدة توحى أنها من عمر القصاص . وعند ذلك أن كل شعر امرئ القيس المتصل بشعر عبيد ، منقول كشعر عبيد ! ص ٢٢٠ في (الأدب الجاهلي)

إشباعاً لشهوة صارت قانوناً ، وارتباطاً بعهد ليس هناك ما يبرره ، إلا ما كانت ترسف فيه الإنسانية من أغلال الاستبداد المطلق ، في تلك العصور المظلمة .

والإفنى قال : إن يوم البؤس ويوم النعيم - اللذين جعلهما أحد ملوك الحيرة شعاراً له - قانون تخضع لرهبته الملوك فضلاً عن السوقه !

إذا كان للضمير غفوة ، فإن له يقظة ، و « المنذر » كان من ملوك العرب ونبلاتهم ، ومن أعرف الناس بطباع قومه ، وتقديرهم للنجدة والوفاء ، وحماية المستجير وإغاثة الملهوف .

لهذا لم يلبث أن رجع عن هذه البدعة السيئة (١) .

أما ذلك الملك الذى شاءت إرادته أن يقتل فى يوم بؤسه « عبيد بن الأبرص » فلم يتفق الرواة على حقيقة ، فمنهم من جعله « المنذر الثالث بن امرئ القيس » وهو الذى تولى حكم المناذرة من ٥١٤ - ٥٨٧ م ومنهم من جعله « النعمان بن المنذر » الذى استمرت ملكيته من ٥٨٥ - ٦١٣ م .

ومن يؤيدون الرأى الأول « أبو الفرج الأصفهاني (٢) » و « البغدادي (٣) » و « الألوسي (٤) » و « اليعقوبي (٥) » ومن مؤيدى الرأى الثانى « ابن رشيق (٦) » ، انسياقاً وراء « حمزة (٧) » و « ابن قتيبة (٨) » .

ومما لا شك فيه أن القائلين بمصرعه فى عهد « المنذر الثالث » أبعد نظراً ، وأدق تحقيقاً ، لأن دليل النسب ، ودليل المعاصرة ، وحقائق التاريخ تؤيدهم فوق دليل السجلات الملكية .

- | | |
|-------------------------------|-------------------------|
| (١) بلوغ العرب ١ : ١٢٩ | (٢) الاغانى ١ : ٨٤ |
| (٣) خزائن الادب ٢ : ٥٥ | (٤) بلوغ العرب ١ : ١٢٩ |
| (٥) تاريخ اليعقوبى ١ : ١٦٨ | (٦) العمدة ١ : ٦٦ |
| (٧) تاريخ سنى ملوك الارض ص ٧٣ | (٨) الشجر والشعراء ص ٨٤ |

(٨) المرقش الأكبر (١)

ميلاده حوالي ٢١٦ قه (٤١٣ م)

من هذا الشاعر إلى عدنان ٢١ جيلا، ومتوسط أجيال قبيلته ربيعة من عصر النبوة إلى عدنان ٢٥ جيلا، فمنه إلى عصر النبوة خمسة أجيال، وعمر الجبل في ربيعة ٣٦ سنة، فمدة الأجيال الخمسة $5 \times 36 = 180$ سنة، فكانه ولد سنة ٢١٦ قبل الهجرة (٤١٣ م).

وإذا كان « المرقش » من شعراء القصائد بما قرره الباحثون ، وبما عثرنا عليه من شعره ؛ فليس ذلك بعجيب ؛ لأن « أخاه حرملة » وأباه سعدا و« عمه عوف بن مالك » و« جده الأول مالك » و« جده الثاني ضبيعة » ، كانوا شعراء ولا يهمننا أن كانوا من شعراء القصائد أم من شعراء المقطوعات ؛ فإن هدفنا هو المرقش كشاعر قديم ، ولو أن قصيدة أبيه التي بلغت خمسة عشر بيتا ، تدل على أنه من شعراء القصيد كذلك ، ومطلعها :

يا بؤس للحرب التي وضعت أراھط فاستراحوا (٢)

وقد قال هذه القصيدة في حرب البسوس ، التي هاجت بين قبيلته بسكر وأختها قبيلة تغلب ، التي منها كليب ومهمل .

أقدمية المرقش ومزونه :

وقد ثبت هنا أن للمرقش أقدمية بين شعراء القصيد ، وأنها تتممق في العصر الجاهلي إلى ما يقرب من قرنين وليدا ، وأن مكانته الشعرية وجهت أنظار الباحثين والأدباء في العصر العباسي الأول ، فنظموه في سلك

(١) المرقش الأكبر هو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن نعاية « الحصن » ابن عكاية بن صعيب بن دلي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

(٢) ديوان الحماسة ج ١ : ١٩٢

شعراء القصيد القدماء، وعد من الطبقة الأولى، وادعت بكر أنه وعمر بن قيس
أشعر الشعراء .

إن تحديدي سنة ٤١٣ م لميلاده لا يعارض ما جاء في بعض الأخبار، أنه
اتصل بملك الغساسنة « الحارث أبو شمر »، فإن هذا الملك تولى من ٥٠٠-٥٦٩ م
على رأى « فولدكي » (١) وجعل من كتابه « المرقش »، تمتعاً بمنادمته، وشعره،
لا أنه كان منقطعاً للكتابة له، لأن الكتاب المختصين أتقن للكتابة منه،
فهم أولى بها، ولكن إسناد هذا المنصب إليه كان للتشريف، إذ شهرته بالشعر
أو المنادمة لم تكن موضع شك، فإضافة هذا اللقب إليه يضيف فخراً آخر
له، ندر أن تمتع به واحد من رجال عصره، أما لو اتخذناه شاهراً، أو نديمه
لكان في هذا سبب لأهم ما يمتاز به المثقفون في كل عصر، وهو إحسانه القراءة
والكتابة والاطلاع على المدونات المختلفة، وهذا هو السر في هذا المنصب
السامي الذي خلعه عليه جلالة الملك الغساني .

عود على براء :

وقد أثبت الدليل النسبي أن مولد المرقش كان حوالى ٤١٣ م (٢١٦ ق هـ)
فلو أنه عاش ٩٠ سنة، لأدرك من حكم الملك الغساني ثلاث سنين . وبذا
تسكون وفاته سنة ٥٠٣ م، إذ تقدم أن ملك غسان تولى من ٥٠٠ - ٥٦٩ م
وهذه السنة توافق ١٢٣ قبل الهجرة، فلا تعارض بين دليل النسب، ودليل
السجلات الملكية، فكلهما يؤيد صاحبه، وبذا يكون قد أدرك من حرب
البسوس بضع سنوات، إذ تقدم أنها اندلعت سنة ٤٩٧ م . (١٢٩ ق هـ)

شعره :

من الأسباب التي جعلت شعره قليلاً في أيدي الأدباء والمتأديين : أقدميته

في الجاهلية، فهذا القدم، عصف بكثير من شعره، وكان من المؤمل ألا يضيع منه شيء، فقد كان ممن يكتبون في الجاهلية، هو وأخوه حرمله، لأنهما تخرجا على يد نصراني من أهل الحيرة (١) فمن المعقول أن يكون المرقش الأكبر أولاهما اهتماما بتدوين شعره، فكيف عبثت به الحوادث فوق عبثها بما كان له في صدر الرواة ١ .

أشهر ما وصل إلى من شعره لا يجاوز سبعين بيتا في خمس قصائد، وثلاث مقطوعات، ولعل أشهر شعره البيتان المشهوران :

النشر مسك، والوجوه دنا نير، وأطراف الأكف عَنَم
والدار وحش والرسوم كما رَقش في ظهر الأديم قلم
وقد كانا بما قاله بعد عودته من لدن الغساسنة، في بنت عمه عوف (٢)، لما علم بزواجها في غيبته برجل من مراد :

(١) الاثنان ج ٦ : ١٣٠

(٢) قيل سمي المرقش عوفابنهم والد أسماء التي كان يهاكها في المغاضبات، وإذا ذكر المرقش الأكبر تذكرنا المرقش الأصغر بن أخيه، وأحد المتييمين كذلك وكانت محبوبته فاطمة بنت المنذر بن الزهمان، وقد سقت أن المرقش الأصغر ولد حوالي ٣٠٠ ق هـ (٤٢٨ م)، فهما ممن اشتركوا في حروب بكر وتغلب، لأنهما بكريان.

شجرة المصكر الثالث :

(٨) أفوه لألاؤدى (١)

ميلاده -حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠ م)

أعجب ماسطره باحثو سيرته ، قول البكرى : « إنه جاهلى قديم » ، وذكر بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح !! فكأنه بهذا كان فى القرن السابع قبل الهجرة ! ، ويليه مارواه (ثعلب) فى أماليه ، عن الأصمعى فى بعض رواياته « أنه من سبقوا الإسلام بأربعمائة سنة » ! وعكس هذين مارواه بعض كتب الأدب أنه كان فى عصر الملك المنذرى : عمرو بن هند الذى حكم من ٥٦٣ — ٥٧٨ م ؛ فما رأى نظريتي ؟

١ - دليل النسب

تصفحت شجرة السكهلانيين فظهر لى أن من (الأفوه) إلى (قحطان)
جده الأكبر ٢١ جيلا (٢)

ومتوسط الأجيال من عصر النبوة إلى قحطان فى السكهلانيين ٣٢ جيلا
فالفرق الأول بين هذين العددين ١١ جيلا ، مدتها $11 \times 40 = 440$
سنة قبل الهجرة .

٢ - مقياس العبارة

ودفعا لما قد يكون من سقوط بعض حلقات نسبه ، أو زيادتها ، أو
وجود بعض آباءه المعمرين ، فمن قد يهبطون بعدد الأجيال ، وما أشبه

(١) المزهر ج ٢ ص ٢٩٦ والاعانى ١١ : ٤٤

(٢) لان الافود: صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود
ابن الصعب بن سعد المشيرة بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب الاصغر بن عريب بن زيد
ابن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان

بسبب عصف الحروب ببعضهم شبانا ، استحسنتم أن أختار طائفة من الصحابة الذين يلتقون به في أحد آبائه ، فصادف اختياري عشرة منهم ، التقوا به في جدهم « أدد بن زيد » وهم :

العدد	الأجيال إلى		الصحابي	رقعة في كتاب الإصابة
	أدد	قحطان		
١	١٤	٢٣	قيس بن سلمة	
٢	١٥	٢٤	امرؤ القيس بن عابس	٢٥٠
٣	١٨	٢٧	إبراهيم بن قيس	٨
٤	١٧	٢٦	زرارة بن قيس	٢٧٢٣
٥	١٨	٢٧	جهيش بن يزيد	١٢٥٥
٦	١٥	٢٤	دريد بن كعب	٢٣٩١
٧	١٦	٢٥	أبو هند الداري	
٨	١٦	٢٥	تميم الدراي	٨٣٣
٩	١٥	٢٤	مروان بن مالك	
١٠	١٦	٢٥	نعيم بن أوس	

فجملة أجيال هؤلاء العشرة إلى « أدد » ١٦٠ جيلا ، ومتوسطها ١٦ جيلا ومن (الأفوه) إلى جده وجدهم (أدد) ١٠ أجيال ؛ فهو أقل منهم ستة أجيال هي عدد الأجيال التي بينه وبينهم إلى عصر النبوة .

موازنة :

وبالرجوع إلى نسبه هو نجد منه إلى قحطان ٢١ جيلا كما تقدم
ومنهم إلى هذا الجد أيضا ٢٥ جيلا
فهم يفوتونه في النسب الأعرق ٤ أجيال
وقد تقدم أنه يقل عنهم في النسب إلى أدد ٦ أجيال

فمتوسط العددين الأخيرين هـ أجيال ، مدتها $٤٠ \times ٤٠ = ٢٠٠$ سنة

تناقضهم دليل القسب ودليل العشيرة

وبموازنة هاتين النتيجةين لدليل النسب والعشيرة ، نجد تناقضا عجبا !

إذ « نتيجة دليل النسب » تفيد أن الأفوه كان في سن الأربعين سنة ٤٢٠ قبل الهجرة ، وهو قريب من رواية ثعلب .

و « نتيجة دليل العشيرة » تفيد أن الأفوه كان في سن الأربعين سنة ٢٠٠ قبل الهجرة .

فالبعد بينهما ٢٢٠ سنة ، وهو رقم كبير ، فلا يحض عن استشارة دليل ثالث وهو :

« دليل المعاصرة » وقد تناقلت كتب التاريخ القديم أن « الأفوه » و « عوف بن الأحوص » و « أبا لبيد : ربيعة بن مالك » كانوا في عصر واحد ، وشرح هذا أن « بنى أود » القحطانيين أغاروا على « بنى عامر » الربيعين ثأرا لقتيل لهم ، وكان المغيرون بقياده « الأفوه » فرض مرضا شديدا ، فتاب عنه في القيادة « يزيد بن الحارث الأودي » ، وتخاف الأفوه حتى أفاق من وجعه ، فلقى نائبه في أثناء المسير « بنى عامر » وعليهم قائدهم « عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب » فاشتبك الفريقان ، فظفرت أود ، وأصابوا مغنما . . .

وبالبحث عن زمن (عوف قائد بنى عامر) في شجره قيس ، نجد منه إلى عدنان ١٨ جيلا ، فمنه إلى عصر النبوة جيلان ، مدتها $٤٠ \times ٢ = ٨٠$ سنة أى كان عوف قبل الهجرة بنحو ٨٠ سنة ، وبترك هذا الرقم قليلا ، للبحث عن زمن أقاربه نجد أبرزهم في سلسلة نسبه « ربيعة بن مالك بن جعفر » وهو ابن عم « عوف » ، وربيعة كذلك « أبو لبيد الشاعر » المخضرم الذى

عاش نحو مائة وسبع وخمسين سنة ، نحو فصفها في الجاهلية ، فكأن ليبدأ أدرك منها جيلين ، وكأن أباه وعمه كانا في جيل ثالث ، ومدة هذه الأجيال الثلاثة $3 \times 40 = 120$ سنة .

وقد تقدم أن الأجيال بعد بلوغ عوف الأربعين إلى الاسلام تقدر بجيلين ، فإذا ضم إليها جيل عوف ، كانت الأجيال ثلاثة ، وكانت مدتها $3 \times 40 = 120$ سنة ، فالمدتان متحدتان ؛ ولكن عوف إنما خاض غمرات الحرب في نحو الأربعين من عمره حوالى سنة ١٣٠ قبل الهجرة ، فكيف التوفيق بين ١٢٠ و ٢٠٠ التى أرشدنا إليها دليل العشرة ؟ إن التوفيق سهل إذا اعتبرنا أن الألفه إذ ذاك في سن التسعين ، وعوفا في سن الثلاثين

نتائج

وهذا ينتج أن

١ - هذا الشاعر الأودى كان قبل الهجرة بنحو ٢٠٠ سنة في ذروة قوته الحسبية .

٢ - وأن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ ق هـ (٣٩٠ م) ، فلو صدقنا ما يقال من أنه توفى في أيام عمرو بن هند - وقد حكم من ٥٦٣ - ٥٧٨ م - وافترضنا أنه توفى في السنة الأولى من حكمه ، لامتد عمره من ٢٤٠ قبل الهجرة (٣٩٠ م) إلى ٥٦٣ م وبذا يكون قد بلغ من العمر ١٧٣ سنة فهل هذا ممكن ؟ الشعراء يؤيدونه ، ولكن من العلماء من ينكره ، وفي الامكان أن يكون قد عاش نحو ١٥٠ سنة ، أما الثلاثة والعشرون الزائدة على الأعوام ، فسببها أن أباه أو أحد أجداده كان من المعمرين كذلك ، وأنجب من بعده في سن متأخرة ، فطرح ٢٣ سنة من عمره على عمر والده مثلاً ممكن ، هذا إذا لم تصدق أنه عاش ١٧٣ سنة

(٣) فليس بصحيح بعد هذا أنه أدرك سيدنا عيسى ، وليس بحق أنه كان قبل الهجرة بنحو ٤٤٠ سنة ، وهى التى أوحى بها دليل النسب ، بل

الصحيح أن ميلاده كان حوالى ٢٤٠ سنة قبل الهجرة ، (٣٩٠ م) .

شعره :

بالاطلاع على آثاره الشعرية فى ديوان شعره ، نجدها أكثر من ٢٠٠ بيت ، فى ثلاثين بين مقطوعة وقصيدة ، وهى فى جملتها ، سهلة الألفاظ ، واضحة المعانى ، لينة الأسلوب ، غنية بالحكم والأمثال والعظات ، وحسبه شهادة عبدالله بن الزبير له ، فإنه قرأ قوله :

بأوت الناس قرنا بعد قرن فلم أر غير ذى قيل وقال
ولم أر فى الخطوب أشد هولا وأصعب من معاداة الرجال
وذقت مرارة الأشياء طرا فما شئ أمر من السؤال !

فلم يكذب ينتمى منها حتى قال : « هذه الأبيات الثلاثة جاءت لما قالت العرب ! »

وأطول قصائده ، منها قصيدة فى ٣١ بيتا مطلعها :

أما ترى رأسى أزرى به . . .

وثانية فى ٣٠ بيتا مطلعها :

إن ترى رأسى فيه كقزع وشوائى خلة فيها دوار (١)
أصبحت من بعدلون واحد وهى لوانان وفى هذا اعتبار !

و (ثالثة) فى سبعة عشر بيتا منها :

فينا معاشر لم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
وتعد هذه القصيدة من حكم العرب وآدابها الرائعة .

و (رابعة) فى تسعة أبيات قالها لمناسبة انتصار قومه « بنى أود » على « بنى عامر » وكان يوده أن يقود الجيش لولا أنه مرض مرضا شديداً ،

(١) « قزع بفتح القاف والزاي » . سحاب ويقصد أنه شاب لأن الزرع السحاب والقصود هنا السحاب الذى اخلط أبيضه بأوده (والشواة) جلدة الرأس ، و (دوار) دوران الرأس

فأناب عنه « يزيد بن الحارث الأودي » .

ومن هذه القصيدة :

ألا يالطف لو شهدت قتلى قبائل عامر يوم الصليب . . .
و (خامسة) في ثمانية أبيات . . . وبهذه وأمثالها يتضح أنه من شعراء
القصائد ؛ وأنه أقدم من مهمل ، وأشبه الشعراء القدماء به في شرف أسلوبه
ورقة نسجه ، ولين لفظه ، وثرى حكمه . الشاعر المزروعى : « الأضبط بن قريع »
وفي دار الكتب المصرية ديوانه بخط مغربي رقم ١٢ ش / وشرحه

أيهما أنماذ صاحبه :

بدون نظريتي يصعب الحكم أيها السابق ، وأيهما المسبوق ، إلا إذا كان ذلك
رجما بالغيب ؛ أما بعد تأسيسى قواعدها ، فإنه يسهل علينا أن نحكم عن ثقة
واطمئنان ، أن الشاعر المزروعى أقدم بنحو قرن ، إذ أنه كان في سن
الأربعين في نحو ٣٠٠ سنة قبل الهجرة ؛ أما الأفوه فقد كان في هذه السن
في نحو ٢٠٠ قبل الهجرة ؛ لذا لا تثريب علينا إذا حكمنا أن الأفوه أحدث ،
فهو المسبوق بكثير من معانيه في الحكمة ، ولا مريّة في أن أصفى معين
منه اغترف الأفوه كان شاعر المزارعة ، بل شاعر تميم كلها في الجاهلية :
« الأضبط بن قريع » ، وليس من الضروري أن نستشهد لما يؤيد هذا ، فالجمال
لا سعة فيه ، وليس المقام للتفاضل ، بل أيهما أقدم .

أى شعراء القصيد أقدم ؟

هؤلاء الشعراء العشرة الذين تصارعت في أقدميتهم آراء القدماء ،
لا اعتمادا على قاعدة مشهورة بينهم ، بل اعتمادا على السماع أو الترجيح ،
أصبح في مكنتنا بعد اليوم أن نعرض الجميع على نظريتي ، في تحديد الزمن
الجاهلي ، وقد انتهيت من تحقيق زمن كل منهم في موضعه ، وأعيد هنا
ترتيب هؤلاء ، وأبدأ بأقدمهم وهم :

أشهر شعراء المخطوطات والقصاصد

ترتيبهم بحسب أقدميتهم

العدد	الشاعر	الميلاد		في سن العشرين	
		قبل الهجرة	بعد الميلاد	قبل الهجرة	بعد الميلاد
١	أعصر بن سعد النخعي المدائني	٥٦٠ ق	٧٩ م	٥٤٠ ق	٩٩ م
٢	ذؤيب النخعي المدائني	٤٣٥ م	٢٠ م	٤٠٥ م	٢٣٠ م
٣	الملك جذعة الوضاح القحطاني	٤٠٠ م	٢٣٤ م	٢٨٠ م	٢٥٤ م
٤	العنبر بن عمرو بن تميم المدائني	٣٩٨ م	٢٣٦ م	٣٧٨ م	٢٥٦ م
٥	لجيم بن صعب الرعي المدائني	٣٦٠ م	٢٧٣ م	٣٤٠ م	٢٩٣ م
٦	لقيط بن يعمر الأيادي المدائني	٣٤٦ م	٢٨٧ م	٣٢٦ م	٣٠٦ م
٧	الأمير زهير بن جذاب السكاي القحطاني	٢٩٦ م	٤٢٢ م	٢٧٦ م	٣٥٥ م
٨	الأضبط بن قريم النخعي المزروعى	٢٧٦ م	٣٥٥ م	٢٥٦ م	٣٧٦ م
٩	ضمرة السكتاني المدائني	٢٧٢ م	٣٥٩ م	٢٥٢ م	٣٧٨ م
١٠	الأفوه الأودي القحطاني	٢٤٠ م	٣١٠ م	٢٢٠ م	٤٠٩ م
١١	الملك بهرام جور الفارسي	٢٢٩ م	٤٠٠ م	٢٠٩ م	٤٢٠ م
١٢	أبو كؤاد الأيادي المدائني	٢٢٣ م	٤٠٦ م	٢٠٣ م	٤٢٦ م
١٣	المرقس الأكبر الربيعي المدائني	٢١٦ م	٤١٣ م	١٩٦ م	٤٣٢ م
١٤	عميد بن الأبرص الأشدي المدائني	٢١٢ م	٤١٨ م	١٩٢ م	٤٣٦ م
١٥	ابن حذام القحطاني	٢٠٠ م	٤٢٨ م	١٨٠ م	٤٤٨ م
١٦	مهلهل بن ربيعة الربيعي المدائني	١٨٠ م	٤٤٨ م	١٦٠ م	٤٦٧ م
١٧	عمرو بن قتيبة الربيعي المدائني	١٨٠ م	٤٤٨ م	١٦٠ م	٤٦٧ م
١٨	دويد بن زيد القضاعي القحطاني	١٥٦ م	٤٧١ م	١٣٦ م	٤٩١ م
١٩	المستوغر النخعي المزروعى المدائني	١٣٠ م	٥٠٦ م	١٠٠ م	٥٢٥ م
٢٠	أعرؤ القيس أمير شعراء الجاهلية	٩٦ م	٥٢٩ م	٧٦ م	٥٤٩ م

مؤلفة رأى الدكتور طه حسين :

بسطت فيما مضى أداني على أقدمية عشرين شاعرا في الجاهلية ، منهم ١٢ عدنانيون : أربعة من ربيعة أخت مضر ، وثمانية من مضر ، وواحد من بني عذينة ، وشاعر واحد فارسي من شعراء المقطعات واخترت هؤلاء دون غيرهم ، فبسطت أقدميتهم ، وظروفهم التاريخية والأدبية ، لأنهم - ماعدا اثنين اخترتهما البيان مافات القدماء - هم المحور الذي تجمعت حوله أقوال البعثة قديما في شعراء المقطعات وشعراء القصائد :

أما الدكتور طه حسين فلا يعترف لأحد منهم بوجود ، أو على الأقل هو يشك في وجودهم ، وإن كان قد استثنى منهم امرأ القيس من شعراء الين ، وعبيد بن الأبرص من شعراء بني أسد المضرين ، وعمرو بن قتيبة ومهلل بن ربيعة من شعراء ربيعة .

وهذا هو الأمر الأول الذي أخالفه فيه مستنداً إلى ركن شديد من القدماء والحدثاء والتاريخ الأدبي والسياسي .

وإن لا شعر بالخطئة إذ أرائي تفردت بمخالفة الدكتور في قوله :

(١) ، إن أعصر بن سعد بن قيس عيلان - إن عاش - فقد عاش في

زمن متقدم جدا ، أي قبل الإسلام بعشرة قرون ، (١)

إذ قد برهنت هنا في هذا الكتاب صفحة ١٣٦ ، ١٣٧ على أن سعدا هذا ولد حوالي ٥٦٠ قبل الهجرة ، بناء على القاعدة التي ابتكرتها ، والتي أرجو أن يشرفني الدكتور بأعترافه بها ، وخلاصتها أن عمر الجيل النسبي ٤٠ سنة ، ولو جاريت زعيم العمدة ، واتخذت من تقديره هذا رأيا له في عمر الجيل ، لبلغ عنده نحو ٧٧ سنة ، إذ أن من أعصر إلى عدنان سبعة أجيال كما تقدم ، فمنه إلى متوسط عدد الأجيال من عصر النبوة عند المضرين ١٣ جيلا ، وبضربها في ٤٠ - على رأي - ينتج أن سعدا في سن الأربعين كان في سنة ٥٢٠ قبل الهجرة ، فميلاده كان حوالي سنة ٥٦٠ ق هـ ، وعلى رأى الدكتور يسكون

(١) في الادب الجاهلي ص ١٦٠ نقلا عن ابن سلام في طبقاته .

زمن ساعد ناتج ضرب $11 \times 77 =$ نحو ألف سنة التي قال بها ، فيلاده على رأيه كان حوالى سنة $100 + 77 = 1077$ ق هـ أى قبل أن يخلق عدنان الجدد الحادى عشر لسعد بندهو ١٧٧ سنة . أى إن الفرع سبق أصله فى الوجود !! وإذا كانت أقدمية سعد مستقمقر من سنة ٥٦٠ إلى ١٠٧٧ ق هـ ، فإن أقدمية عدنان ، ستبعها فى التضمقر بنفس النسبة ، أى من نحو ٦٠٠ سنة ق هـ على نظريتي ، إلى نحو ١٧٤٣ على نظريته .

مثال آخر يؤيد وجهة نظرى : المدة الحقيقية من إبراهيم باشا إلى فاروق الأول سنة ١٩٤٩ نحو ١٦٠ سنة ، يقابلها ٤ أجيال ، يمثلها إبراهيم ، وابنه إسماعيل وابنه فؤاد ، وابنه فاروق .

وعلى نظريتي تكون المدة $4 \times 40 = 160$ سنة وهو عدد مطابق للحقيقة ١٠٠ ٪ ، وعلى نظرية الدكتور $77 \times 7 = 539$ سنة !

وبذا يتبين أن المدة التى قدرها لأقدمية سعد مبالغ فيها ، وأقرب إلى الحقيقة أن تكون فى القرن السادس قبل الهجرة - على رأيي - بدل أن تكون فى القرن العاشر قبلها - على رأي أستاذنا -

(٢) وأخالف الدكتور ثانياً فى تحديده زمن إسماعيل بنحو ١٥ قرناً قبل الإسلام (١) أى نحو ١٠ قرون قبل المسيح ؛ إذ قد أوضحت فى هذا الكتاب صفحة ٤٣ أن من إسماعيل إلى عدنان ٤٠ جيلاً . ومن عدنان إلى عصر النبوة - فى المتوسط - ٢٢,٦٥ جيلاً ، فالفترة ٦٢,٦٥ جيلاً مدتها - على رأيي - $62,65 \times 40 = 2506$ سنة ق هـ ، وهذه توافق القرن التاسع عشر قبل ميلاد المسيح ، وبما له دلالة فى تدعيم نظريتي أن هذا التاريخ هو الذى حدده المحققون من مؤرخى الغرب العصريين لتاريخ إسماعيل ، وبذا يتبين أن ربط إسماعيل بالقرن ١٥ قبل الإسلام - فى رأيي الدكتور - ينقص عن تحديد

المؤرخين المعاصرين في الغرب أولاً ، وعن تحديدي بناء على نظريتي ثانياً
بأكثر من عشرة قرون !.

فلو أردت أن أنتزع لبعثائنا رأياً آخر في عمر الجيل النسبي - غير رأيه
الذي أبداه في زمن أعصر بن سعد بن قيس عبلان -

لتبين أنه أقل من ٢٤ سنة ، وذلك بقسمة ١٥ قرناً قبل الإسلام - التي
حددها - على عدد الأجيال من إسماعيل إلى عصر النبوة ، وهو ٢٣٨٥
جيلاً فبأى نأخذ ؟ : أبجعل عمر الجيل ٧٧ سنة وهو الذي أبداه في تحقيق
تاريخ أعصر بن سعد ، أم بأقل من ٢٤ سنة وهو العمر الذي رآه للجيل في
تحقيقه زمن إسماعيل ؟

مما لا شك فيه أن الدكتور لم يرد وضع قاعدة لعمر الجيل في حديثه
عن زمني أعصر بن سعد وإسماعيل النبي ،

إنما هما رأيان دعت إليهما ظروف البحث ، وأكبر ظني أن أستاذ
الأدباء الدكتور طه ، لو سئل الآن بعد بضع وعشرين سنة من تأليفه
كتابه « في الأدب الجاهلي » ، لغير كثيراً من آرائه التي أبداهها هناك ، ولما كان
منها تزييف أحد العمرين اللذين قدرهما لعمر الجيل ، ولتفضل على بعد هذا
بموافقته على رأي - وأنا الجندی المجهول - في تقدير عمر الجيل النسبي
بأربعين سنة ، وهو ما أيده باثني عشر برهاناً ، متوجة برأى التوراة أولاً
والقرآن أخيراً ، وليس هذا بدعا من حضرته فهذه شيمة العلماء من قديم
لا يمتسكون برأى ، إلا ريثما يعثرون على رأي آخر أو وضع حجة وأشرق
فكرة متابعة لنشاطهم المتجدد ، ولولا هذا لما تقدمت العلوم والفنون
والآداب ، وما رأى أدباء العالم نابغة كالدكتور طه ، هبة النيل ، ونخرا الجيل .

٣ - وأخالفه ثالثاً في قوله : كانت ربيعة عدفانية ، ولست كما لم تتكلم
لغة قريش قبل الإسلام (١) أو لغة القرآن لأنهما في رأيه واحد كما صرح

بهذا مرارا وهو ما أخالفه فيه .

فلما كان الإسلام كان استعراها أيسر وأسرع - أى من استعرا ب أهل الدين - ومعنى هذا أن ربيعة قبل الإسلام قضت عليها الظروف أن تستعجم ، فيكون لسانها أعجميا لا عربيا ، ولم تصبح لهجتها عربية إلا بعد الإسلام !

وليعدرن الدكتور إذا لم أستطع هضم هذا المذهب ، إذ لا معنى لأن تنفرد ربيعة عن جميع القبائل العدنانية لأن في هذا تجاهلا لا لصلة النسب ، وصلة الدم ، وصلة الجوار ، وصلة العادات والتقاليد والثقافة العامة وصلة التاريخ فيكون لسانها أعجميا ، ولسان القبائل العربية قاطبة عربى .

٤ - وأخالفه رابعا في إنكاره شعراء ربيعة وقحطان قبل الإسلام (١) ، وفيه كل شعر ينسب إليهم ، لأن هؤلاء في لسانهم من الأعاجم ، فليس معقولا أن يقولوا شعرا باللهجة التى نسبها إلى مضر - لا إلى عدنان -

وردى على زعيم الأدباء من جهتين :

(الأولى) : أكان هناك مانع أن يقوم هؤلاء الينيون والربعيون بتعلم اللغة التى نزل بها القرآن ، ثم يصير منهم شعراء بهذه اللغة ، فيزاحمون كل من يقولون الشعر بها فى الجاهلية ؟ ألسنا نجد مصريين ومصريات الآن يقرضون الشعر باللغة الفرنسية مثلا وليسوا فرنسيين ! .

(الثانية) ألم يقرر الدكتور فى كتابه (٢) أن فى فرنسا - إلى جانب اللغة الفرنسية لغات إقليمية لها نحوها ، ولها قوامها الخاص ، ولها شعرها . ومع ذلك فأهل الإقليم إذا أرادوا أن يظهروا آثارا أدبية أو علمية قيمة ، يعدلون عن لغتهم الإقليمية إلى اللغة الفرنسية ، وقليل جدا من يذهب مذهب « منسترال » فيكتب فى لغته الإقليمية الخاصة . ١١

فماذا يمنع أن يكون لأدباء ربيعة - إلى جانب لغتهم الإقليمية - لغة أخرى يشاركون فيها سائر أدباء العرب من القبائل الأخرى ! .

(٥) وأخالفه خامسا في تعبيره بالشعر المضرى واللغة المضرية ، دون التعبير بالشعر العدنانى واللغة العدنانية ، إذ لماذا تعمد أن ينسب اللهجة إلى مضر دون ربيعة وهى أختها ؟ أليس فى هذا ترجيح بلا مرجح ؟ ولماذا لم ينسبها إلى أصل القبيلتين وهو أولى ؟ أليس أبوهما هو نزار ؟ وجدهما الثانى هو عدنان ؟ وربيعة ومضر من عرب الشمال ؟ والاختلاط بينهما لم ينقطع فترة من الفترات الجاهلية الطويلة ، فى سلم أو حرب ؟ والجزء الشمالى من جزيرة العرب فى البحرين وبين النهرين طالما ارتج تحت أقدامهم فى حروبهم ، وطالما سجل التاريخ فيها أيامهم ، مرقشة بروائع أشعارهم مفتخرين أو محرضين ؟ ولم تهاجر ربيعة إلى بقعة خارج شبه الجزيرة ؟ ولم تهجر قارة آسيا إلى قارة أخرى كإفريقية أو أوروبا ، حتى كنا نتخيل نسيانها لغتها العربية ، فنعدّها من الأعاجم ، وهو ما صرح به الدكتور .

حسبى هذا الآن حتى أبرهن لعميد الباحثين فى القسم الرابع من هذا الكتاب ، أنه ما كان يسوغ له أن ينسب طبيعته ، فيعد نفسه من المحافظين بعد عشرين سنة ، عندما جاراهم ، فقرر أن القرآن نزل باللهجة قریش ، وهو الأمر حمل الذى بعض المفسكرين من الأدباء أن يشكوا فيه الآن ، ونهضت اليوم لأبرهن على أن هذه النسبة حملت على قریش حملا ، زلنى إلى خلفائها وولاتها . . . والدنيا إذا أقبلت على قوم أعطتهم نخاسن غيرهم

المستشرقون والأدب الجاهلى

إذا عز على بعض رجال الأدب العربى أن يروّعهم زعيم الأدب العربى ، بتلك الحرب الخاطفة الشعراء ويختار لها ميدان الأدب الجاهلى ، ويشنّهم جراحا ، مرة بالإنكار ، ومرة بالنشكك فى ذلك الأدب وفى رجاله ، فعليهم أن يتجلّدوا ، فإن الحقيقة لا يحلو معدنها ، ولا ينشر فضلها ، كاصطكاك الآراء الحرة ، مهما تسكن متطرفة فأما الزيد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكنك فى الأرض وعليهم أن يذكروا جيدا بجانب هذا أن بين المستشرقين من يقدرّون

الادب الجاهلي ، ويعترفون بفضله ، وصدق دلالاته ، وأنهم ما برحوا يلتمسون مرآة الحياة الجاهلية في الشعر الجاهلي ، لأنه صورة صادقة لنفوس قائله وعقولهم ، وأن مبالغة العرب في المحافظة على دمائهم وأصولهم وأعرافهم ، وجهت أنظار العالم كله إليهم ، إعجاباً بهم ، فقرروا أنهم لم يعهدوا أمة تحافظ على سلسلة أنسابها محافظة الأمة العربية عليها ، مهما طالت السلسلة ، أو تعقدت ، وأن في فرنسا وغيرها لغات إقليمية خاصة بكل إقليم ، ولغات عامة بين الأدباء الذين يريدون أن يسمع آثارهم أكبر عدد ممكن في كل الأقاليم ، فليس هناك ما يمنع أن تطبق هذه القاعدة على العرب من أقدم العصور في الجاهلية ، وليذكروا جيداً فضل كثير من أولئك المستشرقين وبحثة الغربيين أمثال : أدور براون ، نلشر ، ورينان ، ونييلكسون ، وثوربيك ، ونولدكه ، ورسفال .

وأن هؤلاء الأحرار المفكرين لم يفهم أن يطبقوا أحدث النظريات العلمية والأدبية على العرب ، فاقنعوا أخيراً بمنزلتهم الأدبية ، وسجلوا صدق كميات هائلة من الأدب العربي الجاهلي ، منظومه ومنشوره ، وأن تلك القصائد والمقطوعات المحفوظة من شعراء الجاهلية أوثق المصادر للغارات البدوية ، وعادات العرب وأخلاقهم وحياتهم وأيامهم .

وأن تغنى العرب بطيب أعرافهم ، ومكارم أخلاقهم ، ألزمهم أن يحفظوا كل ما أثر عن قبائلهم من شعر أو نثر ، وأن ينبت الرواة بينهم كما انبثت محطات الإذاعة الآن ، أو الصحف الحزبية في العالم المتمددين ؛ يرددون ما سمعوا ، وينشرون ما حفظوا ، ويمثلون سماء البيد وأرضها بتلك الأغايد العذبة ، والمفاخر الخالدة .

وأن مبلغ الذاكرة عند هؤلاء الرواة بما لا يفوقه شيء في أخبار اليونان والرومان وغيرهم ، وأن حفظة القرآن المنتشرين في كل بقاع البلاد الإسلامية الآن ، ولا سيما في البلاد العربية لخير النماذج التي تذكر ، لتصدق ما يؤثر

عن رواية الجاهلية والإسلام من قوة الحافظة والذاكرة ،

وأن « سانت نيلوس » أحد حكام القسطنطينية ، لما ترهب في أواخر القرن الرابع للمسيح ، سمع أناشيد العرب القديمة في صحراء سيناء ، فأثبت هذا في مذكراته ، وكتب المؤرخ اليوناني « سوزومين » في القرن الخامس الميلادي تاريخاً للكنيسة ، وما جاء فيه أنه في القرن الرابع للمسيح تغلبت إحدى قبائل العرب على جيوش الرومان في فلسطين ، فنظم شعراء العرب الأناشيد والأغاني ، وتغنوا بها تسجيلاً لذلك الحادث السعيد ، والنصر المؤزر .

(٤) القسم الرابع

اللهجة التي نزل بها القرآن ليست قريشية وبراهينى الثانية على هذا

من القضايا الأدبية التي حولها السابقون عن معناها الأصلية فعرفت على الرغم من هذا كيف تحتل نفوس المسلمين احتلال العقيدة الدينية ، تصدى علماء العصر العباسى — عند وضع العلوم الدينية والعربية — للأثر : « نزل القرآن بلهجة قریش » وقد تحدرت هذه القضية من العصر العباسى الأول إلى العصر العباسى الثانى ، ومنهما إلى ما تلاهما من عصور حتى عصرنا الحاضر ، وكلما تحدرت عصرًا زادت حصانة ! واكتسبت من مظهرها الدينى قداسة ! فصار الخارج عليها كالخارج على مقرر صريح الدلالة من أمور الدين أو لأحاشى من المسحورين به جمهرة المتعلمين ، فإن العقيدة الدينية أسبق من الثقافة الأدبية ! ولم أر ذا جرأة من المفكرين أعلن شكه فى هذه القضية ، فضلاً عن نقضها ، بل محاولة نقضها ، مع أنها ليست من الدين ، ولا من مسائله ، بل هى قضية اغوية أو أدبية أو تاريخية لا يضير الدين مطلقاً ، ولا يؤذى عقيدة المسلمين أن يصدق قول القدماء إن القرآن نزل بلهجة قریش ، أو قول المذهب الجديد : إن القرآن نزل باللهجة العامة التى كان يتفاهم بها أدباء العرب وزعمائها كما

يتفاهم قادتنا الآن في مصر وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق والعربية السعودية واليمن والمغرب ، بتلك اللهجة الأدبية الخاصة بالمتقنين وحدهم ، أما عامة الشعوب العربية فلكل لهجته ، بل قد تعدد لهجات الإقليم الواحد كما أشرت إلى ذلك من قبل ، وبذا نجد للمتقنين الآن من العرب لهجتين عربيتين كما كان لأدبائهم في الجاهلية .

ومع ما في هذا البيان من الوضوح ، فإن أتوقع — من الكثرة الكاثرة — كل مَرٍ يش من السهام ، وليكن ذلك لن يزيدن إلا استمسا كابرأن ، حتى يقوم واحد من المفكرين المختصين ، فينقض رأين بدليل قطعي ، كما نقضت عقيدة اللهجة القرشية بأدلة كثيرة ، جعلت في ختامها دليلا قطعيا هو « نقش النمار » وحسبك دلالة على قيمته التاريخية وحدها ، أنه أقدم من ثمرات المجد القرشي بأكثر من خمسين سنة !

وإذا كانت الظروف لم تسعفن بكل ما أريد من البراهين القطعية ، فالمستقبل كفيل بإتمام الناقص ، وإقناع الجاحد ؛ والفكرة الصالحة كالبنرة الصالحة ، صادفت تربة خصبة ، إنها لا بد أن تشق طريقها إلى الحياة ، مسخرة كل ما يحيط بها من عناصر ، حتى تسمو فوق ما يحيط بها من التربة بأسقة نامية ناضرة .

إن رأين الذي كونه بعد طول النضال ، بين تربتي الدينية الأولى ، وحرية رأين أخيراً ؛ أن اللهجة التي نزل بها القرآن ليست قرشية ، بل هي اللهجة القديمة التي اتخذها أدباء العرب لسانا لهم ، وبتعبير آخر هي اللهجة العامة بين خاصة العرب ؛ وهي التي كانوا يتفخرون بها في سوق عكاظ ، ويتنافرون ، وينعاضمون ، ويتحاضمون ويتهادنون فإذا رجعوا إلى قبائلهم تركوا تلك اللهجة الأدبية التي امتاز بها الأدباء والخاصة ، وتفاهموا في كل أمورهم بلهجتهم القبائلية ، إذ كان لكل قبيلة لهجتها ، وكثرة القبائل مما يحتم كثرة لهجاتها فإذا ذهب خاصتهم إلى سوق عكاظ ، تركوا لهجتهم الخاصة ، وشرحوا ما يريدون

باللهجة الأدبية التي يفهمها زعماء العرب وخاصتهم من كل القبائل ؛ فيكون هذا أنشر لدعوتهم ، وأذيع لقضيتهم .

رأى الدكتور طه في الهجاء قريشياً :

إن تاريخ هذه القضية كما قدمت يرجع إلى ما قبل العصر العباسي ، وقد تمكن علماء هذا العصر بمهارة عجيبة أن يسجلوها بين ما سجلوا من قضايا كثيرة ، دون تمحيص إذ لم يكن العصر عصر تنقيح ، بل كان عصر جمع وتدوين ، وما فعلوا هذا إلا زلفى إلى الخلفاء العباسيين ، وولائهم ، وأمرائهم ؛ شأنهم في كل ماله علاقة بقريش خلفاء الله في أرضه ، وعلى توالي الزمن أصبحت هذه القضية كحقيقة لا تقبل الشك ، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، حتى وصلت هدية مقدسة من الماضي إلى الحاضر .

وكنت أنتظر أن ينهض جريء عالم كالدكتور طه حسين ، لتصحيح الوضع ، وتعديل الأساس وتحرير هذه القضية التي اكتسبت من الدين قداسة ، دون أن يكون لها من الدين إلا الطلاء الخارجي ، ولكن كانت دهشتي شديدة عندما رأيته في كتابه : في الشعر الجاهلي وفي الأدب الجاهلي يقلب كل معلوماتنا عن العصر الجاهلي رأساً على عقب ، ويأتي بنيانها من القواعد ، دون أن يجرؤ على مس هذه القضية ! بل كان عجب الجميع أشد إذ وجدوه في هذه القضية وحدها من المحافظين . وذلك خلاف طبيعته .. بل لسانهم الباسط لحجبتهم ، والناشر لقضيتهم !

وحسبك شاهداً لما أدعى أنه كرر نسبة اللغة إلى قريش في كتابه الأخير أكثر من ١٤ مرة من صفحة ٢٠ — ٣٥٠ ، ولا يخفف من هذا أنه في غير هذه المواضع كان ينسب اللهجة العربية العامة إلى مضر والمضريين ، وهم أقدم من قريش ، كما نسبها إلى القرآن وهذه كان يقصدها لهجة قريش ، كما صرح بهذا في صفحة ١٠٧ .

وكانه شعر بالخرج لنسبته اللهجة إلى قريش في كل هذه المواضع دون أن يؤيده براهينه فقال : وأقدم النصوص الصحيحة التي عندنا من هذه اللهجة إنما هو القرآن .

(١) فنحن مضطرون أمام هذا الإجماع من جهة .

(٢) وأمام قرشية النبي ﷺ من جهة أخرى .

(٣) وأمام نزول القرآن في قريش من جهة ثالثة .

(٤) وأمام فهم قريش للفظ القرآن في غير مشقة من جهة رابعة .

(٥) وأمام اتفاق القرآن في اللغة واللهجة ، مع ماصح من حديث النبي القرشي ، ومن الرواية عن أصحابه القرشيين من جهة خامسة ، إلى أن نسلم بأن لغة القرآن إنما هي لغة قريش ،

أدلة أخرى لغبر المكنون :

وقد يسوقك الحظ إلى بعض المدافعين عن لهجة قريش ، معتمدين على القياس المنطقي من جهة ، أو النقوش من جهة ثانية فتسمع قولهم :

(١) كل أدب يتوغل في الجاهلية أكثر من ١٥٠ سنة ، ليس بلغة قريش ، فلا استطاع فهمه ، واسكن هذه الآثار الأدبية التي بين أيدينا مفهومة ، فهي من لغة قريش .

(٢) وكل الآثار الفكرية التي باحت بها النقوش الأثرية إلى الآن في جزيرة العرب ، ليس فيها أثر أدب ، فهذا دليل على أن ما بين أيدينا من آداب العرب ، لم يكن موجوا قبل قريش ، فكل هذه الآداب ثمرة غرسهم ، ونبعة خاطرهم . والقرآن من نسج هذه الآداب : سدى ولحمة ، فهو بلهجة قريش نزل ، وبأسلوبها أعجز !! .

وبناء على هاتين القاعدتين ، أو هذين الدليلين نجد هؤلاء الذين اتخذوا من أنفسهم مشرعين أدبيين ، لا يعترفون بقدوم أي أثر أدبي أساسه الرواية

قبل قریش ، لأن لهجتها - في رأيهم - امتصت كل لهجة مغايرة لها ! فإذا قلنا لهم : إن الرواة أجمعوا على أن « خضرة السكناني » مثلاً ، أو « أعصر ابن سعد بن قيس عيلان » ، أو « جذيمة الأبرش » أو « الأنضبط بن قريع » ، وأمثالهم ، لهم شعر مروي مسلسل ، تحدر على أفواه الرواة الأقدمين : راوياً بعد راو ، وأن هؤلاء الرواة قبل « قصي » أول ملوك قریش ، وباني مجدها قالوا : إن هذا مفسوس عليهم !! وياربما بالغوا في الإنكار فقالوا : إن هذا الشعر ، عليه مسحة الشعر العباسي ورواؤه ، ورقته وأناقته !! فهو شعر مصنوع ! وقد يحازفون فيدهون أن هؤلاء الشعراء وأمثالهم ؛ ليسوا إلا من تلاميذ المدرسة القریشية !

براهيني على أنه القرآن لم ينزل بلهجة فريسيه :

ومن حسن الطالع أن بين يدي براهين كثيرة تؤيد مذهبي ، بعضها قطعي ، وسأكتفي في هذه الطبعة بذكر براهين ثمانية :

البرهان المنطقي ، والقبلي ، والزمني ، وإجماع الرواة ؛ وآراء علماء اللغات ، والنصوص القديمة ، وحكام سوق عكاظ كعامر بن الطرب ، ثم أتوج كل أولئك بتسع من الآيات القرآنية ، ثم أختم الأدلة بنموذج من النفوش الأثرية ، فهي من البراهين اليقينية :

وسأحاول فيما يأتي بسطها سافرة كالصبح ، مسترسلة كالنسيم ، في ثقة المؤمنين ، وثبات الأطواد :

(١) البرهان المنطقي :

لهجة قریش لهجة لالغة مستقلة عن لغة العرب ، وفرق بين الأمرين . فاللهجة بين اللهجات فرع من فروع شجرة واحدة ، وهذه الفروع اشتهرت في الاستفادة .. قبل كل شيء .. من التربة ، وما فيها من أغذية ومياه وأملاح ، وما تحيط بها من أهواء وأضواء ، وكل فرع له من الخصائص ما للفروع

الأخرى ، غاية الأمر أن من الفروع السابق ، ومنها اللاحق ، وعدد
الفريعات التي يغذيها هذا الفرع أكثر من التي يغذيها المسبوق .

وليس من الباحثين من ينكر أن اللهجات العربية ورثت عن أمها كثيراً
من مقوماتها ، وخصائصها في الأصوات ، وأصول المفردات ، بل التعابير ،
والحكم ، والأمثال ، بل الخطب ، والأشعار ، والمصطلحات القديمة :
اقتصادية ، أو دينية ، أو حربية ، أو اجتماعية .

ومن هذه اللهجات لهجة قريش فها قال باحث إنها مستقلة استقلالاً تاماً
عن أخواتها أو أمها ، وهذا يقتضى أنها ورثت عن أمها ، وعن أخواتها
السابقات ، واقتضت من عشائرها القريب ، واستعارت من كل ماراقتها من
لهجات القبائل من أسنة شعرائها وخطبائها وحكامها وتجارها وعامتها وخصتها
فهل هي مع هذا مستقلة عن أخواتها ، منكرة لما ورثته عن الآباء والأجداد !!

(١) الدليل القليل :

أشهر قبائل العرب التي كان لها نصيب واضح في الوضع اللغوي هي :
« تميم » ، و « قيس » ، و « أسد » ، و « هذيل » ، و « سعاد بن بكر »
و « جشم بن بكر » ، و « نصر بن معاوية » ، و « ثقيف » ، و « بعض كنانة —
أصول قريش — » و « بعض الطائيين » ، فهذه القبائل العشر هي التي كان لها
أكبر الفضل في وضع تلك المفردات العربية ، والصيغ والعبارات والحكم
والأمثال والأساليب . وإن كان للثلاث الأولى نصيب الأسد

وقصى أول ملوك قريش لم يبن مجدها الديني والسياسي والاجتماعي إلا
بعد أن فرغت تلك القبائل من أهم ما تحتاج إليه اللغة جملة وتفصيلاً وكل قبيلة
من هذه القبائل لم يفتها أن تضع لبنات ذهبية في ذلك الصرح اللغوي الشامخ
أفاذا جاءت قريش في أعقاب هذه القبائل ، فراقها الروض وقد أزهز
وأثمر ، وملاً الأرجاء بشذاه العطر ، فعن لها أن تسير في ظلال تلك القبائل

التي سبقتها ، وتستعير منها أرق أساليبها ، وأخف ألفاظها ، وأحسن تعابيرها
فستعمله في محادثات تلك القبائل وغيرها فتعلمو شهرته ، ويكثر استعماله
أذا كان هذا كل ما أثر عنها من العمل ، تعطى نصيب الأسد ، ويتجاهل
أساتذتها من القبائل والبطون والعمائر والأحياء !

إن هذه لقسمة ضيزى ، تأبأها نفوس الأحرار ، ولا سيما في عصرنا
الذي كان أكثر توفيقا لتنقية الحقائق من شوائب الأوهام ؛ والآراء
المتعمدة ، تعصبا للحاكين ، كما اتسم بميسم الحرية ، وأهمها حرية البحث والرأى

نصيب قريش في نظر الإنصاف :

إن أقرب مظاهر الإنصاف ، أن نضم قريشا إلى القبائل العشر الماضية
ثم ندعها تتقاسم شرف ذلك المجد ، وحينئذ لا يرى لها إلا جزءا من الفضل ،
الذي شاء المتعصبون ، أيام الأمويين والعباسيين ، أن تستأثر به قريش
وحدها ، وهذا لا يزيد على ٩,٥ ٪ نتيجة لقسمة ١٠٠ ÷ ١١

(٣) الرايل الزمني

أما الدليل الزمني فيدل عليه ، أن المدة من عصر النبوة ، إلى عندنا ،
نحو ٩٠٠ سنة ، إذ من سيدنا رسول الله ﷺ إلى جده هذا اثنان
وعشرون جيلا ، و ٢٢ × ٤٠ = ٨٨٠ سنة ، ومتوسط أجيال العدنانيين
٢٢,٦٥ جيلا ، فمدتها ٢٢,٦٥ × ٤٠ = ٩٠٦ سنة ، ومتوسط المديتين ٨٩٨
سنة أي تسعة قرون .

وقد أجمع المؤرخون على أن قريشا لم تتجمع ، ويصبح لها كيان واضح
المعالم ، وشخصية لها احترامها ونفوذها وأمرها ، إلا من عهد قصي ، أول
ملوكها ، فهو الذي مهد لجأها الديني ، ونفوذها الاجتماعي ، ثم استعمارها
الاقتصادي .

بعد أن جمع فلولها، وأكثر عديدها، وأعز ذليلها، ولذا سمي «مجمعها»
لتجميعها تحت راية واحدة، بعد أن كانت مشتتة تحت راية كنانة وغيرها.

وقد برهنت على أن من قصى إلى عصر النبوة نحو ٢٠٠ سنة، وقريش
بل كل أمة إذا أصبح لها كيان مستقل، وحدود معروفة، لا يمكن أن تظهر
آثارها، أو تجنى ثمرات ما غرست إلا بعد مرور حقبة، تطول أو تقصر
بحسب قوتها، ومتوسط تلك الحقبة في كل حال لا يقل عن خمسين سنة أى
ابتداء من الجيل الثانى لتأسيسها.

فلو أن لقريش آثارا لغوية بالقدر الذى طنطن به المتعصبون لها، فى
جاهليتها وإسلامها، ما كان لهذه الآثار أن تظهر إلا بعد خمسين سنة من
قصى، وهذا يوافق سنة ١٥٠ قبل الهجرة، وهى التى جعلها الباحثون حدا
لأقدمية الأدب الجاهلى، المبسوط بين أيدينا الآن.

ونسبة ١٥٠ : ٩٠٠ = ١ : ٦، وبتعبير آخر = ١٦,٦ ٪

وبموازنتنا هذه النتيجة وهى ١٦,٦ ٪، بالنتيجة السابقة التى دل عليها الدليل
القبلى وهى ٩,٥ ٪ نجد الفرق كبيرا، وليكن عدد القبائل التى أسهمت فى الوضع
اللغوى والتنسيق الأدبى مما أجمع عليه العلماء، أمار قم ٩٠٠ سنة الذى جعلته للبدء
من عصر النبوة إلى عدنان، فهو رأى الذى استنبطته من نظريتى. ورأى واحد
أقل من آراء، وبناء عليه كان يجب أن لا نعلمد إلا على أن نصيب قريش ٩,٥ ٪
ولكن ثقتى فى نظريتى من ناحية، ومرضاة للقريشيين قديما وحديثا من ناحية
أخرى تذكرنى بأن خير الأمور أوسطها، وأن قريشا يحسن أن يكون
نصيبها متوسط هاتين النسبتين أى $٩,٥ + ١٦,٦ = ٢٦ \div ٢ = ١٣$ ٪
والكل بنا مستقر، وستبوح النقوش الأثرية بما يؤيد مذهبي.

(٤) إجماع الرواة

(١) وأما الدليل الرابع على أن غير قريش أولى بالفخر فى هذا الميدان

فإجماع الرواة فقد نقل إلينا السيوطي (١) أن قريشا كانت مع فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصنقى كلامهم ، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى سلاتهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم « عننة تميم » ولا « عجرة قيس » ولا « كشكشة أسد » ولا « كسكسة ربيعة » (٢)

واختار الرواة هذه القبائل ، لأنها كانت أفصح ، ولها جهاد غير منكور في الوضع اللغوي ، والتنسيق الأدبي ، فلو أنهم مع تعصبهم لم يهملوا هذه القبائل بتلك الهنات لكانوا خطرا محققا يهدد قريشا في فصاحتها ، ورقة ألسنتها ، أما بعد أن وصموها بما تلقطوه من سقطاتها فإن استعلاء قريش يحد له موضعا من الفخر ، ومتكأ من البرهان وقد نسي الرواة أو تناسوا أن فضل هذه القبائل على اللغة — مع تلك الهنات — أعظم من فضل قريش ، لأن تلك العيوب التي طفت فوق لهجاتهم أشبه بالزبد فوق لجج البحر المصطخب ، أو غبار الممارك الحربية يعلو هام الأبطال ، وغبار العمل خير من زعفران العطلة كما في المثل أما قريش فلم يسجل لها التاريخ نصلا في الوضع اللغوي ، لالعييب فيها ، بل لأنها جاءت بعد أن بلغت اللغة كمالها ولاسكن سجله لقيم ، وربيعة ، وأسد ، وهوازن . . ويؤيد هذا :

(١) مارواه (أبو عبيدة) أن ابن عباس قال : « نزل القرآن على سبع لغات ، منها خمس بلغة العجز من هوازن ، وغير خاف أن من هؤلاء (بنو سعد بن بكر) الذين استرضع النبي ﷺ فيهم ، ونشئ التنشئة الأولى بينهم ، ولقن منهم أول دروس في اللغة ، ولذا كان يفتخر ، متحدثا بنعمة ربه قائلا : « أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ، وأنى نشأت في بني سعد بن بكر »

(١) الزهر ج ١ ص

(٢) مجالس نعلب ١٠٠

وبنو سعد هؤلاء ممن قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء) : « أفصح العرب
عليها هوازن وسفلى تميم ،

(ح) وقال (سيدنا عثمان) عند نسخ المصحف : اجعلوا المعلى من
(هذيل) والكاتب من (ثقيف) (١)

(د) وقال السيوطى أيضا : « الذين نقلت عنهم اللفظة العربية ، وبهم
اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان للعربى من بين قبائل العرب هم (قيس) و (تميم)
و (أسد) فإن هؤلاء هم الذين أخذ عنهم أكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل فى
« الغريب » وفى « الإعراب » و « التصريف » ثم « هذيل » و « وبعض
كنانة » و « وبعض الطائيين » — مع أنهم من عرب اليمن فهم قحطانيون
لا عدنانيون — ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

فأين قریش بين هؤلاء !!

ما مثلها إلا مثل الطبعة الحادية عشرة من كتاب ، فالفضل فى تنقيح هذه
الطبعة وامتيازها مرده إلى أنها استفادت من التجارب التى مرت بها ، وقریش
بنت مجدها فى الأدب العربى على جهاد القبائل العدنانية : مضربة ورابعة ،
بل كذلك على جهاد بعض عرب القحطانيين .

فهل مع هذا ينسب إليها كل الفضل ، وينسى بناء المجد وأولو الفضل !!

فضل الرواة :

وكيف ينكر أحد فضل الرواة وهم الذين حفظوا كل شاردة وواردة
لأيام العرب ووقائعهم وما قيل فيها من شعر أو خطب ، وما جرى من

المفاخرات بين قبائلهم ، وكيف ضبطوا أنسابهم ، بل أنساب أفراسهم التي خاضوا بها غمرات حروبهم ، يستوى في هذا صغراء الرواة وكبرائهم ، وإذا كان في أحدهم أو فريق منهم مطعن ، فليس من الانصاف أن نطعنهم جميعا ، لأن كل أمة ، بل كل طائفة ، فيها الخبيث والطيب ، والقوى والضعيف والتفاوت سنة من سنن الوجود ، فلم يكون محظورا بين الرواة ومارووا !!

بين الروايات والنقوش :

أيشك منصف أنه لولا رواة العرب وفضلهم على التاريخ والأدب ، لكافت العربية من اللغات الميتة ، التي لا تعرف حقيقتها إلا من النقوش والأحجار !! إن مصدرين خير من مصدر ، ومصدر الرواية العربية قد يكون أصدق من مصدر النقوش .

ولهذا تعليل بسيط هو أن الرواة استكثرهم كثيرا ما يختلفون باختلاف ظروفهم ، وبغلبة مارووا يتبين الحق من الباطل ، وتنجلى الرغوة عن الصريح ، (أما النقوش) فإن مصدرها الحكومات غالبا وهي مصدر واحد ، فضلا عن أنها لا تنقش إلا ما فيه مجدها ، أو ما هو عزيز عليها ، أو ما له علاقة بشعبها والأمم الأجنبية ، وقد يشتمل على ما يخالف الحق تمام المخالفة ، وكم وزارة في أيامنا نسبت لنفسها كل خير ، وباربما وضعت أسسه في عهد وزارة سابقة من حزب غير حزبها ، وكل ما لها فيه أنها احتفلت بإتمامه !!

مع النقوش ما هو زائف

وكم حدثنا التاريخ وهو يطرق حياء عن بعض الملوك قديما ، ومحوهم بعض آثار السابقين ، ثم نسبتها الى أنفسهم !! ولولا توافر الأدلة على هذا المحور والاثبات ، لضاعت الحقيقة في طيات الأكاذيب .

ومن ساوره الشك في هذا فليقرأ ما قرره (الأستاذ جيمس هنري برستد) في كتابه (١)

(١) أن [سیتی الأول] كسا نقوش [أمنحتب الثالث] الحربية التي حفرها على قصره بالأحجار من الخارج .

(٢) وقرر بعد صفحتين أن [رمسيس الثاني] اغتصب الملك من أخيه وكان حكمه من ١٢٩٢ - ١٢٢٥ ق م . وفي أثناء حكمه محاسبه أخيه ولقبه ورسمه ، ورسم نفسه مكانه ووضع اسمه بدل اسمه ، ملقباً نفسه بولي عهد المملكة كذبا !
(٣) وقرر مرة ثالثة أن - رمسيس - أظهر جراحة غريبة محاسبها كل أثر لمجهود أخيه المعزول ، وفعل مثل هذا بكثرة في آثار أخرى كثيرة !

(٤) وبعد ١٧ صفحة قرر أيضا أنه وسع (معبد الأقصر) بأحجار (المعبد الجرانيتي) البديع الذي شيده [تحتمس الثالث] من الأسرة ١٨ جاعلا وجه الأحجار المختومة بختمه من الداخل حتى لا ترى وكتب اسمه على كثير من آثار سلفه ، ونحلمنا نفسه زورا وبهتانا وليس معقولا أن ينفرد بعض ملوك مصر القديمة بهذا الحو والإثبات ، بل لا بد أن يكون لهم نظائر بين ملوك الأمم القديمة .

ومع هذا لم يتخرد واحد من المؤرخين لينمى عليهم صنيعهم ولو بعد أيامهم إلا بعبارات عابرة ، وجل مقتضبة ، وما ذلك إلا أن للحكومات رهبتها ، وللملوك قداستها ، لهذا السبب وحده كانت النقوش في حرز حرز من القداسة ، أما الأخبار المروية مشافهة ففى الغالب تكون مختصة بغير الحكومات والملوك ، فتروى بحرية كاملة ، والعبرة بمصدر الرواية ، فظهور أوجه الحق فيها أوضح من ظهوره في النقوش وأخبارها .

رواة العرب :

فرواة العرب في الجاهلية وصدر الإسلام كانوا أكثر من رواة الأمم الأخرى ، وأوعى حافظة لأميتهم ، واحترام العرب لذكرياتهم أوجب عليها احترام رواياتها ، فتنافس الرواة في هذا المجال ، لا بكثرة ما حفظوا ، بل كذلك بصدق ما نقلوا .

نموذج من ورع الرواة

وأكرر مرة أخرى أن الرواة كغيرهم من جميع الطوائف : فيهم الخبيث والطيب ، والشقة المحترم والجريء المنبوذ ، فليس وجود واحد من الوضاعين دليلاً على أن الرواة كاهم هكذا كما أن العثور على الراوية الثبت لا يصح أن يتخذ دليلاً على أن كل الرواة عدول أثبات والحق بين ، والباطل بين ، وبينهما أمور مشتبهاة ، وقد أخبرنا التاريخ الأدي أن المشتبهات عند الرواة كان يفصل فيها (الأعراب الخالص) عند التحاكم إليهم أو الاستئناس برأيهم كما حدث في اختلاف « سيبويه » و « الكسائي » بحضرة الرشيد في قصة « العقرب والزبور » . وربما كان في هؤلاء أيضاً من يتحيزون .

١ — الكسائي :

ومن يفخر بهم الرواة (الكسائي) قال الفراء : دخلت عليه يوماً وهو يبكي ، فقلت له : ما يبكيك ؟ قال :
هذا الملك « يحيى بن خالد » يوجه إلى ليحضرني ؛ فيسألني عن الشيء ، فإن أبطأت في الجواب لحقني منه عتب !! وإن بادرت لم آمن الزلل !!
فقلت له : يا أبا الحسن ، من يعترض عليك ! قل ماشئت فأنت الكسائي !
فأخذ لسانه وقال : قطعه الله ! إذن !! إذا قلت ما لا أعلم !!
وكثير من الرواة كانوا كالـكسائي في صدق طبعته ، وأمانته ، وتحري وجه الصواب .

٢ — الأصبهاني :

ومن مفاخرهم « أبو سعيد الأصبهاني » المتوفى ٢١٥ هـ (٨٣٠ م) فقد كان مضرب المثل في الرواية ، وشدة التحري ، والامعان في الاحتراز عند تفسير ماله علاقة بالكتاب والسنة .

وعما يدل على منزلته أنه كان يحفظ ١٦٠٠٠ أرجوزة غير الشعر والأخبار،
وكان في علمه نظريا عمليا ، وشاهد هذا أنه حضر يوما ، و « أبو عبيدة » :
معمر بن المثنى ، عند (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد بعد جعفر البرمكي ،
فسأل الفضل « الأصمعي » :

كم كتابك في الحنبل ؟ فقال : مجلد واحد .

فسأل « أبو عبيدة » عن كتابه فقال : خمسون مجلدا .

فقال له : قم إلى هذا الفرس وأمسك كل عضو منه وسمه ، فقال لست
بيطارا !! وإنما هذا شيء أخذته عن العرب . .

فقال للأصمعي : قم يا أبا سعيد وافعل أنت ذلك ، فقام وأمسك ناصية
الفرس وشرع يمسك عضوا عضوا وينشد ما قاله العرب فيه إلى أن فرغ
منه ، فأهدى إليه الفرس فكان إذا أراد أن يغيظ « أبا عبيدة » ركه إليه .

٣ — أبو محمد الشيباني :

ويقرب من هذين « أبو محمد الشيباني » المتوفى سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م) .
وكان نادرة في النقل الصادق ، وما وصل إلينا من هذا أن « الخليفة :
الوائق بالله العباسي » سأله يوما عن شاهد من الشعر فيه كلمة « المـتـر » ،
وهي الصحراء لا نبات فيها ، والأرض لا ينحف ثراها ، ولا يذبت مرعاها -
فما فكر طويلا حتى أنشد بعض الحاضرين بيتا فيه هذه الكلمة افضحك
« أبو محمد » ثم قال للذي أنشده : ربما بعد الشيء عن الانسان وهو أقرب
إليه مما في كفه ! لا تبرح حتى أنشدك ؛ فأنشده للعرب ١٠٠ بيت معروف
لشاعر معروف في كل بيت فيها ذكر « المتر » ،

٤ — بنو بني عبير الحمير :

وكان بNDAR يحفظ ٧٠٠ قصيدة في أول كل منها « بانـت سعاد » غير ألوف
القصائد الأخرى ، وهو ، و « أبو عبيدة » ، و « أبو زيد » ، و « الأصمعي »
كانوا أعلم الناس في عصرهم باللغة والشعر وعلوم العرب ، لم يرقبهم ولا بعدهم
مثلهم .

كشبه الراويين :

وإن رزى علم الرواية بمن كادوا يغضون من شأنه ، خلطهم السم بالدم ،
ترقبوا لكسب مادي أو أدبي فإن يقظة العلماء والأدباء كانت لا تلبث أن
تكشف أمرهم فينبذهم الخاصة ويقاطعهم العامة ، فيصبحون أخسر صفقة
من أبي غبشان .

١ — حماد الراوية :

وأول من اقتضح أمره من هؤلاء « حماد الراوية » المتوفى سنة ١٥٥ هـ
(٧٧٢ م) قال « المفضل الضبي : سلب على الشعر من حماد الراوية ما أفسده !
فقل له : كيف ذلك ؟ أخطيء في روايته ؟ أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك !
فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ولكنهم رجل عالم بلغات العرب ،
وأشعارها ، ومذهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب
رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق ، فتختلط أشعار
القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وقليل ماهم !!

وكان من تلاميذه في هذا « خلف الأحمر » ثم « قطرب » ثم أبو العلاء

ابن صاعد « البغدادي .

وهكذا نجد في كل عصر مئات من الرواة الذين لا تخفى منزلتهم كالأخفى
منزلة الجرائد السياسية في نفوس القراء واختلاف تقديرهم في أيامنا ، وإن
كان بإزاء الرواة إذ ذاك من يقيم معوجهم من فطاحل النقدة الذين جعلوا
للرواية علماً ثابت الأركان ، واضح النهج ، بين الحدود يدل عليه أنهم جعلوا
من الرواية « متواترة » و « مسندة » و « منقطعة » الخ كما فعل علماء الحديث

مصادر الرواية :

(١) قبل أن يختلط العرب بالعجم كان علماء البصرة والكوفة مصدر الرواية في القرن الأول للهجرة ، وكان بن هؤلاء (أدباء الموالي) ، وهؤلاء كانوا يتلقون اللغة عن أعراب البوادي عند حضورهم إلى المدن .

(٢) وبعد اختلاط العرب بالأعاجم ، صارت البعوث ترسل إلى البوادي ، كما ترسل البعوث العلمية الآن من إلى البلاد الشرقية إلى بلاد الغرب ، فكانت تمسك سنين ، ثم تعود إلى الأمصار الإسلامية لتشر ما سمعت ، وقد استمرت تلك البعوث إلى (أواخر القرن الرابع الهجري) (والعاشر الميلادي) في العصر العباسي الثاني .

(٣) ومن القرن الخامس الهجري (والحادي عشر الميلادي) صارت الأمصار الإسلامية أحفل المصادر وأوثقها وأنظمها .

مراكز الثقافة العربية :

وقد ازدهرت المدن الإسلامية بحلقات الدروس ، فلم تكن تخلو واحدة منها من حلقة أو أكثر لأنواع من الفنون العربية والإسلامية . وأسانذتها من أعظم الرواة ، الذين يتمتعون بأكبر قسط من حرية القول وكانت البصرة ، و الكوفة ، أحفلها بالحلقات والأسانذة والطلبة وأكثرها افتتاناً ، وأخطرها شأناً ، وكان الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه في البصرة لأن أكثره مصنوع ، أما في البصرة فكان رواتها أدق وأحرص ، فلا يقبلون إلا ما صح لديهم ، وذلك واضح في دواوين الشعراء وأمهات النحو . .

فلم يزل أهل المصرين على هذا المنوال حتى انتقل العلم إلى بغداد ، بانققال السكوفيين إليها ، وخدمتهم خلفاءها ، وقبلهم كانت مدينة الملوك ، وحشو عساكر الخلفاء .

أما في « المدينة » فقد قص علينا الأصمعي أنه أقام بها زمانا ، فراعته أن « ابن دأب » يصنع الشعر وأحاديث السمر ، وكلاما ينسبه إلى العرب كذبا ، فسقط وذهب عليه وخفيت روايته على الرغم من شعره وعلمه بالأخبار .

ومن جرى مجراه « الشرقي : ابن القطامي » وقد تتبعه الأصمعي أيضا ، فحدث عنه أن بعض الرواة حكى أنه سأل ابن القطامي : ماذا كانت العرب تقول في صلاتها ؟ فقال : لا أدري ، قلت : فاكذب له ، فقال : كانوا يقولون : « رويدك حتى تبعث الخلق باعثة ! »

فإذا أنا به يوم الجمعة بعدها يحدث به في المقصورة !
وأما « مكة » فكان بهارجال من الموالي ، أشهرهم « ابن قسطنطين الرومي » وقد شدا شيئا من النحو ووضع كتابا لا يساوى شيئا .

أما أبو برهم في الوضع

(١) تقدم آنفا أن حمادا الراوية ، كان بلاء على الشعر ، لا لأنه يخطئ أو يلحن فأمر ذينك بسمل كشفه واسكنه لعله بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء وأساليبهم يعتمد إلى اختيار شاعر من الشعراء ، فيقلده تقليدا عجبا ، ثم يدخل ما نظمه في شعره وينسبه إليه متصلا بببيت أو أكثر من شعره الحقيقي ، ويرويه منسوباً كله إلى ذلك الشاعر المفترى عليه ، فيحمل عنه مارواه إلى الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد .

(٢) ومن تلاميذه « خلف الأحمر » وكان كأستاذه من أعلم الناس بمذاهب الشعر والشعراء فإذا أراد أن يقلد شاعرا فيما يريد اختلاقه فعل ما فعله أستاذه حماد .

ومن افترى عليهم في رأى بعض النقاد « الشنفرى » في قصيدته المشهورة

بلامية العرب ، ومطلعها :

أقيموا بنى أمى ظهور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
وقد قرر الجاحظ أنه هو الذى أورد على الناس نسيب الأعراب ،
وهو من أرق الشعر قاطبة .

ومثل هذين غيرهما من الوضاعين ، إلا أنهم لم يكونوا فى قوتها ، لذا
كانوا يقتصرون على البيت والبيتين ، ومنهم من طال باعه فى (الحكم والأمثال)
خلال القصص التاريخية التى لها روعة ، ليزيدها جمالا فوق ما بها .

فى قصة مصرع الزباء

ومن أمثلة هذا النوع (قصة مصرع الزباء) ، فقد حشد الوضاع فيها
نحو ١٧ مثلا ، ومن يتصفح كتب الأدب والتاريخ القديم يجد صدق هذا ،
كأن مصرعها لم يدبر إلا لتقال هذه الأمثال عند كل موقف من المواقف ،
وفى ذلك جناية على الأدب ، إذ قد يوهم أن القطعة كلها من أساسها خيال
فى خيال ، وأنها لم تخرج إلا لتكون حقا لبذر تلك الأمثال
السكثيرة المتكلفة . !!

غرضهم من الاختلاق

ومادعا الوضاع إلى هذا الاختلاق ، وخالط السم بالدم ، إلا تحقيق
كسب مادى ، أو رخ أدبى يخاب أملهم ، ولم يكن حظهم منه إلا أن ينبذهم
العلماء ، ويقاطهم الطلبة ، فكانوا « أحق من أب غبشان » ، و « أندم من
الكسعى » ، ولم يكن تجار هذه « السوق السوداء » فى الأدب من الأعاجم ،
وحدهم بل كان بعضهم من جهلة العرب ، إلا أن جمهورهم كانت من الأعاجم ،
من لم يتشربوا الإسلام فى قلوبهم ، وكم أثاروا بما وضعوا شبهات الناس فى
تاريخ العرب وآدابهم وما أثرهم !! ومدنياتهم !! وكم أدى هذا من بعدهم إلى

إنكار كثير منها ، فإذا رأى المصريون أسلوبا جاهليا واضحا قالوا : إنه عباسي !! كذلك الحال لو رأوا شيئا من الاستقصاء ، وكل حججهم أن هذا النوع من سمات العصر العباسي !! كأن كل الأدب الجاهلي يجب أن يكون مستخلقا مبهما مبتورا : مقدمات بدون نتائج ، أو نتائج بدون مقدمات ونتيجة هذا أن يذبذ أكثر الأدب الجاهلي ، وكل الأدب الإسلامي !! وكل الأدب الأموي !

(التحزب الشيعي)

وزاد من ضرر هذه الخلايا الشيعية التي لا هم لها إلا الغرض من شأن العرب ، والنيل من آدابهم ومآثرهم ومدنياتهم ، أن بعض متعصبى المستشرقين ، وعلماء اللغات في عصرنا يستندون في هذا إلى بعض ما قرره قديما بعض علماء العرب بحسن نية ، وإلى أن تعاليمهم تلقى أرضا خصبة وتربة صالحة لدى بعض الخريجين المبهوثين من الدول الإسلامية ، وقد يؤثر هذا في عقيدة المسلمين من تلاميذهم ، ويثير الشك في النصوص القرآنية (والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)

٦ - الدليل الخامس : رأى علماء اللغات

لم أستسغ قول القائلين بذوبان اللهجات العربية جميعها في لهجة قریش ، فعمدت إلى استشارة طائفة من علماء اللغات المصريين ، فهم أدرى ببضاعتهم ، وأعلم بصناعتهم ، فرأيتهم يقولون :

- من عوامل الصراع اللغوى تجاوز شعبين مختلفي اللغة . وفى هذه
- الحالة لابد أن يتغلب الشعب القوى على الضعيف ، سواء فى هذا
- قوة العدد ، أو قوة الحضارة ، أو قوة النفوذ والجاه ، أو القوة الحربية ،
- ولا يتم النصر - غالبا - إلا بعد أمد طويل ، يصل أحيانا إلى أربعة

« قرون في الفتوح الحربية، أما في غيرها فيمتد إلى أكثر - وقد يتناول
« إلى عشرة قرون -

« وعلى هذا الأساس نفسه تغلب في المملكة الواحدة لغة المقاطعة
« التي بها العاصمة ، أو يكون لأهلها السلطان (١) .

تلك نظرياتهم ، وهذه قوانينهم ؛ وإذا أردنا أن نطبقها على اللهجات
العربية - ولغة قريش منها - فلا بد أن نلجأ إلى التاريخ ، وقد خبرنا أن
قريشا لم تسكن لها هذه المنزلة في الجزيرة العربية ، لقوتها الحربية ، أو لكثرة
عددها ، أو لحضارتها ، فإن أكثر القبائل الأخرى تشبهها في ثقافتها بل
كثير من هذه القبائل تمتاز بقوتها الحربية ، وكثرة العدد ، فوق الماضي
السحيق في خدمة اللغة ؛ فليكن تغلب لهجة قريش على لهجات القبائل العربية
لا بد من مرور زمن ينوف على ٤٠٠ سنة ، وهي التي حدثت لتغلب شعب
على آخر حربيا ، أو تغلب قبيلة على أخرى . أو مدينة على ما جاورها .

والزمن اللائق بالغلبة السلبية لا بد أن يكون أطول عمرا ، ولا بد أن
يمتد إلى نحو ٧٠٠ سنة في المتوسط ، وقريش من فهر - قريش - إلى سيدنا

محمد ﷺ - مرت في طورين مختلفين :

(فالطور الأول) من فهر إلى قصي ؛ وعدد الأجيال هذه خمسة مدتها
نحو ٢٠٠ سنة ، كانت قريش فيها قبيلة متواضعة ، عادية ، قانعة ، منضوية
تحت نفوذ القبائل المضرية الأخرى ، التي امتازت بقوتها الحربية . ونفوذها
الأدبي . فهي لم تتمتع بأية قوة من القوى ، فضلا عن أن تسعى للابتكار
اللغوي . أو الجاه الأدبي . فلا يسعنا إذن إلا أن نسقط هذا الزمن من
تاريخها ، ولا سيما أن أقوال المؤرخين - كاليقوي (٢) - تؤيدنا . وقد قرر
أنها كانت متفرقة الدار . قليلة العز ذليلة البقاع . حتى جمع الله إلفتها .
وأكرم دارها . وأعز مشواها .

(١) علم اللغة ص ٩٨٤

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ١٩٨

(والطور الثاني) يبدأ من (قصي) أول ملوكها إلى عصر النبوة . وعدد الأجيال في هذه الفترة خمسة أجيال . مدتها نحو ٢٠٠ سنة . بدأت قریش فيها تنفض عن نفسها غبار الخمول . وتعمل لتنبؤ مكانتها بين القبائل العربية . وساعد على هذا أن « زعيمها : قصيا - » كان ذا طموح وآمال طوال عراض . فأخذ يعمل في صمت وفي خفاء حتى صاهر المشرفين على مفاتيح السكبة . فهاهي حتى آل إليه أمرها نهائيا .

النفوذ الاقتصادي لقریش :

أما النفوذ الاقتصادي لقریش فلم يعش « قصي » حتى يتمتع به إلا في مكة !! وهذا بعض ما نقله القائل (١) :

كانت قریش تجاراً وكانت تجارتهم لاتعدو مكة . إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع . فيشترونها منهم . ثم يتبايعونها بينهم على من حولهم من العرب ، فكانوا كذلك حتى ركب « هاشم » بن عبد مناف إلى الشام . فنزل بقبصر . فكان يذبح كل يوم شاة . ويصنع جفنة ثريد . ويتجمع من حوله فيأكلون . فذكر ذلك لقيصر . فقيل له : ها هنا رجل من قریش يشتم الخبز ثم يصب عليه المرق . ويفرغ عليه اللحم - وإنما كانت العجم تصب المرق في الصحاف . ثم تأتدم بالخبز . فدعا به قيصره فلما رآه وكله أعجب به ، فكان يبعث إليه في كل يوم . فيدخل عليه ويحادثه . فلما رأى نفسه تمكن عنده قال له :

« أيها الملك . إن قومي تجار . فإن رأيت أن تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم . فيقدموا عليك بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندهم فهو أرخص عليكم » .

(١) كتاب ذيل الامالى للقائل ص ٢٠٤

إيلاف قريشهم :

فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم . فأقبل « هاشم » بذلك الكتاب فجعل كلما مربحى من العرب بطريق الشام . أخذ من أشرفهم إيلافا (١) فصارت قريش تحمل إليهم بضائع . ويؤدون إليهم رؤوس أموالهم . ورجعهم فأصلح هاشم ذلك الإيلاف بينهم وبين أهل الشام . فخرجوا بتجارة عظيمة . وخرج هاشم معهم يجوزهم . ويوفيهم إيلافهم . الذى أخذ لهم من العرب حتى أوردتهم الشام . ومات فى ذلك السفر فى « غزة » وكان هذا قبل الهجرة بنحو مائة سنة .

وخرج « المطلب بن عبد مناف إلى اليمن ، فأخذ من ملوكهم عهدا ، وأخذ الإيلاف كما فعل هاشم .

وخرج « عبد شمس بن عبد مناف » إلى الحبشة ففعل فعلهما ، وخرج « نوفل بن عبد مناف » فأخذ عهدا من كسرى : وإيلافا من مربه من العرب ، فالتسعت قريش فى التجارة فى الجاهلية ، فبنو عبد مناف أعظم قريش على قريش منه فى الجاهلية والإسلام . فالجد الاقتصادى لقريش لا يعدو ١٠٠ سنة قبل الإسلام فأين هى من ٤٠٠ سنة للعلبة الحربية ، و ٧٠٠ سنة للعلبة السلمية على الأقل .

٦ — الدليل السادس : النصوص الأدبية

أشرت فيما سبق إلى عشرات من النصوص الأدبية القديمة التى قالها أدباء العرب فى جاهليهم ، قبل أن تنقسم قريش نسيم الحياة الحرة المستقلة ، وقبل أن ينهض أول ملوكها ، قصى ، فيجمع شملها ، وينظم أمورها ، ويستولى

(١) الإيلاف أن يأمنوا عندهم فى أرضهم . غير مخالفة فهو مقصور على أمان الطريق .

(٢) مجمع الأمثال ١ : ونهاية العرب ، والأغاني ، والقاموس المحيط ، وبلغ العرب .

على مفاتيح السكينة ، وقد تمكن بهذا من إتمام أروع أعماله لتأسيس ذلك الملك المروم ، والجاه العريض ، والاستقلال المنشود في الجاهلية .

وقد صرحت من قبل - اعتماداً على نظرية الأجيال ، وعمر الجيل - أن قصبا بدأ تجمه يتأاق في سماء الجزيرة العربية قبل الهجرة بنحو قرنين ، كما صرحت بأن بين الغرس والحصاد فترة طبيعية ، وأن الدول لا تحصد ما غرست إلا بعد مرور أكثر من جيل على الأقل من تأسيسها فاللهجة المنسوبة لقريش لا يمكن أن تسبق الهجرة بأكثر من ١٥٠ سنة .

فكيف يتفق هذا مع ما كاد يجمع عليه رواة العرب ، من صحة كثير من الآثار الأدبية التي تنسب لمثل « ابن خدام » و « عبید بن الأبرص » و « المرقش » ...

وكيف يسوغ لدى الأفهام هذا بعد أن برهنت على أن المرقش الأكبر من شعراء القرن الثالث قبل الهجرة ، وأن أقدم منه في هذا القرن أبو دؤاد الإيادي ، والأفوه الأودي القحطاني ، وضمرة السكتاني العدناني ، والأضبط بن قريع نخر المزارعة وبنى تميم ، بل العرب قاطبة في الجاهلية والأُمير زهير بن جناب السكبي القحطاني ، إلى آخر ما أشرت إليه في جدول الشعراء صفحة ٢٠٣ من هذا الكتاب .

وليس لي فضل في نسبة الآثار الأدبية إلى هؤلاء ، بل الفضل لرواة العرب ، إذ كل مالى من عمل هنا هو أنى حقت أقدميتهم قبل الهجرة ، وبعد الميلاد المسيحي ، بل بانيا على ما أسسه رواد الأدب ، ورواته من أقدم العصور .

وإذا خلا لبعض حضرات الأدباء أن يبحث عن مغزف فيما سجلت هنا ، إما لنقصان . أو لأنى لم أستشهد فى أكثر ما مر إلا بالشعر ، أو لأن فيمن ذكرتهم بعض النكرات الذين لا يعد ذكرهم ربحاً ولا إهمالهم خسارة فإلى هؤلاء أسوق

الحديث . راجيا أن يرهفوا السمع . فاني سأذكر شخصية بارزة . كانت -
حقبة طويلة في الجاهلية ملء السمع والبصر والفؤاد .
وحسبنا بالحكيم الخالد « عامر بن الظرب » توثيقا لما أردنا .

حكيم العرب : عامر بن الظرب

ولد حوالي ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م)

ولبيان دقة هذا التاريخ أرجو أن يتابعني القارئ الكريم ليقنع بسداد
الخطوات التي اتبعتها فيما يأتي :
١ - أفاد دليل النسب « أن منه إلى عدنان ١٢ جيلا (١) فمنه إلى عصر
النبوة ٩ أجيال .

٢ - وأرشد « دليل المعاصرة » أنه كان يعاصر « ثقيف بن منبه » رأس
القبيلة : وصعصعة بن معاوية بن بكر من قيس ودسعد بن زيد مناة من تميم ،
وكل واحد من هؤلاء الأربعة - منه إلى عدنان ١٢ جيلا . فمنه إلى عصر النبوة
٩ أجيال . مدتها ٩٠ × ٤٠ = ٣٦٠ سنة . وذلك عندما كانوا في سن
الأربعين فكأن ميلادهم كان حوالي ٤٠٠ ق هـ (٢٣٤ م) .
فلو أن عامرا لم يبدأ الرواة يحفظون آثاره الأدبية في الحكم والأحكام
وانوصايا إلا في سن الأربعين ، لكان هذا قبل الهجرة بنحو ٣٥٠ سنة ق هـ
(٢٨٣ م) .

أدلة نهائية أقوى على أقدمية عامر بن الظرب :

(الدليل الأول) أن « ذا الإصبع العدواني » هو الحفيد السابع لأخيه

(١) لانه عامر بن الظرب بن عمرو بن عياض بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن نيس
عبلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كما في جهرة ابن حزم ص ٢٣٢ و ٢١٣

« ثعلبة بن الظرب » أى إن ذا الإصبع أحدث عهداً من أبيه، ومن عمه، بنحو $8 \times 40 = 320$ سنة . أى أكثر من ثلاثة قرون، ومع هذا نقرأ لأبى الفرج الاصفهاني (١) أن ذا الإصبع شاعر من قدماء الشعراء فى الجاهلية ! فإذا كان من قدماء الشعراء فى الجاهلية ، مع أنه بعد عمه عامر بأكثر من ثلاثة قرون فما نصيب عامر من هذه الأقدمية ؟

و (الدليل الثانى) اشتراك عامر بن الظرب فى « يوم البداء » بل قيادته معداً كلها فى هذا اليوم ، وإليك ما رواه « المنذر : هشام بن محمد السائب (٢) » لم تجتمع معد كلها إلا على ثلاثة رهط من رؤساء العرب : « عامر بن الظرب » قائد معد يوم البداء ، حين تمذحجت « مذحج » وسارت إلى تهامة ، و « ربيعة بن الحارث » وهو أبو كليب ومهلل ، و « كليب بن ربيعة » ، ويقول « جورجى زيدان » (٣) نقلاً عن الغربيين :

إن أقدم ما حفظه التاريخ من أخبار تلك الحروب ، حرب وقعت بين (العدنانية) و (مذحج) فى أواسط القرن الرابع الميلادى وكانت مذحج قادمة من اليمن طالبة للتوسع فنزلوا بها ، وفيها من بنى معد قبائل متفرقة منها (عدوان) وكان أمير عدوان يومئذ (عامر بن الظرب) .

وبموازنة التاريخ الذى ذكره الغربيون ليوم البداء ، بالتاريخ الذى حددته ميلاد ابن الظرب ، يتبين أنه قاد معداً فى هذا اليوم ، وعمره حوالى ١٦ سنة ، فهل كان من المعمرين ؟ رجعت إلى السجستانى (٤) فوجدته يقول إنه عاش ٢٠٠ سنة ، وبعض الرواة زادها إلى ٣٠٠ سنة ! ولا تهمنى هذه المبالغة بمقدار ما نصوا عليه أنه كان من المعمرين . وليس من الضرورى أن يقاتل

(١) للأغاني ٣ (٢) خزائن الأدب ٢ ص ٢٤ نقلاً عن العقد الفريد والأغاني

(٣) العرب قبل الإسلام ١ ص ٢٢٤ لاعتماد جورجى زيدان على المراجع الغربية

ترجم كلمة « البداء » بالبيضاء والصواب بالبدال المهلة كما أجمع عليه الرواة

(٤) كتاب المعمرين ص ٤٤

القائد مع جنوده ، بل يكفي أن يشير عليهم وبوجههم يشير حماستهم ، فهي أشبه بالاستشارية أو بقيادة الشرف من القيادة الفعلية .

(الدليل الثالث) ولعله أصرحها ، مارواه « أبو الفرج الأصفهاني » (١) أن « قيس عيلان » رغبت في البيت ، و « خزاعة » يومئذ تليه ، فساروا ومعهم قبائل من العرب ، ورأسوا عليهم « عامر بن الظرب العدواني » فساروا إلى مكة في جمع همام ، فخرجت إليهم خزاعة ، فاقتتلوا ، فهزمت قيس ، ونجا عامر على فرس له جواد .

وخزاعة كانت تدير البيت الحرام قبل قريش . ثم تولت بعدها قريش نحو ٢٠٠ سنة قبل الهجرة ، فإذا صرفنا النظر عن كل رواية أخرى يتبين لنا أن عامرا عاصر خزاعة مدة طويلة قبل أن يخلق قصي أول ملوك قريش ، فأى أثر له في تلك الفترة لا يمكن أن ينسب إلى عهد قريش ، بل لا بد أن ينسب إلى العصر السابق .

وإذا أردنا أن نشير إلى الزمن الذي اشتبك فيه عامر مع قبيلة قيس وأحلافهم من القبائل الأخرى ، كان على أقل تقدير في أواخر أيامه على اعتباره عاش نحو ١٥٠ سنة أى قبل أن يتألق نجم قريش بنحو نصف قرن وأقرب منه إلى الدقة أن يكون هذا الاشتباك وعامر في نحو الخمسين من عمره أى قبل قريش ومجدها بنحو ١٥٠ سنة . فأى أثر من آثاره الأدبية يكون حتما باللغة العربية التي تواطأ عليها أدباء العرب فنزل بها القرآن ، لالغة قريش . وبذا يتبين ما في هذه النسبة من تساهل واضح ، أو مبالغة شديدة !

فإذا راعينا أن هذه المدة أكثر من ضعف المدة الأخرى التي بدأت فيها قريش تحصد ما غرست كان لنا أن نسأل :

هل كان لعامر آثار في ذلك الزمن ، نستطيع فهمها جملة وتفصيلا ؟

وخير ما أجيب به هنا أن أذكر ثلاثة آثار له ، والحكم للقراء بعد تصفحها ، والنظر في مشتملاتها :

(١) الأثر الأول أبيات قالها ، يسجل فيها إجلاء قضاة عن ديارها في سيف البحر الأحمر ، بعد أن قاتلتها مضر وربيعة وكندة ، وفي هذه الأبيات تراه ملتصقا عذر قومه ، فاعيا عقوق القضاة وخيافتهم :

قصاعة أجلىنا عن الغور كله إلى فليجات الشام تزجى المواشيا (١)
لعمرى لئن صارت شطيرا ديارها لقد تأصر الأرحام من كان نائيا
وما عن تقال كان إخراجنا لهم ولكن عقوقا منهم كان باديا
بما قدم النهدي لادر دره غداة تمنى بالحرار الأمانيا
(٢) أما الأثر الثاني من شعر عامر ، فقوله وقد بدأ الشيب يشتعل
في حاجبيه :

أرى شعرات على حاجبى بيضا نبتن جميعا تؤاما
أظلم أهاهى (٢) بهن السكلا ب أحسبهن صوارا قياما
وأحسب أنفى إذا ما عشيــــــــت شخصا أمامى رآنى فقاما
(٣) والأثر الأدب الثالث (نثرى) قاله ناصحا في أواخر أيامه :
« من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له ، وكان الباطل أولى به ، وإن
« الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق ،
« لا تفرحوا بالعلق (٢) . ولا تشمتوا بالذلة . وبكل عيش يعيش الفقير ،
« ومن يرّ به . وأعدوا لكل أمر عدة ،

(١) لم تقتصر هجرة قضاة على نجد وحدها خلافا للبحاث جورجى زيدان في كتابه العرب قبل الإسلام ص ١٧٠ ، بل هاجر فريق منها إلى أطراف الحيرة ، وفريق ثان إلى اليمن ، وثالث إلى نجد وأكثرهم إلى الشام ، ويستمداد هذا من شعر عامر في الأبيات الأربعة ، ومن معجم البكرى ص ١٦ وما بعدها .

(٢) أهاهى : أقول هأهأ ، والاصل في هاتين الكلمتين أن تزجر بها الإبل .

(٣) العلق بكسر العين النقيض من كل شيء .

رأى في الآثار الثلاثة :

في رأى أن هذه الآثار الثلاثة مختلفة الزمن :

١ - فأقدمها الاثر الأول ؛ لأن الفخر بإجلاء الخصوم ، والشهادة بهم الخ من صفات الشبان الذين تسترعى أنظارهم ، وتستهوئ أفئدتهم أعمال البطولة والقوة الجسمية

٢ - ورؤيته الشعرات البيض على حاجبيه تدل على أنه كان بعد السبعين

٣ - وأما الأثر الأخير فيدل على أنه صدر منه وهو حكيم العرب ، ومن أولى بالحكماء من الحكم . وإزجاء النصائح . وتبصير أقوامهم بمسافة الخلف بين الحق والباطل ، واستشعارهم الوقار في نعمائهم وبأسائهم ، والتأهب لحادثات الليالي !

فهل بلغت ما أريد بتلك الأدلة الخمسة على قدم عامر بن الظرب وبتلك الآثار الثلاثة على أن اللغة التي نزل بها القرآن كانت قبل مجد قريش بقرن ونصف على الأقل .

عظة كعب بن لؤي الجند السابع للنبي

تقدم أن من قصي إلى النبي ﷺ نحو ٢٠ سنة ، فأفيد هنا أن كعب ابن لؤي كان قبل قصي بنحو ١٢٠ سنة فيسكون بين النبي وبين جده كعب نحو ٣٥٠ سنة . فهو من معاصري عامر بن الظرب العدواني ، وهذه العظة التي سنسجلها هنا قالها كعب في إحدى الجمع ، يعظ بها بنيته وأهله ، من قبيلة قريش . وقريش لم تكن لها لهجة منسوبة لها إلا من بعد قصي ، فهذه العظة ليست من لهجة قريش لأنها قبل أن تخلق هذه القبيلة بأكثر من ١٥٠ سنة . وهذا نصها نقلا عن « الزبير بن بكار » (١) :

« أما بعد فاسمعوا وافهموا . وتعلموا واعلموا ليل داج . ونهار ساج ، والارض مهاد . والسماء بناء . والجبال أوتاد . والنجوم أعلام . والأولون ،

كالآخرين فصلوا أرحامكم . واحفظوا أصهاركم وثمروا أديالكم . فهل رأيتم من هالك رجع ؟ أو ميت انتشر ؟ . والدار أمامكم . والظن غير ما تقولون .

النتيجة

وبترديد النظر في هذه الآثار . نجدها من اللهجة التي ورد بها القرآن : سدى وملح . وجملة وتفصيلا ، ولا نجد تناكرا بينها وبين لهجة القرآن . وهو الذي نزل بلسان عربي مبين . فهما من نبع واحد : في الألفاظ والأسلوب والنسج . والمذهب الكلامي : والجزالة تارة . والركة تارة أخرى ومراعاة المقام لإصابة الهدف . وأى أديب الآن . وأى عربي في العصر العباسي أو الأموي أو النبوي . إذا سمعها لأول مرة لا يشعر بابهام أو حيرة . ولا يحتاج إلى مفسر أو معجم مع أن بين الآثار الثلاثة في جملتها وبين الهجرة نحو ٣٥٠ سنة ، وبينها وبين الآثار القرشية نحو ٢٠٠ سنة فما لا شك فيه بعد هذا أن اللهجة العربية التي وردت بها هذه الآثار الأدبية القديمة ، والتي نزل بها القرآن بعد هذا . والتي يكتب ويقرأ ويؤلف بها الأدباء الآن في الأقطار العربية . كلها متشابهة . مما يدل على أن الأصل واحد . وأنه قديم ، وأن شعراء العرب وحكامهم ومن تبعهم كانوا يتفاهمون بها في سوق عكاظ في منافراتهم ومفاخراتهم بهذه اللهجة .

فاذا تشكك واحد في صحة ما ذهب إليه ، متأثراً بما قرأه في بعض الكتب الدينية المحترمة . فأرجو أن لا يسرع بالإنكار أو الخصومة . وعليه أن لا يضيق صدره حرجا مادام باب التأويل فسيحا . وما أجدنا إلى التأويل إلا استحالة المعنى القريب الذي قد تفيد هذه النصوص . وإلا لو أصر على رأيه لاصطدم بعقبة لا بد أن تفقده توازنه الفكري ، وقد يسرى هذا إلى عقيدته الدينية . فيكون في هذا البوار . وإن كان في شك من هذا فليدلي على معنى حديث ورد في البخاري أو ثني كتب الحديث

أصمى سمرم في كنفانة الهاء ضمين:

ولعل أصمى سمرم في كنفانة القائلين بنزول القرآن بلغة قريش ماروى (١) منسوبا إلى سيدنا عثمان . عند جمعه المصحف « أنه أرسل إلى زيد بن ثابت . وإلى عبد الله بن الزبير . وسعيد بن العاص . وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فأمرهم أن ينسخوها — أى المصحف التى سجل فيها القرآن أمام عمر — ثم قال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم فيه أنتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش ، فإنه نزل بلسانهم » .

دواعى :

١ - هذه الرواية التى يعتمدون عليها إحدى روايات أربع :

الرواية الثانية عن زيد بن ثابت أن عثمان أمره أن يكتب له مصحفا بعد أن رفع إليه أمر الاختلاف — اختلاف المسلمين الذين يقرئون الصنية . ثم قال له : إني مدخل مكة رجلا لبينا فصيحاً . فاكتباه وما اختلفتما فيه فارفعاه إلى ، فجعل معه أبان بن سعيد بن العاص .

والرواية الثالثة أن عثمان خطب في الناس يومئذ . وعزم على كل رجل عنده شيء من كتاب الله لما جاء به . ثم دعاهم رجلا رجلا فناداهم : أسمعتم رسول الله ﷺ وهو أملاء عليكم؟ فيقول نعم . فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من أكتب الناس؟ قالوا كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت . قال : أى الناس أعرب؟ قالوا : سعيد بن العاص . قال : فليمل سعيد . وليكتب زيد (٢) .

والرواية الرابعة سجلها السيوطى (٣) أن عثمان أمر أن يكون المملى من هذيل والكاتب من ثقيف

(١) البخارى في كتاب المناقب باب نزل القرآن . . . والترمذى في كتاب التفسير : تفسير

(٣) المزهر ج ١ ص

(٢) إعجاز القرآن ص ٤٠

سورة التوبة

فيا حضرات السادة لم ترجحون الرواية الأولى التي تنسب لعثمان أنه صرح بنزول القرآن بلغة قريش؟ أليس في هذا ترجيح بلا مرجح؟

٢ - أنتم تؤمنون معي أن الأساليب البيانية لا تعتمد على الحقيقة وحدها، بل في كثير من الظروف يلجأ الأدباء إلى المجاز العقلي، أو المجاز اللغوي: مرسلا، أو استعارة، أو تشبيها، وقد يعبرون عما يريدون بالكناية، فالمراد الواحد كثيرا ما يعبرون عنه بطرق مختلفة، والذوق الفني، وحده هو الذي له حق التوجيه، وحق اختيار الأسلوب.

بل إن الحقيقة نفسها أنواع - كما هو معلوم - فقد تكون حقيقة لغوية، أو شرعية، أو فنية. فمن أوحى إليكم أن القول المنسوب لعثمان في لغة قريش حقيقة لا مجاز فيها؟ ثم من أنبأكم بأن هذه الحقيقة شرعية لا لغوية؟

إذا كنتم تحملون مثل هذا الحديث على الحقيقة الشرعية حتما، فإذا تقولون فيما رواه البخاري في حديث الإسراء؟

لقد كان فيما رواه النبي ﷺ عن عجائب هذه الليلة قوله: «... ثم رفعت لي سدرة المنتهى، فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات...»

إن هذا الحديث صادر من النبي نفسه لا من عثمان.

فإذا حملتموه على الحقيقة فهل تختارونها الحقيقة الشرعية؟ وما المرجح للحقيقة على المجاز؟ أو للحقيقة الشرعية على الحقيقة اللغوية مثلا؟

أليس في تصميمكم على توجيه المعنى هذه الوجهة، إخراج لما كنتم، أمام علماء الجغرافية، ورجال الإدارة، ورجال الطيران، ورجال الحرب، ورجال المساحة، وألوف الرواد والكاشفين، الذين انتهوا من زمن بعيد من تحديد

منابع النيل وعلاقتها بخط الاستواء ، وبالبحيرات الاستوائية ، وتسميتها
ومساحتها . ومقدار ما ينال النيل منها . وبيان كل ما يمد من كميات المياه من
أية جهة على مدار السنة . وفي أيام الصيف؟ ثم أليس ما ينطبق على النيل ينطبق
على الفرات؟ فإذا رجعت إلى رفض الحقيقة بأى أنواعها لأنها تخالف الواقع
الملموس . وما أجمع عليه العلماء المختصون . فإذا يمنعكم أن ترفضوا المعنى
الظاهر فى الكلام المنسوب لعثمان فى إحدى رواياته وأن تحملوا الأثر
على المعنى المجازى ، مع ملاحظة أن ما ينسب إلى رسول الله ﷺ أقوى مما
ينسب إلى عثمان ، وما أجمعت عليه الروايات فى حديث النبى ﷺ أمثل مما
اختلفت فيه الروايات فى كلام عثمان وإذا ساغ لنا أن نتجة بحديث النبى المعصوم
من الحقيقة إلى المجاز ولنا فى الأساليب البيانية . وفى الحقائق الملموسة أقوى
سند . فأسوغ منه لنا أن نتجه هذا الاتجاه نفسه ، فى بعض ما نسب إلى عثمان
ولنا سند قوى كل القوة . متين كل المتانة . فى الدليل المنطقى والدليل القبلى
والدليل الزمنى ، ودليل الرواية ، وأرى علماء اللغات ، ودليل النصوص الأدبية
ومنها الأمثال المنسوبة

ولنا عَضْدٌ شديد من إجماع المؤرخين على أن قریشاً لم تشرف على إدارة
السكينة إلا أقل من قرنين من الزمان . وإلى أن الحصاد لا بد أن يتأخر عن
الغرس لدى نهضات الأمم نحو خمسين سنة فهل ١٥٠ سنة كافية لخلق لغة .
وإبتكار أساليبها ، والسمو بها إلى هذا الكمال ، الذى ليس له نظير ، فيما حدثنا
به علماء اللغات ؟

وهل ١٥٠ سنة كافية لأن تَخْتَرع شعراً كاملاً ناضجاً سامياً على هذا
النمط البديع والاكتمال العجيب !! وكافية لخلق عدة بحور بلغت ستة عشر
بيتاً . وعدة أغراض بلغت ٣٦ عروضا !!

الحق أن هذا نوع من المبالغة أو ضلال الفهم وأن القرآن لم ينزل بأهجة قریش
ومن كان فى شك من مذهبي بعد ما قدمت وفى حاجة إلى أدلة جديدة
فلير هف السمع لدليلين لهما أثرهما وآخر سهمين فى كسائتي

الدليل الأول - وهو السابع - أن الله وصف القرآن في تضاعيف آياته تسع مرات بأنه عربي . ولو ذكره مرة واحدة بما نسب لسيدنا عثمان مما يتمسك به بعض الناس لكان لهم بعض العذر، أما وهو لم يذكر قريشا في هذه الآيات ، بل ذكر أنه قرآن عربي . وكررها . ووصل بالتمكّر إلى مرات تسع فكيف يظلون مسحورين بالقول الأول !!

وهذه هي الآيات التسع بترتيب سورها :

(١) قال تعالى في سورة يوسف آية « ٢ » : « إنا أنزلناه (قرآناً عربياً) لعلمكم تعقلون .

(٢) وقال في سورة الرعد آية ٢٧ وكذلك أنزلناه (حكماً عربياً) .

(٣) وقال في سورة النحل آية « ١٠٣ » : « ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي ، وهذا (لسان عربي) مبين .

(٤) وقال في آية رابعة في سورة طه آية « ١١٣ » : « وكذلك أنزلناه (قرآناً عربياً) وصرفنا فيه من الوعيد »

(٥) وقال في آية خامسة في سورة الزمر آية « ٢٨ » : « قرآناً عربياً) غير ذي عوج لعلمهم يتقون » .

(٦) وقال في آية سادسة في سورة فصلت آية « ٣ » : « كتاب فصلت آياته (قرآناً عربياً) لقوم يعلمون .

(٧) وفي آية سابعة في سورة الشورى آية « ٧ » « وكذلك أوحينا إليك (قرآناً عربياً) لتنذر أم القرى ومن حولها » .

(٨) وفي آية ثامنة سورة الزخرف آية « ٣ » : « إنا جعلناه (قرآناً عربياً) لعلمكم تعقلون » .

(٩) وفي آية تاسعة في سورة الأحقاف آية « ١٢ » : « ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة . وهذا كتاب مصدق (لساناً عربياً) . . . »

فهذه هي تقارير الله في محكم كتابه . وشهادته بأن القرآن عربي لا قريشي فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ ومن أصدق من الله حديثاً ؟ .

الدليل الثامن شهادته النقوش : نقش النخاعة (١) .

(١) النخاعة المنسوب لها هذا النقش : قصر صغير للروم قرب دمشق .

١ - المليل الثاموم : (دليل النقوش)

يرى المقارى فيما يأتى شكلين لنقشين أثريين : النقش الأول كتابة عربية نبطية على أنقاض الحجر : والنقش الثانى كتابة عربية بخط نبطى ويعرف بنقش النارة ، وقاريخه ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) . وليتدبر جيداً قبل أن نحوس خلال النقشين أنه تقدم فى صفحة ١٠ من هذا الكتاب ، لدى إزجاء فكرة عامة عن الأنباط ، أن نقشهم آثارهم باللغة الآرامية ليس فيه دليل على أنهم غير عرب ، إذ أن الآرامية كانت لغة الكتابة والنقوش فى أيامهم .

فأزيد هنا أن لغة المحادثة عندهم لم تسكن كذلك . بل كانت عربية ، تبعاً لجنسهم . والآرامية والعربية مرتبطتان بأهمها القديمة : لغة بدو الآراميين أو اللغة البابلية القديمة .

وهذا مثال من نقوش الأنباط على آثارهم ، وهو عهد كتبه رجل اسمه « عائد بن كهل » على قبره ، فى « الحجر » وهى مدائن صالح شمال الحجاز ، فى السنة الأولى قبل الميلاد ، فى زمن أحد ملوكهم : « الحارث الرابع ، الملقب « فيلو باتر » .

١. المليل الثاموم
٢. المليل الثاموم
٣. المليل الثاموم
٤. المليل الثاموم
٥. المليل الثاموم
٦. المليل الثاموم
٧. المليل الثاموم
٨. المليل الثاموم
٩. المليل الثاموم

شكل (١) كتابة نبطية على أطلال الحجر (مدائن صالح) ، وفيما يأتى نطقها بالأحرف العربية كل سطر . ن اليسار يقابل سطرًا فى النقش عن اليمين :

النص الاصلی بالحروف العربیة

- ١ - دنه قبرادی عند عیدو بر
کهبلو بر
- ٢ - الکسی لنفسه وبلده واحرد ولان
دی بتفق بیده .
- ٣ - کتیب تقب من ید عیدو قیم له
ولن دی ینتن ویقبر به .
- ٤ - عیدو یخووی بیرج نیسان شنه
تشم لحرثت ملک .
- ٥ - نبطو رحم عمه ولعنو ذو شرا
ومنوتو وقیشه .
- ٦ - کل من دی یز بن کفرا دنه أو
یز بن أو یرهن أو ینتن أو .
- ٧ - یوجر أو ینالف علوهی کتیب کاه
أو ینبر به أنوش .
- ٨ - لن من دی علا کتیب وکفرا
وکتبه دنه حرم .
- ٩ - کحلیقت حرم نبطو وشلو
لعلم علین .

ترجمتها إلى اللغة العربیة (١) سطراً بسطراً

- ١ - هذا هو القبر الذي بناه عائد
ابن كهيل بن .
- ٢ - القسي لنفسه وولده (٢) وأعقابها
ولن يكون في يده .
- ٣ - كتاب من يد عائد يبيع له ولاي
واحد يخوله .
- ٤ - عائد في حياته في شهر نيسان
(أبريل) السنة التاسعة للحارث ملك .
- ٥ - النبط يحب شعبه ولعن ذو الشرى
ومناته وقيس .
- ٦ - كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه
أو يرهنه أو يهبه أو .
- ٧ - يؤجره أو ينفش عليه شيئاً آخر
أو يدفن فيه أحداً .
- ٨ - إلا الذين كتبت أسماءهم أعلاه .
إن القبر وما كتبت عليه حرم مقدس .
- ٩ - بحسب القاء-ة التي بقدرتها النبط
والسلاميون إلى أبد الآبدين .

(١) العرب قبل الاسلام ج ١ ص ٨٢ مع بعض تعديل حتى في الترجمة .

(٢) في أصل الترجمة وأولاده وقد استحسنتم الجمع الآخر « ولده » لتقرب من نص
النقش ، ومثلها النبط : السطر الخامس والسطر ٩

مما ظننى على هذا النقص :

١ - ألاحظ عليه أن كلماته نحو ٦٧ كلمة . غير واو العطف التى تكررت ١١ مرة ، وأو التى تكررت ٦ مرات والباقي نحو ٦٦ كلمة . منها ، ٤٦ كلمة عربية . أى إن لغة الكتابة عند النبط - وهم عرب - مع كونها آرامية فإن نسبة ما فيها من الكلمات العربية السليمة أو المحرفة قليلا ٦٨,٧ ٪ والالفاظ الآرامية وغيرها - وهى قليلة - ٣١,٣ ٪ .

٢ - وأن « من » الموصولة فى النقش تليها كلمة « دى » وكأنها بدل منها ثم تتلوها الصلة وهى جملة يتفق فى السطر الثانى . وجملة ينتن فى الثالث . ويزين فى السادس الخ . وأنها تكررت فى النقش . وفى كل مرة تاتها « دى » فى الأسطر ٢ و ٣ و ٦ و ٨ أهى ذو الموصولة عند طى أم اسم إشارة ؟ إن كان الأمر الأول فكيف يجمع بين موصولين لاسم واحد ؟ وإن كان اسم إشارة فقد تقدمت على الموصول فى لهجتنا . طواعية لعوامل التعرية . التى لا يفتصر نفوذها على الماديات وحدها . كالجبال والوهاد ، فلم آثر العرب فى الجاهلية المتأخرة أن يجعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ؟ ولم يستحسنوا أخيراً أن يقدموا اسم الإشارة على المشار إليه ؟ إذ اثبت أن دى اسم إشارة . وهل فى لغتنا الآن من اللهجة القديمة رواج تؤيد أنها كانت تقدم المشار إليه على اسم الإشارة . عكس ما فى لهجتنا الآن ؟ .

(أ) أما أنهم من قديم الأحقاب جعلوا الاتصال مباشراً بين الموصول وصلته ، فسببه أن صلة الموصول تابعة له ، ويجب أن يكون التابع متأخراً عن المتبوع ، واحتياج الصلة إلى الموصول . يجعلهما كالشئ الواحد . لا يصح أن يفصل بينهما فاصل أجنبى ، كأسماء الإشارة .

(ب) وسبب تقديمنا اسم الإشارة على المشار إليه . خلافاً للهجة القديمة ، أن اسم الإشارة بمثابة تنبيه لامر مهم - هو المشار اليه - وقد يدعمون ذلك

التنبيه الأدبي بحرف «ها» التي جعلت وضعها للتنبيه الرسمى . فنجد في كثير من التعابير : هذا وهذه وما تفرع منها . أكثر من ذا وذو وفروعهما .

(ج) وأما وجود رواسب في لهجتنا الحالية ، واللهجة القديمة ، وتعبير آخر تأخير اسم الإشارة عن المشار إليه . خلافا لما استقرت عليه اللهجة العربية الأدبية التي نزل بها القرآن ، فالمتبع لألفاظ لهجتنا العامية . لا يجدنا نستمعمل اسم الإشارة والمشار إليه إلا على طريقة هذا النقش الذي بين أيدينا ، أى تقديم المشار إليه على اسم الإشارة . فإذا أردنا أن نشير إلى شجرة أو كتاب وما أشبههما . فإننا لا نقول إلا :

الشجرة دى . والكتاب دا . أى هذه الشجرة . وهذا الكتاب

قيمة اللغات العامية :

وفي هذا دليل على أن اللغات العامية أشبه بقيعان البحور ، فيها ما تريد من الأولو والمرجان وآثار الحروب والمدنيات ، وفيها ما لا تريد من . . . لذا أرى أنها أدل على اللهجات البائدة ، من اللهجات الأدبية ، التي ينطق بها الخاصة ، في كل زمان ومكان ، وفي هذا ما يكفي لبيان قيمة اللهجات العامية . ولأعد إلى ملاحظاتي على هذا النقش : نقش عائذ بن كهيل .

٣ - ومن ألفاظ النقش كلمات عربية سليمة ، لكنها مهجورة في استعمالنا الأدبي ، وإن كانت حية في المعاجم اللغوية مثل : « يقبر » و « زين » والفعل الأخير يحتمل البيع والشراء ، لذا تكرر في النقش ، ليدل على هذين المعنيين ، ومعنى زين يدفع ، والدفع إذا كان المدفوع ثمنا فهو شراء ، وإن كانت السالعة فهو بيع .

٤ - ويلاحظ أن « عيدو » و « كهيلو » و « نبطو » و « منوتو » و « شلبو » كلها منتهية بواو ، شأن اللغة الآرامية ، فأغلب الكلمات هنا موضوعة في قالب آرامي .

٥ - والملاحظة الخامسة أن من كلماته اثنتين بالسين هما « السكس »
و « نيسان » لكننا في الوقت ذاته نجد خمس كلمات وردت بالشين المعجمة ،
أو السين المحملة ؟

يخيل إلى أنهم في ذلك العصر ، كانوا في بدء محاولة ، يريدون بها أن يستثنوا
من الشين المعجمة بعض الأسماء التي تدخل في حماتها ، فبدعوا بالأعلام ،
ويظهر أن هذا النجد يد راق جمهرة الكتاب والقادة وقتذاك . فأخذ يتسع ،
حتى صارت القاعدة استثناء ، والاستثناء قاعدة ، في الجاهلية الثانية ، وابتاعت
لغة الكلام لغة النقوش والكتابة عند عرب الأنباط .

النقش الثاني : نقش النمارة (١)

تتابعت أبحاث الأثريين بعد كشف القبر المنسوب لعائذ بن كهيل ، حتى
عثر « دوسو » المستشرق الفرنسي ، في خرائب البازة بين ، آثار الغسانيين في
« حوران » حاضرتهم ، على حجر من البازلت ، مساحته ٤٠٠ م٢ و ٣٠ م٢
أمتار (٢) أصله من أنقاض قبر قديم ، هو العتبة العليا من ذلك القبر ، وعليه
خمسة أسطر منقوشة بالحرف النبطي الحديث ، واللسان العربي الشمالي ،

قيمة النقش :

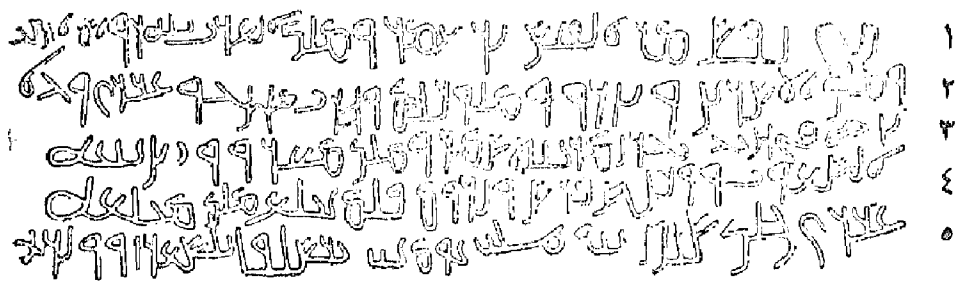
والذي يجعل لهذا النقش قيمة خاصة ، أن هذه الكتابة أقدم كتابة عربية
شمالية عثروا عليها ، بعد نقش عائذ بن كهيل

(١) النمارة المنسوب لها هذا النقش قصر صغير للروم قرب دمشق في الحرة الشرقية من

جبل الدروز

(٢) العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١١١

وهذه صورة مصغرة لها مأخوذة بطريقة التصوير الشمسي :



شكل (٢) كتابة عربية بخط نبطي على قبر امرئ القيس بن عمرو الذي تولى حرش الحيرة من ٢٨٨ — ٣٢٨ م (٢٤٥ — ٣٠٣ ق. هـ)

وهذا نصها بالحرف العربي الحاضر (١) :

- (١) ت نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التاج
- (٢) وملك الاسدين وزرو وهرب مذحجو عكدي وجاء
- (٣) يزجو في حبيج نجران مدينة شمر وملك معدو ونزل بنيه
- (٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم [فلم يبلغ ملك مبلغه]
- (٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول باسعد ذو ولده

وهذا تفسير الألفاظ مرتبة باللغة العربية الفصحى :

- (١) هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي حاز التاج
- (٢) وملك الاسدين ونزارا وملوكهم وهزم مذحج بقوته وجاء
- (٣) بالظفر إلى أموار نجران مدينة شمر وتملك معدا ونزل - قسم - بنيه
- (٤) على الشعوب وأناهم عنه لدى الفرس والروم (فلم يبلغ ملك مبلغه)
- (٥) إلى اليوم توفي سنة ٢٢٣ في اليوم السابع من أيلول (سبتمبر) وفق للسعادة بنوه

(١) تاريخ العرب لحنفي بك ناصف ج ١ : ٧٥ ، والعرب قبل الاسلام ج ١ : ٢٠٢

التاريخ البصري والهجري والميلادي

وقد حقق الأثريرين أن التاريخ المذكور في السطر الخامس تاريخ بصري، نسبة إلى « بصري » في حوران، والتاريخ البصري يبدأ بدخولها في حوزة الروم سنة ١٠٥م فإذا أضيفت إلى سنة ٢٢٣ التي في النقش كان المجموع ٢٢٨م ويوافق هذا السنة التي توفي فيها هذا الملك وذلك قبل الهجرة بنحو ٣٠٣ هـ (١) فأقدم هذه التواريخ التاريخ الميلادي، فهو قبل البصري بنحو ١٠٥ سنة، وقبل الهجري بنحو ٦٢٢ م.

(ب) وأوسطها التاريخ البصري فهو بعد التاريخ الميلادي بنحو ١٠٥ سنة وقبل التاريخ الهجري بنحو ٥٣٣ سنة.

(ج) وأحدثها التاريخ الهجري، فالسنة الأولى من الهجرة توافق ٦٢٢م

من نتائج النفس السلي

(١) إن أولى النتائج لهذا النقش أننا أطلنا عمر النثر الجاهلي فجعلناه أكثر من ثلاثة قرون، بعد أن كان لا يتجاوز قرنا ونصفا، فيكأن عمره زاد أكثر من ١٠٠ ٪ على ما حدده له أكثر الباحثين حديثا وقديما.

(٢) والنتيجة الثانية أن المناذرة كانت لهم لغتان على الأقل : لغة رسمية ولغة أدبية، وفي النقش الثاني برهاناهما.

(٣) والنتيجة الثالثة أن العبارة التي توج بها النقش كانت في أعلى طبقات البلاغة العربية في عالم النثر، والنثر والشعر للآداب كالجناحين للطائر، فكما لا تتصوره، طائرا إلا بهما معا، فكذلك الأدب، فإذا كنت قد استنتجت أن ذلك النموذج كان مظهرا من مظاهر قوة النثر في عنقوان شبابه، فلا بد أن

تكون قد مضت حقبة طويلة وهو في تلك القوة ، ولا تمل هذه الحقبة عن ثلاثة قرون قبل ذلك التاريخ ، وهذا الزمن يوافق الميلاد المسيحي على الأقل فإذا لم يكن عند ميلاد المسيح ثرقوى ، قوة الجملة الأدبية الرائعة ، التي دسها ذلك الأديب الذي كلف نقش ذلك الأثر الرسمي أو النبأ الحكومى فلا أقل من أن يكون فيه إذ ذاك شر عرب يقرب من تلك الجملة البليغة ، ولعل الفرق بين القوتين كالفرق بين صياغة النقشين السابقين ، ولا يخفى أن الزمن بينهما نحو ثلاثة قرون وهى التي قدرتها أولا ، وأن النقش الأول كان في القرن الأول قبل المسيح . ولا يمكن أن نتصور ثراً هكذا في تلك الحقبة ، دون أن يسايره شعر في قوته ، ومن معدنه ،

(٤) والنتيجة الرابعة تختص بعدم تضمن النقوش أشعارا غالبا أن النقوش كبلغات رسمية لا يصح أن تتضمن قصيدة لشاعر ، أو أجوزة لراجز ، لأن هذه خيال وعواطف ، والحكومات لا تغنى بالخيال والعواطف ولا بالاستعارات والسكنايات ، ولا بفضون البديع والمعان والبيان ، بل أساسهما منصرف في منشوراتها وبلاغاتها الرسمية إلى الحقائق التي تربط الحاكمين بالمحكومين ، والملوك بالسوقة ، وتبصير شعوبها بالقوانين السلبية والإيجابية (فالأولى) للتحذير مما تذكره الحكومة حتى لا يكون ذلك من عوامل الهدم (والثانية) لتقوم الشعوب بنصيبها في تشييد دعائم المصلحة العامة لتكون من عوامل البناء ومحال للشعب أن ينفذ القوانين إلا إذا كانت (جامعة مانعة) كما يقول المنطقة ، وكانت ألفاظها مشهورة ، ودراميتها واضحة ، وحدودها كأنها حدود هندسية . وفوق هذا فإن البلاغات الرسمية من شأن الحكومة ، والصور الفنية الأدبية كالشعر من شأن الشعب أو خاصته في الأدب ، فإذا كانت فروع الحكومة كالسلطة التنفيذية والسلطة القضائية مثلا لا يصح أن نطغى واحدة منهما على الأخرى ، أو أن تتداخل فيما ليس من اختصاصها والكل هيئات حاكمة رسمية ، فما بالك بأعمال الحاكمين وأعمال المحكومين واليون شاسع ، والهدف مختلف !!

(مخرج التسمية الأول)

سبقت ملاحظاتى فى ص ٢٤٥ ن كلمات النقش الأول غير الأعلام
وحروف العطف ٦٧ كلمة منها نحو ١٤ كلمة عربية كـهـرـبـيـتـنا أو منحرقة عنها
قليلا ، وأن كلمات النقش الثانى من غير الأعلام ٢٣ كلمة منها ٢٨ عربية

فنسبة المفردات اللغوية العربية فى النقش الثانى نحو ٨,٨ ٪ .

ونسبة المفردات العربية فى النقش الأول نحو ٦٨,٧ ٪ فيتضح من

هذا أن نسبة ما نقصه النقش الأول عن الثانى نحو ١٦ ٪ فى أكثر من ٣٠٠

سنة فروع الذئب الأدبى فى أيام النقش الأول ، لا بد أن تقل عنها فى أيام

النقش الثانى بهذه النسبة ، أى ١٦ ٪ فلو أردنا أن نحدد طفولة الأدب

العربى الحالى لكان ذلك فى رأى قبل النقش الأول بأكثر من ثلاثة قرون

أخرى ، فهل فيما يكشف من الآثار ما يدل على ذلك ؟

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتىك بالأخبار من لم تزود

وذلك هو ما أرجحه . ونتيجة هذا أن طفولة الأدب العربى . أو طفولة

اللمجة التى نزل بها القرآن بدأت فى عهد الإسماعيليين ، وقبل عدنان نفسه ،

وهو الذى حققت فى صفحة ٤١ من هذا الكتاب ، أن زمنه كان قبل الميلاد

المسيحى بنحو ثلاثة قرون .

نقش البمارة

مقابلة بين ثلاث تراجم لكل سطر بالترتيب

(١) الأولى لتاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون ص ١٩٠

(٢) الثانية » الأدب » الحفنى بك ناصف » ٧٥

(٣) الثالثة » العرب قبل الإسلام لجورجى زيدان » ٢٠٢

رقم السطر	رقم الترجمة	الكلمة ١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١
(١) سطر	١	هذا	قبر	امرىء القيس	بن عمرو	ملك	العرب	كلهم	الذي	حاز	التاج	
	٢	»	»	»	»	»	»	»	»	»	»	
	٣	»	»	»	»	»	»	»	»	تقلد	»	
(٨) سطر	١	وملك	الاسديين	ونزارا	وملوكمهم	وهزم	مدحج	بقوته				
	٢	وملك	الاسديين	»	»	»	مدحجا	اليوم				
	٣	وأخضع	قبيلتي أسد	»	»	»	»	إلى اليوم وقاد				
(٤) سطر	١	وجاه	إلى نرجسي أو (برنجي)		في حبيج	نجران	مدينة	شمر	وملك	معدا	وأزل	بنيه
	٢	»	بفنائهم		في مجتمعم	»	»	»	وملك	»	استعمل	بنيه
	٣	الظفر	إلى أسوار			»	»	»	وأخضع	»		
(٣) سطر	١	ارضن	الشمووب	ووكاه	الفرس	والروم	فلم	يبلغ	ملك	مبلغه		
	٢		»	»	»	»	»	»	»	»		
	٣		على القبائل	وأناهم عنه	لدى الدرس	»	»	»	»	»		
(٥) سطر	١	في الحول	هلك	سنة ٢٢٣	يوم ٧ النول	(كانون	ليسد	الذي	ولده	الذين خلفه		
	٢	اليوم	»	»	»	(الاول	فليسعد	الذين	ولدهم			
	٣	إلى اليوم	توفى	»	»	(سبتمبر)	وفق بنوه لاسعد					

رأى فى لغة النقوش

المشاهد فى زمننا ولا سيما قبل الحرب العالمية الكبرى، التى اشتعلت نارها فى سنة ١٩١٤م، أن لغة الوثائق الرسمية لدول العالم، كانت هى اللغة الفرنسية، وبعد انطفاء جهرتها بدأ الوعى القومى يثيقظ لدى الشعوب والدول، فأخذت بعض الدول الكبرى كروسيا وألمانيا، تسجل آراءها فى المؤتمرات الدولية وخطتها بلغتها القومية، وأخذت دائرة اللغة الفرنسية تضيق رويدا رويدا.

ومع ما بلغت هذه اللغة من الانكماش بعد الحرب العالمية الثانية تجدها لاتزال لغة الوثائق الرسمية الدولية وهذه مصر مع ما بلغت من درجات الاستقلال، يثير عجبك أن كل ماله علاقة بالأجانب يترجم إلى هذه اللغة، وفى وزارة الخارجية عندنا ما يؤيد هذا، فالو أن شاديا عشر على هذه الوثائق بعد بضعة آلاف من السنين لارنبك فى معرفة اللغة الرسمية لمصر، هى العربية أم الفرنسية، وفى الحكم على المصريين : أهم من نسل العرب أم نسل الفرنسيين أما أن يطرأ على ذهنه جنس ثالث وهو الفراعنة فهو مستحيل إذ لا دليل عليه فى تلك الوثائق، ولو أراد أن يهتدى إلى لغة العامة فى مصر ولغة الخاصة لكان أكثر حيرة وأكثر ارتباكا إذ لا دليل عليها فيما بين يديه من تلك الوثائق الرسمية مع كثرتها وتنوعها.

هكذا الحال فى هذين النقشين : نقش « عائد بن كهيل » على قبره فى الحجر « مدائن صالح »، ونقش النماره لقبر « امرىء القيس بن عمرو » من ملوك اللخميين.

فلوساغ لشخص أن يطلع على وثائق وزارة الخارجية المصرية مثلا بعد بضعة آلاف من السنين، وأن يحكم بناء على ما شاهد أن لغة العامة هى لغة الخاصة، وهما اللغة الرسمية لتلك الدولة، لساغ لنا أن نحكم الآن بأن ذينك النقشين المتقدمين وبقية النقوش الأثرية القديمة، نموذج للغة التى كانت متفشية

إذ ذاك في مدائن صالح . وفي حوران بين الغساسنة ، وأن لسان العامة هو لسان الخاصة ، وهما صورة طبق الأصل من تلك النقوش ١١ .

ولكن معرفتنا نحن الآن بأن لغة مصر في القرن العشرين للميلاد وهي اللغة العربية ، وأن اللغة الفرنسية ماهي إلا اللغة الدولية ، التي تترجم إليها الوثائق التي تهتم الأجانب ، وأن اللغة العربية ثلاثة أنواع : نوع للعامة ، وثان لخاصة الأدباء ، وثالث للمنشورات الرسمية الحكومية وأن هذا النوع الأخير وسط بين النوعين السابقين ، إن معرفتنا هذه بتلك الأنواع الأربعة ، تقرب إلينا صحة الحكم بأن لغة النقوش قديما كانت هي اللغة الرسمية ، وأنها غير اللغة الأدبية على الأقل - وما علينا من لغة العامة - أو اللغة الرسمية الدولية إذ ذاك !

بناء عليه لا يصبح لباحث مدقق بعد الآن أن يحكم بأن لغة النقوش عند الأمم القديمة هي اللغة الوحيدة التي كان يستعملها (العامة) و (الخاصة) (والحكومة) في وقت واحد .

كما لا يسوغ له أن يحكم بأن أدباء العرب لم تسكن لهم لغة خاصة بهم قبل المملكة القریشية أو أن العثور على آثار أدبية للعرب من شعر أو خطب قبل مجد قریش نوع من الأكاذيب وحجة هؤلاء المنكرين أن الآثار النقشـية لم تذكر لنا بيتا واحدا من الشعر ، فضلا عن قصيدة أو مقطوعة ولم تسجل لنا جملة من آثار اللغة الأدبية في تلك العصور الخوالي فضلا عن خطبة أو عظة .

ولو تابعنا هؤلاء بدفع من جنس دفعهم لقلنا إن كل ما وصلنا من آثار العرب الأدبية قبل الإسلام نوع من الأكاذيب ، إذ لا دليل عليه من النقوش التي يتمسكون بها ، ويشيدون بذكرها ويرفضون ماعداها ١٢ .

فإذا قالوا لنا : إن المعلقات السبع وما أشبهها وإن لم تصل إلينا على صفحات الأحجار منقوشة ، فقد وردت إلينا على ألسنة الرواة محفوظة ،

قلنا لهم : كيف تحلو نه عاما وتحرمونه عاما ! . وكيف تصدقون علم الرواية ونقل الرواية في قرن ونصف قبل الإسلام ، وتسكتون ما قبله ! ،

إن ذلك ترجيح بلا مرجح كما يقول المناطقة وهو باطل ! .

ولم اخترتم ال ١٥٠ دون ما عداها ، ولم ينزل عليكم بها وحى !
فإذا ألقوا سلاحهم - وما أظنهم إلا ملقين - قلنا لهم : إليكم دليلا ثانيا
على لسان النقوش :

نصن أبي في نفسه أخرى :

نظرة إلى اللهجات التي تضمنها نقش النجارة على قبر الملك اللخمي :
« امرئ القيس بن عمرو ، المتوفى سنة ٣٢٨ م (٣٠٣ ق هـ) ترينا أن منه
ألفاظا آرامية ونبطية وعربية

فكلمة (تن) يقابلها في العربية هذا ، و « نفس » تقابلها ألفاظ كثيرة
اختار لها المترجمون كلمة قبر ، بل إن هذا اللفظ دخل في لهجة إحدى القبائل
العربية ، فأطلقوه على أمور منها الجسم ، كما في القاموس المحيط مثلا في
مادة « نفس » .

و (بر) يقابلها ابن ، و (هكدي) يقابلها اليوم .
وهذا فوق الكلمات العربية المتداولة الآن بين العامة والخاصة من
العرب مثل :

(ملوك العرب) و (ملوكهم)

كانجد به بعض الأساليب العربية ، وإن تسكن أشبه بأساليب الهمالة في
زماننا مثل : (نزل بنيه الشعوب) بتشديد الزاي ، فهي تقابل في أساليبنا
الأدبية : توج بنه ملوكا على الشعوب مثلا .

(بيت القصيد)

وفي هذا النقش أيضا - وهو بيت القصيد - جملة رائعة كأنها أثر من آثار

الأدب العربي في عصره الذهبي أيام الرشيد والمأمون ! هذه الجملة الرائعة هي : (فلم يبلغ ملك مبلغه)

لكنني بمحرر هذا النص الكريم أوجس خيفة ، أن يأتي من يتشككون في وجود الأدب العربي في عصره ، أو في عربية دولة المناذرة ، فتوج هذا النقش البليغ بهذا التعبير الرائع الخالد !! ليقطع الشك باليقين !! والباطل بالحق ! ولأنني به يرسل صوته رهيبا مجاجلا في دنيا الأدب ، هاتفا في آذان الشعوب المتحالفين ، وكسالى العرب المثقفين :

ألا أيها النوام ويحكوه هبوا !!

ماذا جنى الأجداد حتى ينكر قدم آدابهم الحفدة ! وما جريرتهم حتى يمالئ أسباطهم أعداءهم ! وماذا يضر الثقافة الانسانية ، أو الآداب العالمية ، أن تكون آداب العرب سبقت الهجرة بسبعة قرون ، بل بأكثر !

قومي استولوا على الدهر فتي ومشوا فوق رموس الحقب !

إن كنتم لا تؤمنون بما قدمت من الأمثال التي برهنت على أن بعضها يسبق الهجرة بنحو ثمانية قرون - (صفحة ١٠٤) ولا بالآثار الشعرية التي برهنت على أنها قيلت في القرن السادس قبل الهجرة على لسان أعصر بن سعد بن قيس عيلان - وغيره كثير - فماذا يحول دون إيمانكم بهذا النقش وما تضمنه من ذلك الأثر الأدبي الرائع ، وقد سبق الهجرة بنحو ٣٠٣ سنة أي قبل المدة التي سوروها بها الآداب العربية بنحو ١٥٣ سنة ، وأكثر من ضعف المدة التي أصدرها أمرهم الكريم بها ! ألم تتحدونا من قبل أن تأتي بمثل هذا النقش ! لقد لزمتمكم الحجة !! فتي تستسلمون !!

تركيز

الآن وقد وصلت إلى الغاية مما أريد ، وحلقت بالمثقفين في سماء الجزيرة العربية وجست بهم خلال آثارها ، وبين محافدها ، ومخالفها يحسن أن أذكر أهم ما حققته بنظرة خاطفة ، جميعا لما انتثر في هذا الكتاب ، وتركيزا

لفكره الجديدة في الأذهان ، فالإجمال بعد التفصيل من وسائل المربين ،
ومن وصايا الطرق التربوية الحديثة :

١ - بسطت في هذا الكتاب لأول مرة في التاريخ كيف نعرف أقدمية
من نشاء - في عصور الجاهلية - من شعراء العرب ، وحوادثهم ، وأيامهم ،
إلى درجة لا تتجاوز العشرين سنة صعودا أو هبوطا (بنظريتي) التي أرسيت
بنيانها على قواعد الخمس .

٢ - وحددت (الجيل النسبي) بأربعين سنة ، مبرهنا على ما ذهب إليه
بأدلة تاريخية قديمة وحديثة ، وتوجت هذه البراهين بالقرآن والتواتر .

٣ - وابتكرت ما أسميته « الجيل الملوكي » لأول مرة في دنيا المباحث
التاريخية ، بعد أن كان كثير من الباحثين يخلطون بين (أجيال الملوك)
و (أجيال الأنساب) حتى الباحث الألماني العظيم ، غلازر ، فقد رأى أن
(الجيل النسبي) يمتد أجمه ، في الوقت الذي يرى أن (الجيل النسبي) يتقاص
ظله ، فزج الجيلين ، وخرج بنتيجة عامة يرغمهما بها على أن يكون كل منهما
٢٥ سنة وبذلك ظلمهما ! أما نظريتي فقد جعلت ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله ،
فصيرت عمر الجيل النسبي ٤٠ سنة ، ومتوسط عمر الجيل الملوكي ١٥,٣ سنة .

٤ - وحققت أقدمية طائفة من الشعراء الذين تردد العلماء قديما في أهم
أقدم ، سواء أكانوا من شعراء المقطعات أم من شعراء القصائد ، ثم
رتبتهم جميعا في ثلاثة جداول تعرف منها بالنظرة العاجلة أقدمية كل
بالنسبة لغيره .

٥ - وأثبت أن أقدم قصيدة عربية في الجاهلية ، وأطولها كانت قبل
الهجرة بالتحديد بـ ٣٠٦ سنة ، وأن هذه القصيدة الخالدة كانت قصيدة شعبية
خلاف لما درج عليه شعراء العرب ، الذين كانت الاتانية مراحمهم ومغداهم .

٦ - وأن « مهلهلا » ليس أول من قصدوا القصائد ، وأن « ابن خدام »
ليس أول من بكى الدمار ، وأن « زهير بن جناب » أقدم منه في هذا ، وأن

«لقيط بن يعمر الإيادي» أسما ذلك من أتوا بعده في هذا النوع من كل من نعرفهم .

٧ - وأن مصدر «الوزن والثقافية» في الشعر العربي ليس بأجنبي ، ورجحت أن يكون امتدادا لما سبقه من الشعر العربي عند الأمم العاربة .

٨ - وأوضحت بقدر ما وسعني من البراهين أن النثر عند العرب أقدم من شعرهم ، وأنه عند غيرهم كذلك ، أو على الأقل نشأ مع شعرهم ، وسار معه ؛ إذ أن الكتابة التي يشترطها الأدباء الحداء للنثر الفني متقدمة على هذا النثر ، ولكنها متأخرة في تطور الأمم ، فهل من المعقول أن تظل الأمم بكاء حتى تبتدع الكتابة فتسجل نثرها !

٩ - وأهم من كل ما تقدم أني أثبت بينة أدلة ، بعضها مما لا يقبل الشك أو المناقشة ؛ لأنه مسجل بالنقوش الأثرية - وترى صورتها في خلال الكتاب - ، أن اللهجة التي نزل بها القرآن ليست لهجة قريش كما زعم متزلفه العلماء في العصر العباسي ، فاحتطب في جبلهم من جاء وابعدهم إلى اليوم ، بل هي لغة الخاصة من أدباء العدنانيين ، ومن هاجر إليهم ، ونزل بينهم من الأمم الجنوبية القحطانية ، أما اللهجة العامية لهم فقد تضمنتها لهجاتهم الخاصة ، فاستقلوا بها في محادثاتهم القبلية ، كما استقلت لهجات الأقاليم المصرية - مثلا - بعضها عن بعض ، ولا سيما الوجه القبلي ، وأسفل الأرض - الوجه البحري - فإن لم أك وصلت إلى درجة الإقناع التام فيما قدمت ، فحسبي أني زلزلت بعض المعارف المتوارثة التي رسخت في أذهان الأدباء ؛ رسوخ العقائد الدينية ، فاكنتسبت قداستها ، واتشجعت بوشاحها ، والشك أول اليقين كما يقول «ديكارت» وكفاني أن مهدت السبيل بهذه المحاولة ، التي أرجو أن تكون فاتحة عهد جديد لأدب العرب في جاهليتهم والسلام .

عبد العزيز مزروع الأزهرى

١٤ / ١٢ / ١٣٦٩ هـ

٢٦ / ٩ / ١٩٥٠ م

(١) فهرس موضوعات

« الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي »

الموضوع	العدد	الصفحة	الموضوع	العدد	الصفحة
دولة كنفذة	٢١	٣٠	الإهداء	(١)	
مصرع حجر أبي امرئ القيس	٢٢	٣٤	شكر وتقدير	(د)	
الشك في قحطانية دول الشمال	٢٣	٣٤	تمهيد للمؤلف	١	١
رأى في قحطانياتهم	٣٤	٣٥	لماذا لانتم بتراث أجدادنا؟	٥	٢
طسم وجديس	٢٥	٣٨	العرب	٦	٣
ما ينسب إليهم من الشعر	٢٦	٣٩	دول العرب العاربة	٧	٤
العرب المستعربة	٢٧	٤٠	أشهر سدود اليمن	٨	٥
ردى على الأستاذ بيهم	٢٨	٤٠	تاريخ سد مأرب	٩	٦
زمن إسماعيل النبي	٢٩	٤٣	الدولة البابلية الأولى	٩	٧
زمن بختنصر	٣٠	٤٤	العاقبة	١٠	٨
القحطانيون ومؤرخو العرب	٣١	٤٥	الانباط ولغتهم	١٠	٩
فوضى تاريخهم	٣٢	٤٧	الدولة المعينية	١١	١٠
بين العاربة والمستعربة	٣٣	٤٨	دولة سبأ	١١	١١
نماذج من تمجيد العلماء	٣٤	٤٩	بنى وبين جرجى زيدان	١٣	١٢
فضل الملوك على التاريخ	٣٥	٥٠	دولة حمير	١٤	١٣
خاود الأدباء	٣٦	٥١	دول اليمن الصغرى	١٦	١٤
كيف نبعت مجدنا المظور؟	٣٧	٥٢	الرباء أو زينوينا	١٧	١٥
نصبي المتواضع	٣٨	٥٤	دولة الغساسنة	٢١	١٦
قيمة تشجير الأنساب	٣٩	٥٦	تصحيح مدتهم	٢١	١٧
عمر الجيل	٤٠	٥٧	حيرة جرجى زيدان فيها	٢٣	١٨
تاريخ عمر الجيل	٤١	٥٨	كيف ابتكرت عمر الجيل المكي	٢٤	١٩
تاريخي لتعيين الزمن الجاهلي	٤٢	٦٠	الغساسنة وتشجيرهم الأدب	٢٩	٢٠

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	العدد	الموضوع	الصفحة	العدد
البذرة الأولى للشعر	١١٧	٦٥	تحقيق زمن قحطان وعدنان	٦٢	٤٢
رأى نظري في هذه الرواية	١١٧	٦٦	بني وبين بحاثة	٦٧	٤٣
أقدم القصائد الطوالى	١١٨	٦٧	تحقيق زمن سيل الحرم	٦٨	٤٤
أقدم الدواوين الشعرية	١١٩	٦٨	عمر الخيل في الكتب المقدسة	٧٥	٤٥
قصيدة لقيط وتحليلها	١٢١	٦٩	تماذج من اختلاف النورخين	٧٦	٤٦
(٢) القسم الثاني	١٢٣	٧٠	الاختلاف حتى في الكتاب المقدس	٧٩	٤٧
شعراء المقطوعات في الحادية			كيف حدثت من امرىء انيس	٨٢	٤٨
أقدم المقطوعات لطل			أسس نظريتي بحكمة	٨٥	٤٩
ابن أدد	١٢٤	٧١	ما جدوى هذه الأسس ؟	٨٩	٥٠
مبدأ ذو بان اللغة القحطانية			تدرج الأدب نثراً وشعراً	٩١	٥١
في العدنانية	١٢٦	٧٢	أيهما أسبق : النثر أم الشعر	٩٢	٥٢
ثمانية من شعراء المقطوعات	١٢٨	٧٣	النثر أسبق	٩٤	٥٣
دويد بن زيد الفضاغى	١٢٩	٧٤	درجات الشعر	٩٧	٥٤
نهد جددويد	١٣٢	٧٥	تدرج بحور الشعر	٩٧	٥٥
أعصر بن سعد	١٣٦	٧٦	أقدم البحور الشعرية	٩٨	٥٦
شاعر المزارعة: المستوغر	١٣٨	٧٧	مصدر الوزن والقافية	٩٩	٥٧
الأمير الشاعر زهير	١٤١	٧٨	أقسام الكتاب :		
ابن جناب			(١) القسم الأول	١٠١	٥٨
سهو الأب لويس شيخو	١٤٣	٧٩	الأمثال المنسوبة	١٠١	٥٩
الآثار الأدبية لزهير	١٤٣	٨٠	نموذج للغة المحادثة قديماً	١٠٩	٦٠
ابن جناب			حجف المنكرين لقدم الآثار الأدبية	١٠٩	٦١
الملك الشاعر : جذيمة	١٤٧	٨١	دفاعى	١١١	٦٢
الوضاح			اللمهجات المنبوذة وأصحابها	١١٥	٦٣
			الشعر العربى «تمهيد»	١١٥	٦٤

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	العدد	الموضوع	الصفحة	العدد
يوم خزازى	١٧٤	١٠٣	آثاره الشعرية	١٤٨	٨٣
حرب البسوس	١٧٥	١٠٤	لجيم بن صعب	١٥٠	٨٤
عمرو بن قميصة	١٧٨	١٩٥	حفدته من الخالدين	١٥١	٨٥
أبو دواد الإيادى	١٨٠	١٠٦	دلالة شعره	١٥٢	٨٦
الأضبط بن قريع	١٨٤	١٧٠	الغنبر بن عمرو	١٥٣	٨٧
امرؤ القيس وأقدميته	٨٦	١٠٨	شعره	١٥٥	٨٨
عبيد بن الأبرص	١٨٧	١٠٩	ابن خذام	١٥٦	٨٩
على يد من كان مصرعاً؟	١٩٠	١١٠	إشارة امرئ القيس إليه	١٥٧	٩٠
المرقش الأكبر وميلاده	١٩٣	١١١	لم ادعاه بنو كلب	١٥٩	٩١
الأفوه الأودى وأقدميته	١٩٦	١١٢	زمنه	١٦٠	٩٢
مناقشة رأى الدكتور طه	٢٠٤	١١٣	أول من بكى الديار	١٦١	٩٣
المشترقون والادب الجاهلى	٢٠٨	١١٤	برام جور ملك الفرس	١٦٣	٩٤
(٤) القسم الرابع			من شعراء المقطعات		
لهجة القرآن ليست قريشية	٢١٠	١١٥	منهج تربيته	١٦٤	٩٥
رأى الدكتور طه	٢١٢	١١٦	نموذجان من شعره	١٦٥	٩٦
براهينى :	٢١٤	١١٧	صحة شعره	١٦٦	٩٧
الدليل المنطقي	«	١١٨	(٣) القسم الثالث		٩٨
القبلى	٢١٥	١١٩	شعراء القصائد فى الجاهلية	١٦٧	٩٩
الزمنى	٢١٦	١٢٠	أول شعراء القصيد فى	١٦٨	١٠٠
إجماع الرواة الخ	٢١٧	١٢١	نظر الرواة		
فضل الرواة	٢١٩	١٢٢	مهمل بن ربيعة وميلاده	١٧١	١٠١
موازنة بين الروايات والنقوش	٢٢٠	١٢٣	بين مهمل وزهير بن جناب	١٧٣	١٠٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	العدد	الصفحة	الموضوع	العدد	الصفحة
ترجمته باللغة العربية الحالية	١٤٤	٢٤٤	من النقوش ماهو زائف	١٢٤	٢٢٠
ملاحظات على هذا النقش	١٤٥	٢٤٥	رواة العرب :	١٢٥	٢٢١
قيمة اللغات العامية	١٤٦	٢٤٦	الكسائي والأصمعي	١٢٦	٢٢٢
النقش الثاني : نقش الفخارة	١٤٧	٢٤٧	أبو محم الشيباني ، و بشار	١٢٧	٢٢٣
قيمة هذا النقش	١٤٨	٢٤٧	كتيبة الوضعين :	١٢٨	٢٢٤
صورة النقش	١٤٩	٢٤٨	حماد الراوية وأمثاله	١٢٩	•
تفسير أسطره بلهجتنا الحالية	١٥٠	٢٤٨	مصادر الرواية	١٣٠	٢٢٥
التاريخ البصري والميلادي	١٥١	٢٤٩	مراكر الثقافة العربية العباسية	١٣١	•
والهجري	١٥٢	٢٤٩	صنيع الوضع في مصرع الرباع	١٣٢	٢٢٧
من نتائج النقش الثاني	١٥٣	٢٥٢	غرضهم من الاختلاق	١٣٣	•
ثلاث تراجم له	١٥٤	٢٥٣	الخلايا الشعبية	١٣٤	٢٢٨
رأى في لغة النقوش	١٥٥	٢٥٦	رأى علماء اللغات في لهجة قریش	١٣٥	•
تركيز الختام	١٥٦	٢٥٦	النفوذ الاقتصادي لقریش	١٣٦	٢٣٠
الفهارس :	١٥٧	٢٥٩	النصوص الأدبية قبل قریش	١٣٧	٢٣١
(١) فهرس الموضوعات	١٥٨	٢٦٢	عامر بن الظرب قبل قریش	١٣٧	٢٣٣
(٢) فهرس الأعلام	١٥٩	٢٧٢	خمسة أدلة على قدمه .	١٣٨	•
(٣) فهرس الشعراء	١٦٠	٢٧٤	عظة كعب بن لؤى قبل	١٣٩	٢٣٧
(٤) فهرس الصحابة	١٦١	٢٧٨	قصي	١٤٠	٢٢٩
(٥) فهرس الجداول	١٦٢	٢٧٩	أصمى سهم في كثافة المعارضين	١٤٢	٢٤٢
(٦) فهرس الأمثال	١٦٣	٢٨٠	القرآن يعترف بعربيته	١٤٢	٢٤٣
(٧) فهرس الاستدراك	١٦٤	٢٨٢	لا بقريشيته ٩ مرات	١٤٢	٢٤٣
(٨) فهرس المراجع			دليل النقوش ينفي لهجة قریش	١٤٣	٢٤٣
			نقش عائد ن كميل		

(٢) فهرس الأعلام

الألف

آدم - الشعر المنسوب له ٢٢ : ٣
إبراهيم بن سيدنا محمد - تاريخ وفاته ٩ : ٩

إبراهيم بك مصطفى - رأيه في عمر الجليل ٦٧ : ٧ وصفحة ٦٨

ابن حزم الأندلس - إشارته إلى عمر الجليل ٥٨ : ١٢ ، روايته في نسب ابن خذام ١٥٦ : ١٦

ابن خلدون - رأيه في البدو والحضر ١٣٧ : ١ ، له الفضل في عثور المؤلف على عمر الجليل ٥٨ : ٢

ابن دأب - جرأته في اصطناع الشعر ٢٢٦ : ٢
ابن دريد - تمحله في الاشتقاق ٤٩ : ٢٣

ابن سلام الجحى - رأيه في أول من قال الشعر ٩١ : ١١ ، روايته في زمن ظهور القصائد ١٢١ : ٥

ابن سعد ١٣٦ : ١٤ ، توثيقه بعض أشعار الغنبر التميمي ١٥٥ : ٨

ابن سعد ١٣٦ : ١٤ ، توثيقه بعض أشعار الغنبر التميمي ١٥٥ : ٨

ابن سعد ١٣٦ : ١٤ ، توثيقه بعض أشعار الغنبر التميمي ١٥٥ : ٨

ابن عبد ربه - روايته في المستوغر ومحاوية ١٤٠ : ١٥

ابن قتيبة - سخريته من المتعصبين

للقديم ١٧١ : ١٦ ، نقله أن المستوغر عاش ٣٢٠ سنة

١٣٨ : ٢٠ ، روايته عن المستوغر وحفيده ١٢٩ : ١٧ ، وعن

زهير بن جناب عند غزو الحبشة ١٤٣ : ١٠ ، مارواه في نسب

ابن خذام ١٥٦ : ١٨
ابن قسطنطين الرومي - غرامه

بالوضع ٢٢٦ : ١٠
ابن السكبي - روايته في المعبد : رضا

١٢٩ : ٩
ابن نباته - استشهاد به شعر عمرو

ابن عدى ١٤٩ : ٩
أبو العباس السلي - سجل بشعره

سدود بحصب ٨ : ١٠
أبو العلاء بن صاعد - كان من

الوضاعين ٢٢٤ : ١٤
أبو عمرو بن العلاء - استهزأته بشعر

المعاصرين ٧٧ : ١ ، تعليقه لإيجاز العرب ٩٦ : ٢٤

أبو غنشان - أسكره قصي واشترى منه مفاتيح الكعبة ٦٣ : ٢٥

أبو الفرج الأصفهاني - إشارته إلى عمر الجليل ٥٩ : ١ ، يروي امتناع

الرواة عن شعر ابن دواد ١٨٣ : ١

فهرس الأعلام

البرت جام - تنقيبه عن آثار اليمن

١٨ : ٥٣

الكسندر هونمان - عضو البعثة

الأمريكية في اليمن ١٨ : ٥٣

إلياس بن مضر - لهجته العربية

٧ : ١٠٥

امرؤ القيس بن عمرو - صاحب نقش

النمارة ١٤ : ١٠ ، تعليقاتي على

نقشه ٢٤٨ : ١١

امرؤ القيس بن النعمان - صاحب

الغريين ١٩ : ١٠

امنتخب الثالث - سبقي الأول يطامس

نقوشه ٢٢١ : ١

أندريه مالرو - استعانت به بأنيس باشا

المصري ٥٤ : ٥

أنستانس السكرملي - أثرته في تحديد

سبل الهرم ٦٩ : ٤

أنوشروان - عاصره امرؤ القيس

الشاعر ٧٨ : ٦

(ب)

البخاري - يروي ما كان عند جمع

القرآن ٢٣٩ : ٢٢ ، روايته

عن منبع النيل ٢٤٠ : ١٣

بختنصر - دعوى معاصرتة عدنان

١٢ : ٤

برة بنت مر أخت تميم - تزوجها

أبو قابوس = النعمان بن المنذر

أبو حلم الشيباني - كان نادرة في

صدق النقل ٢٢٣ : ١٢

أبو المهورش - جوابه لمن سأله : لم

لا تطيل الهجاء ؟ ١٩٧ : ١

أحمد باشا كمال - يحدثنا عن اختلاف

المؤرخين ٧٨ : ٦

الأخفش - كشفه بحر المتدارك

٨ : ٩٩

ادور براونلشر - إنصافه العرب في

جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠

استرابون - تسجيله أخبار سبأ ١ : ١٢

أسد بن خزيمه - زمنه ١٢٣ : ١٧

إسرائيل ولفنسون - كتابه من

مراجع المؤلف ٢٥١ : ١٩

إسماعيل باشا - رغبته في نشر اللغة

التركية ٣٦ : ١٠

إسماعيل النبي - كان في القرن ١٩ ق م

٧٤ : ١٠ ، المدة منه إلى الإسلام

٧٤ : ١٩

الأصفهاني = أبو الفرج

الأصمعي - في بعض رواياته أن

تاريخ القصائد سبق الهجرة

بأربعمائة سنة ٢ : ٨ ، كان من

مؤلفي الأمثال ١٠٢ : ١

الافعي الجرهمي - معاصرتة نزار

ابن معد ١٠٤ : ٦

فهرس الأعلام

الاعراب ٢٢٧ : ٣
 جبلة الفسائي - أول من ذكره اليونان
 من أمراءهم ٢٧ : ٢
 جزع بن سنان - صاحب المثل
 ٢٤ : ٢٣ ، مهد السبيل لقيام
 دولة الفساسنة ٢٥ : ٣
 جذيمة الوضاح - أشهر ملوك المناذرة
 ١٩ : ٨ ، تحقيق زمنه ٧٣ : ١
 من معاصري عامر بن الظرب
 ١٠٧ : ١٤ ، ترجمته وأقدميته
 ١٤٧ : ٣ ، أخته رقاش وغرامها
 ١٤٨ : ١٥ ، من شعره ١٤٨ : ٢٠
 جندب بن العنبر - محادثة له باللمجة
 القرآنية ١٠٩ : ٧
 جرجي زيدان ورأيه في زمن سيل
 العرم ٢٣ : ٢ ، حيرته في تاريخ
 الغسانيين ٢٣ : ٩ ، احتياطه عند
 ذكر الحرب المزعومة بين
 عدنان وبختنصر ٢٣ : ١٢ متابعته
 لغلازر في تحديد عمر الجليل
 ٨٥ : ٦
 جوستنيان ملك الروم - زمنه
 ٨٤ : ١١ موت ابن قيس في
 طريقه إليه مع امرئ القيس
 ١٧٩ : ١٦ الأستاذ جيمس

خزيمة بن مدركة ثم ابنه كنانة
 ١٣٣ : ١٠
 برسفال - أبحاثه في أنساب العرب
 ٦٧ : ١٠ عمر الجليل عنده ٦٨ : ٤
 البخدادي - يروي قصة خروج مزينة
 ٦٥ : ١٧
 بكر بن عوف - من أجداد زهير
 ابن جناب ١٤٢ : ١
 بندار الراوية - كان عجيب الحافظة
 ٢٢٣ : ٢١
 (ت)
 تختمس الثالث - اعتداء رمسيس
 الثاني على نقوشه ٢٢١ : ٩
 الترمذي - روايته عن جمع القرآن
 ٢٣٩ : ٢٢
 (ث)
 ثعلبة بن حنظلة الوائلي - صاحب
 القبة يوم ذي قار ١٥١ : ١٧
 ثعلبة بن الظرب - أخو حكيم العرب
 ٢٣٤ : ١
 ثمامة - جد أصحاب مدينة المعافر
 ١٥ : ١
 ثوريكة - اعترافه بأدب العرب في
 جاهليتهم ٢٠٩ : ١٠
 (ج)
 الجاحظ - اعترافه بوضعه نسيب

فهرس الأعلام

١٨٩ : ٧ ، قتله بعض بني أسد

١٩١ : ١٧ ، لم ذبحه بنو أسد ؟

١٩١ : ٨

حنيفة بن نهد - كان السبب في هجرة

قضاة ٧٣ : ١٥ ، ٧٤ : ٥

تحقيق زمنه ٧٤ : ١ - حسان

ابن تبع - أخو حجر بن عمرو

السكندی لأمه ٣٠ : ١٣ ،

توليته حجرا على معد كلها

٣٠ : ١٨ ، إغاثته طسم ٣٩ : ١

حماد الراوية - أول من فضح أمره

من الرواة الوضاعين ٢٢٤ : ٦

كان بلاء على الشعر ٢٢٦ : ١٣

(خ)

الحضري بك - نقله عن سيدو

زمن سيل العرم ٧١ : ١٠ خلف

الأحمر - كان من الرواة

الوضاعين ٢٢٤ : ١٤ ، وكان

في اختلافه كحماد الراوية

٢٢٦ : ٢٠

(ذ)

ذؤيب التيمي - من أشعر شعراء

القصيد ٢ : ٦

ذوالرمة - سرقة من شعر زهير

ابن جناب ١٤٦ : ٤

هنري برستد - حديثه عن عبث

القدماء بالنقوش الأثرية

٢٢٠ : ٢٢

(ح)

الحارث الأول - أقدم من عثر عليه

من ملوك الأنباط ١٠ : ١٨

الحارث الثاني - من ملوك الغساسنة

٢٣ : ١٣

الحارث الرابع ابن جبلة - انتصاره

يوم عين أباغ ٢٧ : ١٠ ،

توسطه لامرئ القيس الشاعر

عند قيصر ٢٧ : ١٤

الحارث بن أبي شمر الخامس أكبر

ملوك غسان ٢٤ : ٨ ، جعل من

كتابه المرقش الأكبر ١٩٤ : ٤

الحارث بن عباد - احتجاجه على

قتل كليب ١٧١ : ١

الحارث السكندی - مصرعه ٣٣ : ٥

الحارث بن مالك بن فهم - ابن عم

جذيمة الوضاح ٧٢ : ٩

هي الخزاعية - زوجة قصي وبسببها

استولى على الكعبة ٦٣ : ٢٤

حجر بن الحارث - أبو امرئ القيس

كان يعاصر أبا دود ١٨١ : ١٠

كان يعاصره عبيد بن الأبرص

فهرس الأعلام

زحفه على تميم بالبحرين ٢: ١٥٤
شباباس - لجأ إلى عد الأزمنة
التقديمه بالقرون بدل السنين
والسبب ١: ٧١

سانت نيلوس - سجل أناشيد
العرب في القرن الرابع الميلادي
إعجابا بها ٢: ٢١٠

السيجستاني - أكتابه المعمرون
وميزته ٤: ١٢٤

سعد بن زيد مناة - أبو المزارعة
وزوج رهم ١٠٩: ٩ محادثة له
باللهجة القرآنية ١٠٧: ٣

السفاح التغلبي - من أبطال يوم
خزازی ٦: ١٧٥

سلة بن الحارث الكندي - مملكته
٦: ١٢

سمي على بنوف باني سد مأرب ١٠: ٩
السموول - استودعه امرؤ القيس
دروعه ١٩: ٢٤

سوزومين - سجل غناء العرب
بأسماءهم في القرن الرابع
الميلادي ٢: ٢١٠

سليم بن فهم - عم جذيمة الوضاح
٨: ٧٢

سيتي الأول - طعمه نفوس المنجذب
الثالث ١: ٢٢١

ذو نواس - صاحب الأخدود
١٢: ١٤
اشتداده في تحريق نصارى نجران
بالأخدود ٤: ١٤٣

(ر)

ربيعة أبو كليب - قيادته الثارين
ضد زهير بن جناب ١١: ١٤٥
رقاش - من شعرها تعارض أخاها
الملك جذيمة ١: ١٤٩

رهم بنت الخزرج - زوج سعد
أبي المزارعة ١٦: ١٠٦
رمسيس الثاني - محا اسم أخيه
وكتب اسمه بدله على النقوش
٣: ٢٢١

ريثان - ممن قدروا أدب العرب
في الجاهلية ١٠: ٢٠٩

(ز)

الزباء - زوينا - تمسكها بعدمصرع
أبيها ٩: ١٥٠
الزبير بن بكار - روايته في سبب
وضع الشعر العربي ٦: ١١٧

(س)

سابور ذو الأكتاف - إجلأوه
العرب عن بلاده ١٣: ١١٨

تابع فهرس الأعلام

(ط)

الدكتور طه حسين - مبلغ ثقته بابن
سلام الجعفي ١٥٥ : ٢٣ ،
امرو القيس عنده من أقدم
الشعراء المكتشرين ١٨٧ : ٢
إنكاره شعر عبيد في جملة
١٩٠ : ١٢ ، تزييفه أكثر شعر
الجاهلية ٢٠٤ : ٨ ، شعراء
الجاهلية الفائزون باعترافهم
٢٠٤ : ٩ - ١٠ ، في رأيه أن
أعصر بن سعد كان قبل الإسلام
بألف سنة ٤ : ١٥ ، ظنه أن
إسماعيل سبق الإسلام بأكثر
من ١٥ قرناً ٢٠٥ : ١٥ ، في رأيه
أن ربيعة كانت تجهل لغة القرآن
في الجاهلية ٢٠٦ : ٢٢ ، وأن
استعراها بعده كان أيسر من
استعراها القحطاني ٢٠٧ : ٢
نفيه كل شعر ينسب لربيعة في
الجاهلية ٢٠٧ : ١٠ ، رأيه في
لهجة قریش ٢١٢ : ٣
طفيل اليغوثي - كهافي ٣٩ : ٧

(ع)

عائد بن كميل - صاحب أقدم نقش
عربي ٢٤٣ : ١٢

سيديو - تقديره زمن سيل الحرم
١٢٠ ق م ٧١ : ١١
السيوطي - نقل شجرة بعض الشعراء
بشعرهم ١٧٤ : ٦ ، روايته عن
كاتب مصنف عثمان ، وعلميه
٢٠ : ٢٣٩

(ش)

شرحبيل بن الحارث السكندی -
مملكتيه ٢٢ : ٢
الشرقي بن القطامي - جرأته في
الوضع ٢٢٦ : ٥
شقة بن ضمرة النيمى - هو القائل
المرء بأصغريه ١٠٨ : ١٥
شمر يرعش - أول ملوك التباينة
١١ : ٩
الشنفرى - نخله خلف الأحمر لامية
العرب ٢٢٦ : ٢٢
شيشرون - خطيب روماني دوت
شهرته قبل الميلاد ١١٢ : ٣ ،
خلد لغة اللاتين طويلاً بأدابه
١١٣ : ٥

(ض)

ضبة بن أد - أمثاله الثلاثة ١٠٦ : ٥
ضمرة السكثاني - من أوائل شعراء
القصيد ٢ : ٦

فهرس الأعلام

عمرو بن عدى اللخمي - توليه بعد
حزيمة الروضاح ١٠٧ : ٢٢ ،
أول بني نصر ملوك الحيرة
١٨٧ : ٢٢ أكثر ملوك الحيرة
من نسله ٢١ : ١

عمرو بن عمرو بن عدى - قوله ،
الصيف ضيغت اللبن ١٠٨ : ١٩
عيسى بن مريم - هل أدرك الآفوه
الآودي زمنه ١٩٦ : ٥

(غ)

غلازر - عمر الجبل عنده ٢٤ : ١ ،
٢٩ : ١ تحديده زمن سيل العرم
٩ : ١٥ ، ٧١ : ٧ ظنه لحيان
من بقايا ثمود ١٤ : ١ رأيه في
الجبية ١٥ : ٢ ، لم يعرف عمر
الجبل الملكي ٢٤ : ٧ ، تحديده
قيام دولة سبأ ٦٢ : ١٨

(ق)

قباذ ملك الفرس - ثورة ربيعة في
عمده ٣٢ : ٩ ، تخليه عن نصر
المنذر ٣٢ : ١٨ ، كان أبودواد
الإيادي يعاصره ١٨١ : ١٠
قصي - لم بين مجد قریش إلا بعد
نضج اللغة العربية ٢١٥ : ١٩ .

عامر بن الظرب - من أمثاله ١٠٧ : ٧
تحقيق ميلاده ٢٣٣ : ٤ ، دلالة
ذي الإصبع العدواني على قدمه
٢٣٣ : ١٩ ، أول من اجتمعت
معد تحت قيادته ٢٣٩ : ٨ ،
زحفه على خزاعة لاستيلائه
على السكبة ٢٣٥ : ٥

عبدالله بن الزبير - شهد لشعر الآفوه
٢٠٠ : ٦

عدى بن زيد - رئيس القلم العربي
لدى الأكاسرة ٢٩ : ١٦

عفيرة - ظهرت أعراض قومها
بدمائهم ٣٩ : ١٥

علقمة الفحل - من مداح الغساسنة
٢٩ : ١٩ ، عمرو بن تميم - شفاعته
لقومه عند كسرى ١٥٤ : ٦

عمرو بن الحارث الأصغر - لجأ
إليه النابغة ٣٠ : ١

عمرو بن حجر الكندي - ضعف
شأنه لسقوط الين في يد الحبشة
٣٠ : ٢١

عمرو بن الظرب أبو الزباء - مصرعه
١٥٠ : ٧

عمرو بن عبدالله - قتل المنذر بن ماء
السماء ١٥١ : ١٩

فهرس الأعلام

٤١ : ٤ زعمه وجود العدنانين
في القرن ١٨ ق م ٤١ : ١٤ ،
ظنه أن القوراة ذكرت
العدنانين ٤٢ : ١٩

محمد علي باشا - حرصه على نشر
التركية مع العربية ٣٦ : ٧ ،
المدة منه إلى الملك فاروق ٦٦ : ١٣
محمد عوفى سجل شعرا عربيا لبرام
جور ملك الفرس ١٦٦ : ١٠
الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي - حجة
في الأحاديث النبوية (د)

محمود باشا الفلاكي - ماحقه من
التاريخ بعلم الفلك ١ : ٧

مزروع - جد المؤلف ٣٧ : ٢١
حفيدة المستوغر الشاعر ١٣٨ : ٨
رضا كان معبدا لحفدته ، ربيعة
١٣٩ : ١٢ ، من حفدة مزروع
الأصغر الأضبط بن قريع
الشاعر ١٨٤ : ١٩ ، أولاده
يطلق عليهم الخدعة ١٨٦ : ٢٢
المسعودي - روايته عن زحف
ذي الأكتاف على تميم ١٥٤ : ٥
سجل شعر اللالك بهرام ١٦٥ : ٩
مسيلة الكذاب - من عشيرة الشاعر
لجيم بن صعب الوائلي ١٥١ : ٤

منه إلى عصر النبوة نحو ٢٠٠
سنة ٣١٧ : ٣ ، كان أول ملوك
قريش ٢٣٠ : ١

قطرب - كان من الرواة الوضاعين
٢٤٤ : ١٤

« ك »

الكسائي - ورعه في الرواية
٢٢٢ : ١٠

كعب بن لؤي - سبق قصبا بنحو
١٥٠ سنة ٢٢٧ : ١٥

« ل »

ليبيد بن عمرو الغساني - قتل المنذر
الرابع غيلة ٢٧ : ١٤

« م »

مالا لاس المؤرخ - خبره عن الحارث
ابن جبلة ٢٧ : ٧

مالك الثالث - آخر ملوك الأنباط
٢٧ : ٢٣

مالك بن حريم - سجل بشعره
بعض محافد اليمن ١١ : ٤

مالك بن فهم - أبو جذيمة الوضاح
٧٢ : ٨

الأستاذ محمد جميل بيهم - تصديقه
الحرب العدنانية البختنصرية

فهرس الأعلام

النعمان بن المنذر - أبو قابوس
نولدكي - رأيته في جيلة أول ملوك
غسان ٢٧ : ٥

نوز - مؤرخ يوناني ٨٤ : ٤
نوح - الغربيون يبحثون الآن عن
سفينته ٥ : ٤

نورنيليرن - يسترشد بأنيس باشا
عن الين ٥٤ : ٦
نيلسكون - من الغربيين المنصفين
للأدب الجاهلي ٢٠٩ : ١٠

« ه »

هاشم بن عبد مناف - وضعه المجد
التجاري لقريش ٢٣٠ : ١٢ ،
اتصاله بقبصر لهذا ص ١٣ ،
طلبه منه أن يؤمن قريشاً في
تجارتها ص ١٩

هبل - جد قهير بن جناب ١٤٢ : ١٧
هتلر - حرية الناس في التسمية باسمه
٣٨ : ١

الهمداني - روايته عن سدود يحصب
١٤ : ٢٢ ، يذكر من محافدين
براقش ومعين ١١ : ٢

« و »

وليم البرايت - من علماء أمريكا
الذين يبحثون عن آثار عدن
١٥٣ : ١٦

الأستاذ مصطفى السقا - أديب
نقاده (د)

معد يكرب السكندى - ملكته ٣٢ : ٨
المنذر الثالث - آخر ملوك الأنباط
٢٧ : ٢٣

المنذر الرابع - حملته على الحارث
الغساني يوم عين أباغ ٢٧ : ١٣
المنذر بن امرئ القيس - ابن ماء
السماء - مصرعه يوم عين أباغ
٢٧ : ٨ ، كان أبو دواد جاره
١٨١ : ٩

المنذر بن قباذ - توليه العرش ٣٢ : ١٢
المنذر بن النعمان الأعور - كان
أبو دواد على خيله ١٨١ : ٧
ميسون بنت بحدل - زوج معادية
١٤٢ : ٣

« ن »

نافع بن الأزرق - مؤسس الأزارقة
١٥١ : ٢٠

نار بن معد - بعض الأمثال العربية
في عهده ١٠٤ : ٦

النضر بن كنانة - زمنه ١٣٣ : ١٤
النعمان بن امرئ القيس ملك الحيرة -
أشرف على تعليم العربية وآدابها
لولى عهد الفرس ١٦٤ : ٨

فهرس الأعلام

يوسف النبي — قصته في التوراة

٤١ : ٧ ، قصصة إخوته في

الإصحاح ٣٧ : ٤٢ : ١٣ ،

العرب في عهد إسماعيليون

٤٢ : ٢٥ ، اسم أخيه ٥٠ : ١٩

« د »

يزدجرد الأول — مظهر عنايته

بالعربية وآدابها ١٦٤ : ٧

اليعقوني — روايته عن هوان قریش

قبل قصي ٢٢٩ : ٢١

(٣) فهرس الشعراء

١٨٢ : ١٦ ، أغراضه التي نبع

فيها ١٨٢ : ٧

أعصر بن سعد — ترجمته ١٣٦ : ١٢ ،

ما وصلنا من شعره وتحليله ١٣٧ : ١٢

امرؤ القيس الشاعر — تحقيق زمنه

٨٢ : ١٦ ، والاستدلال بعشيرته

الأقربين ٨٣ : ٣ ، زمن وفاته

٨٤ : ٧ ، رأى الدكتور طه في

قدمه وكثرة شعره ١٨٧ : ٢

الآلاف

الأضبط بن قريع — أقدميته في

في القصائد ١٨٤ : ١٥ ، تحقيق

أقدميته ١٨٥ : ٤ ، آثاره الأدبية

١٨٦ : ١

الأفوه الأودي — شعره في تقلبات

الزمن ١٣١ : ٨٩ ، قدمه ١٩٦ : ٢

شعره وأغراضه ٢٠٠ : ٢ ، تلخيصه

الأضبط المزروعى ٢٠١ : ٨

ابن خنزام — ميلاده وحيرة الرواة في

أمره ١٥٦ : ١٥ ، إشارة امرى القيس

إليه ١٥٧ : ١٥ ، ما يحفظه أعراب

بنى كلب من شعره ١٥٧ : ١٨ ،

لم ادعوه ؟ ١٥٩ : ٣ ، ليس أول

من بكوا الديار ١٦١ : ١٤

أبو دواد الإيادى — تحقيق أقدميته

١٨٠ : ١١ ، منزله الشعرية

« ب »

بهرام جور ملك الفرس — من شعراء

المقطوعات العربية ١٦٣ : ١٣ ،

منهج تربيته عند العرب ١٦٤ : ١٢

مقطوعتان من شعره ١٦٥ : ١٢ -

١٩ ، صحة شعره ١٦٦ : ١ ، سبب

إغراضه أخيراً عن الشعر ١٦٧ : ٢

فهرس الشعراء

« ج »

جذيمة الواضح — ترجمته ١٤٧: ٣؛
آثاره الشعرية ١٤٨: ١٠، من
شعره ١٤٩: ٨، استدلال
بآثاره على نفي الالهجة القرشية
١٤٩: ١٨

« د »

دويد بن زيد القضاعي — أنشد
وقد حضرته الوفاة ١٢٨: ٢-٤،
وصاته لبنيه ١٣٢: ٩ ترجمته
١٣٩: ١

« ز »

زهير بن جناب الكلبي — ترجمته
وتحقيق زمنه ١٤١: ١٠ آثاره
الأدبية ١٤٣: ١٦، خصاله
العشر ١٤٤: ٣، ماقاله من الشعر
وقد أطفأ ثورة بكر وتغلب
١٤٥: ١، ذو الرمة يسطو على
شعره ١٤٦: ٤

« س »

سعد بن زيد مناه أبو المزارعة —
شعره في السيادة ١٠٩: ١٨

« ط »

طفيل اليفوئي — من شعراء كهلان
٧: ٣٩

طى بن أدد — له بيتان من بحر
السريع ١٢٦: ١، ٢

« ع »

عبيد بن الأبرص — تحقيق زمنه
١٨٧: ٤ ديوان شعره ١٩٠: ١٠
من شعره « ص ١٣ » الملاحاة
بينه وبين امرئ القيس
١٩١: ١٢ على يد من كان
مصرعه ١٩١: ١٦، تضارب
الرواة في قاتله ١٩٢: ١٤

« ل »

لجيم بن صعب الوائلي — ميلاده
ونسبه ١٥٠: ١٤

حفدته من الخالدين ١٥١: ١٤
ما عثر عليه من شعره ١٥٢: ٥
دلالة شعره ص ١٤

لقيط بن يعمر الإيادي — أقدم
قصائد الجاهلية كانت له ١١٨: ٧
سابوريسجته ١١٨: ١٢ قصيدته
الدالية وزمنها ١١٨: ١٩ قصيدته
العينية ١٢١: ١٦، قرضه أول
شعر شعبي عربي ١٢٣: ٧ سبقه
في بكاء الديار ١٦١: ١٩ ديوانه أقدم
ديوان ١٦٣: ١٩

« م »

المتنبي — بيته في شكوى الزمن ١٣١: ٢٣

فهرس الشعراء

المرقش الأكبر - ميلاده ١٩١٣ : ١٠	٢٠-٢٢ شعره ١٩٤ : ٢٠ أشهر
أقدميته ومنزلته «ص ١٦» نسبه	ماوصلاني من شعره ١٩٥ : ٦٠

(٤) فهرس الصحابة « ١٤٥ صحابيا »

الألف	أم حبيبة زوج النبي - قرشية
إبراهيم بن قيس - أودى ١٩٧ : ٨	١٧ : ٦
الأسود بن ربيعة - ربيعى ٢٥ : ٦٢	أمية بن خويلد - كنانى ٢٨ : ٦١
الأشج العبدى ربيعى ٢٢ : ٦٢	أنيس بن إياس - كنانى ٢٨ : ٦١
الأغلب الراجز - ربيعى ٢٤ : ٦٢	أوس بن خالد الأنصارى - أوسى
سيدنا أبو بكر - قرشى ١٦ : ٦٠	١ : ١٦
أبورهم - كنان ٢٥ : ٦١	« ب »
أبو عبيدة بن الجراح - قرشى	بشير بن الخصاصة - ربيعى
١٧ : ٦٠	٢٤ : ٦٢
أبو العشاء - تميمى ٢٥ : ٦٠	« ت »
أبو نورة بن شيطان - كنان	تميم الدارى - أودى ١٩٧ : ١٣
٢٣ : ٦١	« ث »
أبو هريرة - لخمى ٧٢ : ١٠	ثابت بن جابر - قيسى - ١٩ : ٦١
أبو هند الدارى - أودى ١٩٧ : ١٢	ثعلبة بن الحكم - كنانى - ٢٥ : ٦١
أسماء بنت سلمة - تميمية ٢٥ : ٦٠	ثعلبة بن صغير - قضاعى - ٩ : ١٢٩
« » مخزبة « » ٢٥ : ٦٠	ثمارة بن أثال - قيسى ١٩ : ٦١
أسيد بن إياس - كنان ٢٥ : ٦١	« ج »
الأنقرع بن حابس - تميمى ٢٦ : ٦٠	جابر بن سلمة - قيسى ١٨ : ٦١
امرؤ القيس بن عانس - كندى	
٧ : ١٩٧	

فهرس الصحابة

حصين بن مشمت - تميمي ٢٢:٦٠
حليحة بن قيس - تميمي ١٩:٦١
حنظلة بن الربيع - تميمي ١٦:٦١
الحويرث بن عبد الله - كناني
٢٧:٦١

حيدة بن مخرم - تميمي ١٦:٦١
« خ »

خالد بن سيار - كناني ٢٨:٦١
خالد بن عرفة - قضاعي ٩:١٢٩
خالد بن مالك - كناني ٢٧:٦١
خالد بن المعمر - ربيعي ٢٥:٦٢
خالد بن الوليد - قريشي ١٧:٦٠
خباب بن الأثر - مزروعى تميمي
٢٢:٦٠

خداش العجلي - ربيعي ٢٤:٦٢
الخنساء بنت عمرو - قيسية ٢٧:٦١
« د »

دحية - كناني ٨:١٤٢
دريد بن كعب - أودي ١١:١٩٧
« ر »

رافع بن عمرو - كناني ٢٤:٦١
رباح بن ربيعة - تميمي ١٦:٦١
الربيع بن ربيعة - قيسية ١٧:٦١
ربيع بن مالك المزروعى - تميمي
١١:١٨٥

الجارود بن حنش - ربيعي ٢٢:٦٢
جارية بن قدامة - تميمي ٢٢:٦٠
جمرة بن النعمان - قضاعي ١٠:١٢٩
جنادة بن عوف (القاس) - كناني
٢٥:٦١

جندب بن جنادة - كناني ٢٧:٦١
جهم بن قيس - قريشي ٢٠:٦٠
جهيش بن يزيد - أودي ١٠:١٩٧

« ح »

الحارث بن جميل - تميمي ٢٠:٦١
الحارث بن عبد العزيز - تميمي
٢٢:٦١

الحارث بن عوف - كناني ٢٨:٦١
الحارث بن مالك - كناني ٢٦:٦١
« هـ » وهب - تميمي ١٦:٦١

هبيب بن خراش - تميمي ٢٤:٦٠
« ز » مسلية - قريشي ٢٤:٦٠
الحتات بن زيد - تميمي ٢٤:٦٠

الحجاج بن علاط - تميمي ١٨:٦١
حجر بن عدى - كندى ١٩:٨٢
حذيفة بن أمية - كناني ٢٨:٦١
الحريش بن هلال - مزروعى تميمي
١١:١٨٥

حسان بن محدوج - ربيعي ٢٤:٦٢
الحصين بن الحر - تميمي ١٠:١٥٣

فهرس الصحابة

صفوان بن صفوان - تميمي ١٥:٦١
صفوان بن المعطل - قيسي ٢١:٦١
صهيب الرومي - ربعي ٢٢:٦٢

« ض »

الضحاك بن ميفان - قيسي ٢١:٦١

« ط »

طلحة بن عبيد الله - قريشي ١٨:٦٠
طلق بن علي الحنفي - ربعي ٢٣:٦٢

« ع »

عامر بن ربيعة العنزي - ربعي ٢٦:٦٢
عامر بن سلمة الحنفي - ربعي ٢٦:٦٢
عامر بن وائلة - كناني ٢٦:٦١
عبد الرحمن بن عوف - قيسي ١٩:٦٠
عبد الله بن خباب المزروعى - تميمي ٢٢:٦٠

عبد الله بن عامر - قيسي ٢٠:٦٠
عامر بن مظعون - قيسي ١٨:٦٠
عبد المطلب بن ربيعة - قيسي ٢٠:٦٠
عبيد بن الخشخاش - تميمي ١٠:١٥٣
عتاب بن أسيد - قيسي ١٨:٦٠
عتبة بن أبي لطب - قريشي ١٨:٦٠
عتبة بن غزوان - قيسي ٢١:٦١
سيدنا عثمان - قريشي ١٦:٦٠
عروة بن أسماء - قيسي ١٧:٦٠

ربيعة بن ربيع - تميمي ٩:١٥٣
رفيع بن سمرة - تميمي ٩:١٥٣
« ز »

الزرقان بن بدر المزروعى - تميمي ٢١:٦٠

الزبير بن العوام - قريشي ١٧:٦٠
زرارة بن قيس - أودي ٩:١٩٧
زمل بن عمر - قضاعي ١٠:١٢٩
زهرة بن حوية - تميمي ٢٣:٦٠
زياد بن هوذة المزروعى - تميمي ١١:١٨٥

زيد بن حارثة - ربعي ٢٥:٦٢
« س »

سارية بن زعيم - كناني ٢٦:٦١
سمرة (أبو غاضرة) - تميمي ١٦:٦١
سمرة بن جندب - قيسي ٢٠:٦١
سعد بن أبي وقاص - قريشي ١٦:٦٠
« ش »

شبيب بن حرام - كناني ٢٤:٦١
شراحيل بن معبد - ربعي ٢٦:٦٢
شريح بن مرة - كندى ٧:٨٣
الشيخ بن مسعود - قيسي ١٩:٦١
شيدان بن محرز الحنفي - ربعي ٢٦:٦٢
« ص »

صعصعة بن معاوية المزروعى - تميمي ١٠:١٨٥

فهرس الصحابة

٢٦:٦٠ متمم بن نويرة - تميمي
٢٥:٦٢ المثنى بن حارثة - ربعي
٢٥:٦١ محلم بن جثامة - كنانى
٢٥:٦١ محلم بن يزيد - كنانى
١٧:٦١ مرصد بن كنان - قيسى
١٤:١٩٧ مروان بن مالك - أودى
١٩:٦٠ مسطح بن أثاثة - قريشى
٢٠:٦١ معقل بن سنان - قيسى

« ن »

١٠:١٢٩ نبيه بن زيد - قضاعي
١٥:١٩٧ نعيم بن أوس - أودى
٢٣:٦٢ النمر بن قلاب - ربعي

« ه »

٢٤:٦١ هشام بن صباية - كنانى
١٥:٦١ هند بن زرار - تميمي

« و »

٢١:٦١ الورد بن خالد - قيسى
٩:١٥٣ ورد بن مخرم - تميمي
١٨:٦١ وهب بن عبد الله - قيسى

« ي »

٢٠:٦١ يزيد بن الأخنس - قيسى
٢٥:٦٢ يسر بن خوط - ربعي

٢٤:٦٠ عطار بن حاجب - تميمي
١٧:٦٠ عقبة بن نافع - قيسى
٢٠:٦١ عقبة بن وهب - قيسى
١٦:١٠ سيدنا على - قريشى
١٦:٦٠ سيدنا عمر - قريشى
عمر بن الأهتم المزروعى - تميمي
٢١:٦٠

٢٤:٦١ عمرو بن أمية - قيسى
١٦:٦٠ عمرو بن العاص - قريشى
٢٤:٦٠ عياض الدارمى - تميمي

« ق »

١٩:٦١ قبيصة بن المنار - قيسى
٦:١٩٧ قيس بن سلمة - أودى
قيس بن عاصم المزروعى - تميمي
٢٣:٦٠

قيس بن عاصم الهري - قيسى ١٩:٦١

« ك »

٨:٦٥ كرز بن علقمة - خزاعي
١٢:٧٢ كعب بن سور - لخمى
٢٧:٦١ كلاب بن أمية - كنانى
٢٨:٦١ كلثوم بن الحصين - كنانى

« م »

٩:١٥٣ مالك بن الحشمخاش - تميمي
٢٥:٦٠ مالك بن نويرة - تميمي

(٥) فهرس الخرائط والجداول وصور النقوش

الموضوع	الصفحة	العدد
خريطة القبائل العربية	١	١
جدول ملوك حمير	١٥	٢
» » اللخمين	٢٠	٣
» » الساسانيين	٢٢	٤
» الملوك لامتنباط عمر الجليل الملكى	٢٢	٥
» ملوك الغساسنة	٢٦	٦
» » كندة	٣١	٧
» أهم شجرات الأنساب العربية	٥٦	٨
» تطبيقي على ما قبل في عمر الجليل	٦٨	٩
» نماذج اختلاف المؤرخين لتأسيس مصر الفرعونية	٧٨	١٠
» باختلاف الاحصاء حتى في التوراة	٨٠	١١
» باختلاف المؤرخين لزمان امرى القيس	٨١	١٢
» اللمجات العربية المنبوذة وسبب نبذها	١١٥	١٣
» ترتيب شعراء المقطعات بحسب ازمانهم	١٦٢	١٤
» ترتيب شعراء القصائد بحسب ازمانهم	٢٠٢	١٥
» ترتيب كل هؤلاء بحسب ازمانهم	٢٠٣	١٦
نقش عائد بن كهل قبل الميلاد المسيحى	٢٤٤	١٨
نقش النجارة في القرن الرابع ق هـ	٢٤٨	١٨
جدول بثلاث تراجم لنقش النجارة	٢٥٢	١٩

(٦) فهرس الأمثال

العدد	الصفحة	المثال	قائمه
١	١٠٤	إن العصا من العصية	الأفقي الجرهمي
٢	١١٠	إن المرء من نوكه يشرب من سقاء لم يوكه	جارية تميمية
٣	٢٢٧	أخسر صفقة من أبي غبشان	بعض العرب
٤	١٠٦	أسعد أم سعيد	ضبة بن أد
٥	١٠٨	أعز من حليلة	بعض العرب
٦	٢٢٧	أندم من الكسبي	»
٧	١٠٩	أنصر أخاك ظالما أو مظلوما	جندب بن العنبر
٨	٢٢٦	بكل عيش يعيش الفقير	عامر بن الظرب
٩	١٠٦	الحديث ذو شتون	ضبة بن أد
١٠	٢٥	خذ من جذع ما أعطاك	جذع الغساني
١١	٢١٧	خير الأمور أوسطها	الحسن البصري
١٢		دعوا دما ضيعه أهله	رهم الحزرجية
١٣	١٠٧	رمتني بدائها وانسلت	جذيمة الوضاح
١٤	١٠٦	سبق السيف العذل	ضبة بن أد
١٥	١٠٥	السليم لا ينام ولا يذم	إلياس بن مضر
١٦	١٠٧	شب عمرو عن الطوق	جذيمة الوضاح
١٧	١٠٨	الصيف ضيعت الآن	عمرو بن عمرو بن عدس
١٨	٢١٨	غبار العمل خير من زعفران العطالة	بعض العرب
١٩	١٠٨	ما يوم حليلة بسر	»
٢٠	١٠٨	المرء بأصغريه : قلبه ولسانه	شقة بن ضميرة التميمي
٢١	٢٢٦	من ير يربه	عامر بن الظرب
٢٢	١٠٧	وبل أمه حزما على متن العصا	جذيمة الوضاح

(٧) فهرس مواضع الاستدراك

شاء نشاط الأيدي العاملة لدى طبع هذا الكتاب ، أن تند

بعض كلمات مخالفة للأصل :

وسأذكر هنا بعض ما قد يخفى على بعض القراء فيما يأتي :

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٧	١٩	المدنيات	٦١	١٨	الحجاج بن علاط
٨	١١	أرض - يحصب	٦١	٢٧	حذيفة ابن أمية
٨	١٣	سد الحج وسد شجر	٦٤	٨	المحترش
٩	١٣	واحدة	٦٥	١٠	٢٠٠
٩	١٥	العرم	٦٦	١٦	محمد علي يكون
١١	٥	عرودا	٧٢	٧	استفتيتهم
١١	١٥	شبه	٨٠	٥	يهوذا
١٣	١٢	عبطة	٨٢	٣	لأن امرأ القيس
١٤	١١	٢٨٨ - ٣٢٨ م	٨٨	٣	أبودوداد، وفي الصفحات ،
١٤	٨	التبابعة	١٢٧ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣		
٢١	٢	أقواس من	٢٣٢		
٢٢	٧	وعدد	٨١	١٨	يحتضن
٢٤	٣	الدهاء	٩٧	١	أبو المهوش
٣٩	٧	طفيل اليعوثي	١٠٥	٨	٣٠٠
٦٠	١٨	طلحة بن عبيد الله	١١٢	١٧	سورية وص ٢١١
٤٠	٤	القرية	١١٥	٢٨	وأغار يضها الست
٤٠	١٦	التوراة	١٢٩	١٦	ومتوسط الفرقين
٤١	١٤	الثامن عشر قم	١٣٣	١٢	فالفرق الأول
٤٣	٢	الثامن عشر قم	١٣٤	٢١	شزرا
٤٩	٢١	تمحل	١٣٥	١٧	صعدها
٥٠	١٢	ملوكهم	١٣٨	١٧	أنه
٥٦	٦	الفرزدق	١٤٣	٢	وجه الحوادث

(تابع) فهرس مواضع الامة تدراك

الصفحة	السطر	المصواب	الصفحة	السطر	المصواب
١٤٣	٨	فحق عليها	١٦٩	١٥	٢٩١ قه (١٤٦ م)
١٤٧	٢٢	أكثر مؤرخي العرب	١٧٩	١٦	عمر الضائع
١٤٨	٤	٣٦٥ ق هـ	١٨٨	٢١	٣٦٦ قه (٣٦٤ م)
١٤٨	٥	توافق سنة ٢٦٨ م	١٩٤	٤	الحارث بن أبي شمر
١٤٩	٥	على عمرو بن عدى بن نصر	١٩٦	٢٢	يعرب
١٤٩	٢١	كان زعماء العرب عامة	٢٠٢	٣	بعد الميلاد
١٥٠	١١	أرجاءه	٢٠٧	٦	تجاهلا لصلة النسب
١٥٢	٥	إلا التحية	٢٠٨	١٢	من المحافظين قبل
١٥٦	٨	ابن خدام	٢٢٤	٢	ليقظة العلماء
١٥٦	١٧	ابن الحمد	٢٢٧	١٨	ويقاطعهم
١٥٧	١٢	ولم يذكر واحد	٢٤١	٩	الروايات
١٦١	١٤	فإن خدام	٢٤١	١٣	ورأى علماء اللغات

(٨) فهرس المراجع (بحسب ترتيب الاستشاد بها)

العدد	المراجع	العدد	المراجع
١	تاريخ سني ملوك الأرض لحمة الأصفهاني - برلين ١٣٤٠ هـ	١٦	مقدمة ابن خلدون المطبعة الخيرية ١٣٢٣
٢	بلوغ الأرب للألوسي - مصر ١٩٢٤	١٧	قوافل العروبة ومواكبها للأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٤٨
٣	الأكيل للهمداني	١٨	التوراة : سفر إرميا
٤	العرب قبل الإسلام لجورجي زيدان - مصر ١٩٠٨	١٩	السكامل لابن الأثير مطبعة بولاق ١٢٩٠ هـ
٥	القصيدة الخيرية	٢٠	البداية والنهاية لابن كثير مطبعة السعادة ١٩٣٣
٦	القاموس المحيط للفيروزابادي - مصر ١٣٤٤	٢١	طبقات الشعراء للجمعي مطبعة السعادة
٧	صفة جزيرة العرب للهمداني - لندن ١٨٨٤	٢٢	جمهرة ابن حزم الأندلسي دار المعارف بمصر ١٩٤٨
٨	العبر وديوان المبتدا والخبر لابن خلدون - مطبعة بولاق	٢٣	مروج الذهب للمسعودي - المطبعة البهية ١٣٤٦
٩	ثمار القلوب للشعالبي - مصر ١٣٢٦ هـ	٢٤	خزانة الأدب الصغرى للبيدادي دار العصور ١٩٢٩
١٠	المختصر في أخبار البشر لابن الفدا	٢٥	تاريخ الدول الإسلامية للخضري بك مصر ١٩٢٦
١١	مجمع الأمثال للبيداني	٢٦	أسد الغابة لابن الأثير
١٢	الانثاني لآني الفرج الأصفهاني - مصر ١٩٢٧ / ١٨٦٠	٢٧	الشعر والشعراء لابن قتيبة مطبعة المعاهد
١٣	تاريخ اليعقوبي مطبعة الغري بالنجف ١٣٥٨ هـ	٢٨	المزهر للسيوطي بمطبعة السعادة ١٣٢٥
١٤	الإصابة لابن حجر مطبعة السعادة ١٣٢٣	٢٩	العمدة لابن رشيق بمطبعة السعادة ١٩٠٧
١٥	قصة الأدب في العالم لأحمد أمين بك والاستاذ زكي نجيب		

(تابع) فهرس المراجع

العدد	المراجع	العدد	المراجع
٣٠	تاريخ اوردبة الحديثة لاسكندري وسليم حسن ١٩٢٠	٤٦	مختارات ابن الشجرى مطبعة الاعتماد ١٩٢٥
٣١	كتاب المعمرين للسجستاني مطبعة السعادة ١٣٢٣	٤٧	الاشتقاق لابن دريد - غوتنجن ١٨٥٤
٣٢	معجم ما استعجم للبكرى لجنة التأليف ١٩٤٥	٤٨	علم اللغة للدكتور على عبد الواحد وافي
٣٣	العقد الفريد لابن عبد ربه	٤٩	ذيل الأمالى للقالى مطبعة بولاق ١٣٢٤
٣٤	معجم الأدباء لياقوب مطبعة الحلى ١٩٣٨	٥٠	نهاية الأرب للنويرى
٣٥	عيون الأخبار لابن قتيبة	٥١	صحيح البخارى
٣٦	شعراء النصرانية لمويس شيخو طبع بيروت ١٨٩٠	٥٢	أحاديث الترمذى
٣٧	شرح العيون لابن زيدون	٥٣	إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعى
٣٨	ديوان الحماسة لأبى تمام مطبعة السعادة ١٩١٣	٥٤	القرآن الكريم
٣٩	المؤتلف والمختلف للآمدى	٥٥	تاريخ الأدب لحفى بك ناصف مطبعة الجريدة ١٩٠٩
٤٠	مجالس ثعلب مطبعة دار المعارف بمصر ١٩٤٨	٥٦	تاريخ اللغات السامية للدكتور إسرائيل ولفنسون
٤١	فى الأدب الجاهلى للدكتور طه حسين مطبعة فاروق ١٩٣٣		
٤٢	بغية الطالبين لأحمد باشا كمال		
٤٣	تاريخ مصر لجيمس هنرى برستد		
٤٤	الأمالى للقالى ١٣٢٤		
٤٥	ديوان الأفوه الأودى مطبعة لجنة التأليف ١٩٣٧		

المراجع الغربية

وقد اعتمد المؤلف على
كثير من هذه المراجع ترى فى
ذيل الصفحات لم يذكرها
لهقيق المقام .